

سلسلة المشاريع الوطنية للبحث



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

الدولة الجزائرية الحديثة

- ومؤسستها -

منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث
في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954



سلسلة المشاريع الوطنية للبحث



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين



الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسستها

رئيسة المشروع : الدكتورة عائشة غطاس

الأعضاء :

الأستاذة زكية زهرة

الأستاذة سعدية سرقين

الأستاذة نعيمة بوحشوش

الـمـكتـبـة
الوصول
رقم التسجيل

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 45 لعيد الاستقلال والشباب

منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954



تصدير بقلم معالي وزير المجاهدين السيد : محمد الشريف عباس

كثيرا ما عادت إلى ذهني عبارة قالها المؤرخ الشاعر الموسوعي الدكتور أبو القاسم سعد الله حفظه الله، مفادها أننا شعب يحسن صناعة التاريخ ولكنه لا يجيد روايته والتأريخ لما يصنعه.

وإذا كان هذا الإستنتاج المشحون بغصّة أكيدة هو وليد معاناة البحث والإستقصاء التي تحمّلها هذا العالم الفاضل، وهو يقلب دفاتر الماضي ويدقق ويفحص بخبرته وعلميته وسعة اطلاعه في ثنايا تاريخنا الوطني ويرى بأب عينيه كم هو قليل عدد الذين يخوضون معه غمار هذا اليم الواسع المليء بالأسرار والمكنونات، والمليء أيضا بالبحارة المزيفين أو المناوئين الذين لم ولن يدخروا ما في وسعهم للمضي في تزوير الحقيقة التاريخية أو تزييفها أو تغليفها بما يخدم الأهداف المعلنة وغير المعلنة للعدو، والتي ما اتسع حقلها وعلا صوتها إلا بسبب ما بدر من المؤرخ الوطني من انسحاب وغياب وما ظهر فينا من سلوك غالب لا يعير التاريخ الأهمية التي تستحق والأولوية التي يجب أن يتبوأها.

ولله الحمد إذ وقعت همسة الدكتور أبو القاسم سعد الله الهادفة ومعها كثير من الدعوات الواعية في سمع راعية أمينة حملت همسة الاستغاثة هذه على محمل الجد وقالت معه ومع غيره من الغيورين على التاريخ الوطني، أنه حان الوقت لعمل جاد لاستغلال هذا الفضاء الحيوي وإعادة ترتيبه ليكون من بين أهم الاهتمامات الأولوية.

والفضل في هذا المنحى يعود بالدرجة الأولى إلى فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة الذي ما كان ليفوت مناسبة وطنية أو محلية إلا وقد حث الهمم ونبه إلى الآثار السيئة والثقوب الخطيرة التي بدأت تبدو على هذا المستوى أو ذاك من الأعطاب التي تصيب الذاكرة الوطنية، والتي بدأت نتائجها السلبية واضحة في وعي الأجيال الجديدة وتصرفاتها.

قالها فخامته بلغة واضحة أننا وإن كنا مجبرين على التكيف مع المستجدات الحاصلة من حولنا والمشاركة كطرف فاعل في الفضاء الإنساني الجديد، إلا أن نوعية مشاركتنا وحماية مصالحنا مرهوتان بنجاحنا في تغذية الأجيال الجديدة بالمرجعيات الذاتية ومركزات القوة

التي تجعلهم يشاركون ولا يذوبون يتصدرون ولا يكونون تبعاً لغيرهم، وليس لبلوغ هذه الغاية من خيار غير العناية بالتاريخ وتطعيم هذه الأجيال بخلاصاته.

وقد تمّ الحرص في كل هذا الجهد المتكامل على وضع الأسس لمدرسة تاريخية وطنية لا تستغني عن المناهج العلمية الموضوعية والانتماء على الحقيقة، ولا تسعى في محصلتها إلى زرع الأحقاد كما تفعل المدرسة التاريخية الكولونيلية، ولكنها مع ذلك لا تنسى أنها إزاء بحث علمي إنساني اجتماعي في المقام الأول، وأنها تخوض غمار العمل في حقل ظل مسكوناً بالمغالطات والتعصب في الكثير من المؤلفات التي صدرت عن المؤرخين الإستعماريين، وأنه من حقها أن تعيد ترتيب الحقائق كما وقعت بالفعل وبالصورة التي تبين للأجيال كفاح آبائهم، وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله (من حفظ التاريخ زاد عقله).

في سياق هذا الجهد الذي ابتدأ منذ بضع سنوات واحتفاء بالذكرى الخامسة والأربعين لاستعادة السيادة الوطنية يقدم المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 مجموعة جديدة من البحوث العلمية التاريخية قامت بإعدادها بالتعاون مع المركز، كوكبة من الباحثين والمؤرخين والأساتذة، المعروفين بقدراتهم العلمية، وبمساهماتهم المتخصصة في هذا المجال.

واني لأعنتم هذه الفرصة لأوجه إلى هؤلاء الأساتذة جزيل التقدير على ما تحملوه من عناء البحث والتنقيب والتدقيق ليقدموا هذا الإنتاج الذي سيكون خير عون للطلبة والباحثين والراغبين في التعرف على التاريخ الوطني من منابعه الصافية.

كما أعبر عن بالغ التقدير والشكر لجميع القطاعات التي ساهمت إلى جانب وزارة المجاهدين، في إنجاز هذا المشروع وأخص بالذكر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والوزارة المنتدبة للبحث العلمي اللذين وجدنا فيهما خير مساند في هذا المسعى الوطني الرفيع.

وفق الله الجميع في خدمة التاريخ الوطني، وتخليد مآثر الأمة الأزلية، ومن سار على الدرب وصل.

محمد الشريف عباس

تقديم بقلم مدير المركز

يتشرف المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بإصدار ثلاثين دراسة علمية، هي ثمرة عمل مشاريع البحث المنجزة في إطار البرنامج الوطني للبحث العلمي، والتي نال المركز شرف تأطيرها منذ انطلاقتها إلى اليوم.

وإذ تتناول هذه الدراسات تاريخ الجزائر بكل مراحلها، فإن ذلك يعتبر تأكيدا لفكرة : أن التاريخ الوطني كل لا يتجزأ على اختلاف العصور والأحداث والأزمات التي عرفتها بلادنا، وأن هذا المكون التاريخي، مترابطة مراحلها ومتواصلة من القدم إلى الوسيط إلى الحديث والمعاصر، بما في ذلك فترتي المقاومة والثورة التحريرية.

وإذا كان الهدف البعيد في طبع ونشر هذه الأعمال هو إبراز دور المركز ومساهمته الفعالة في كتابة تاريخ الجزائر، في إطار الدور المنوط به منذ نشأته سنة 1995، فإن الهدف القريب والمباشر يتمثل في تدعيم المكتبة الوطنية بعصارة جهد ثلة من خيرة الأساتذة الجامعيين والباحثين الجزائريين المشهود لهم بالخبرة والكفاءة والاختصاص، وإثراء الرصيد العلمي والمعرفي للطلبة والمهتمين والباحثين.

ولا يفوتنا بمناسبة نشر هذه الأعمال أن نهنئ أنفسنا وشعبنا وأن نشكر وزارة المجاهدين وعلى رأسها معالي الوزير السيد محمد الشريف عباس، على رعايته واهتمامه البالغ بهذا المشروع، كما نشني على الدور الكبير الذي لعبته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الوزارة المنتدبة للبحث العلمي، الأساتذة والباحثون، وكل الذين حرصوا وساهموا في إخراج هذا المشروع إلى النور.

د: جمال يحيوي

مقدمة

هذا الكتاب يضم أبحاثاً عن الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها. يتعرض في فصله الأول الموسوم بظهور الدولة الجزائرية الحديثة، إلى الأزمة الخطيرة التي شهدتها المغرب الأوسط والتي بلغت ذروتها في أواخر القرن الخامس عشر إلى العقد الأول من القرن السادس عشر، وما أفرزته : انحطاط عميق وهجمة إسبانية صليبية. كما يعرض التحولات الحاسمة في أعقاب انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية التي كانت يومئذ حاملة لراية الإسلام في إطار الصراع المحتدم بين العملاقين السياسيين : إسبانيا والدولة العثمانية.

وأما الفصل الثاني منه فيستعرض عبر ثلاثة مباحث النظم السياسية والعسكرية. يحاول المبحث الأول تفسير تطور النظم السياسية على مدى ثلاثة قرون مركزاً على دور القوى المؤثرة في الحياة السياسية : الجيش الانكشاري وطائفة رياس البحر. كما يبرز دور الدايات ومساعيهم من أجل إقامة حكم محلي مستقل. وتناول المبحثان الأول والثاني المؤسسة العسكرية بشقيها البري والبحري : الجيش الانكشاري وطائفة رياس البحر. وتركز الدراسة الخاصة بالجيش الانكشاري على دور الجيش الفعال في حفظ الأمن في الداخل والدفاع عن البلاد. كما تتوقف عند الأصول العرقية للجيش ولم تغفل التعرض إلى سياسة الإقصاء التي تبناها الجيش الانكشاري إزاء العناصر المحلية وما نجم عنها. و أما مبحث طائفة رياس البحر فيبرز هو الآخر الدور المميز للطائفة في تطوير البحرية الجزائرية وفي الذود عن البلاد، كما يعطى خصائصها ومميزاتها.

والفصل الثالث يتناول النظم الإدارية المركزية إذ من خلال تطرقه إلى عدد من المؤسسات كالديوان، وعدد من الموظفين يقدم صورة عن آليات التسيير ودقة التنظيم

كما يكشف عن مؤسسة غير معروفة وهي مؤسسة "مشيخة البلد". وكانت التنظيمات الإدارية المحلية موضوع الفصل الرابع و هو يحوي أربعة مباحث يستعرض كل مبحث التنظيمات الإدارية القائمة والسارية في كل مقاطعة أو بايليك : دار السلطان وبايليك التيطري أو الوسط وبايليك الشرق وبايليك الغرب. وهذا الاختيار المنهجي يفسر بخصوصية كل مقاطعة رغم التقارب والتشابه الكبيرين بينها.

وأفرد الفصل الخامس والأخير إلى إحدى أهم المؤسسات الاجتماعية التي أدت دورا بالغ الأهمية في المدينة بوجه عام وفي مدينة الجزائر بوجه خاص حيث كانت إحدى الأسس التي ارتكز عليها تسيير المدينة وإدارتها. واستهل الفصل بمبحث خاص بمؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين باعتبارها أهم مؤسسة ثم تلاه مبحث يتحدث عن أوقاف سبل الخيرات الأوقاف المخصصة للأحناف. وتناول المبحث الثالث أوقاف الجامع الأعظم وتعرض المبحث الرابع إلى أوقاف الأضرحة والزوايا...

وبطبيعة الحال الكتاب لا يشمل بالدراسة والبحث كل المؤسسات القائمة بالجزائر وقتئذ مثل المؤسسات التعليمية ومؤسسة القضاء وما إلى ذلك بل ركز على المؤسسات السياسية والعسكرية والإدارية وإلى جانب ذلك أعار الكتاب عناية خاصة لمؤسسة الأوقاف نظرا للدور البالغ الذي أدته في مجالات شتى.

والله ولي التوفيق

عائشة غطاس رئيسة المشروع

الفصل الأول

ظهور الدولة الجزائرية الحديثة

إعرارو (الأستاقوة عائشة خطاس

1. اوضاع المغرب الأوسط من أواخر القرن الخامس عشر إلى دخول العثمانيين :

إن ضعف دولة الموحدين وانقسامها جعل المغرب الإسلامي يدخل منذئذ في مرحلة في غاية الخطورة تمثلت في المنازعات والتطاحنات الإقليمية والعائلية على حد سواء. وتجسد التطاحن الإقليمي في رغبة كل دولة في السيطرة على المغرب الإسلامي بأكمله الشيء الذي أدى إلى الاصطدام ببعضها البعض. وقد كانت هذه الحروب استنزافا واضحا لثروات البلاد وجهودا ضائعة.

لقد سعى بنو مرين إلى السيطرة على المغرب الكبير بيد أنهم اصطدموا بالحفصيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم الورثة الشرعيين للموحدين. وقد عانت بلاد المغرب الأوسط، أي دولة بني عبد الوادي¹، بحكم موقعها الوسطي من ذلك كثيرا. فكانت تارة تصطدم بالمرينيين وتارة أخرى بالفحصيين، مما جعل الحدود لا تعرف الاستقرار و تكون بين مد وجزر².

وكانت من نتائج هذه الحروب المستمرة، أن عمت الفوضى ولم يحل القرن الخامس عشر حتى ظهر واضحا عجز ملوك بني عبد الوادي على فرض سيطرتهم على المغرب الأوسط بأكمله³ ليس هذا فحسب بل لم يتمكنوا من فرض وجودهم بالناحية الغربية و بتلمسان إلا بعسر.

وإذا أردنا أن نلخص الوضع السياسي العام، فيمكن القول إن البلاد انقسمت إلى مجموعة من الإمارات والمشيخات والقبائل المستقلة. فهناك : مشيخة الجزائر التي تنصدها قبيلة الثعالبة وإمارة "كوكو" التي تشمل القسم الغربي من جبال القبائل

الكبرى. وأما القسم الشرقي من بلاد القبائل وعاصمته قلعة بني عباس فقد كان تابعا للأمير عبد العزيز الحفصي، ومن ثمة فإن حكم ملوك بني زيان قد اقتصر على تلمسان وضواحيها⁴.

إن الانقسام والتفكك اللذان ميزا المغرب الأوسط كان عاما حيث عرفته الدولة المرينية كما عرفته الدولة الحفصية الشيء الذي جعل أحد المؤرخين يكتب ما نصه: " لقد انغمست هذه الدويلات في حروب طويلة مزمنة إذ خلال قرن كامل لم يبق لأمرأة هذه العائلات المالكة من السلطة سوى اسمها وكان شغل الملوك الشاغل إحباط المؤامرات والفتن⁵ ولخص المؤرخ شارل أندري جوليان هذا الوضع المتردي بقوله: " إن بلاد المغرب أصبحت عبارة عن فسيفساء سياسية"⁶

إن هذه الأوضاع المتردية، والفوضى السياسية العارمة كانت عاملا مشجعا للأطماع الصليبية، وتلمس هذا بكل جلاء، فيما كتبه "فرناندو دي زافرا" الذي كان كاتباً بالبلاط الإسباني ومكلفا بحراسة شواطئ إسبانيا ومراقبة حركة الأندلسيين المستوجهين إلى بلاد المغرب في أعقاب إجراءات الطرد: " إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي يظهر معها أن الله قد أراد منحها لصاحبي الجلالة"⁷. يتضمن هذا القول حقيقتين:

الأولى: وصف مطابق للحقيقة ينم عن معرفة دقيقة بالوضع السياسي المتدهور مما يجعلنا نستنتج بدون عناء أن إسبانيا كانت تتابع عن كثب ما يجري في بلاد المغرب.

والثانية: تحريض صريح للاستيلاء على بلاد المغرب.

هذا، بصورة موجزة، وضع المغرب الأوسط خلال الفترة التي سبقت الهجوم الصليبية الشرسة التي استهدفته وهو يلخص في ثلاث عبارات: تقهقر وفوضى وانحلال.

- الاحتلال الاسباني للشواطئ الجزائرية :

من الأحداث البارزة التي عرفتتها شبه جزيرة إيبريا الوحدة السياسية. لقد توحدت اسبانيا المسيحية عام 1474 بعد الزواج السياسي الذي تم بين فرديناند ملك أراغونة وبين ايزابيلا وارثة عرش قشتالة عام 1469 وهو الأمر الذي سمح للاسبان بتركيز جهودهم في محاربة المسلمين بالأندلس، وإخراجهم من آخر معقل وهو غرناطة في 2 جانفي 1492. وفي هذه السنة اكتشف كريستوف كولومب أمريكا وهو يعتقد أنه قد وضع رحاله ببلاد الهند الشرقية. وتمكن البرتغاليون من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح⁸.

وعن هذا الاحتلال في التوازن كتب العروبي مانصه : "ففي الوقت الذي عرفت فيه إذن بلدان البحر الأبيض المتوسط الغربية النهضة، الاكتشافات العظمى، التوسع الاستعماري، دخلت البلدان المغربية بنوع من التلازم السلبي في نوع من العصور الوسطى، نبضت في غضونها التجارة وتراجعت الزراعة وتبددت السلطة..."⁹

تعد سنة 1492 سنة حاسمة في تاريخ إسبانيا بوجه خاص إذ كانت يومها تعيش في غمرة النصرين العظميين : نصر على المسلمين بالأندلس ونصر اكتشاف العالم الجديد. فكان من الطبيعي بعد انتهاء حرب الارستداد أو La reconquista أن توجه إسبانيا أنظارها صوب منطقة بلاد المغرب الإسلامي التي تعيش انحطاطا عميقا.

لقد جاء الاحتلال الإسباني عقب سقوط غرناطة، فهل كان ذلك نتيجة طبيعية له ؟ لاشك أن ذلك الحدث الهام سهل بل شجع عملية الاحتلال. إذ وجدت إسبانيا نفسها بعد ذلك الانتصار قوية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وجدت نفسها أكثر حرية للتحرك¹⁰. وللإجابة على السؤال المطروح أعلاه نقول لقد رأت إسبانيا أن نقل الحرب من بلاد المغرب أمر ضروري وإستراتيجي بهدف تطويق بلاد المغرب خوفا من إعادة الكرة. فالإسبان لم ينسوا أن فتح الأندلس كان من المغرب وأن الأندلس

خضعت لدولة المرابطين، وبعدها لدولة الموحدين. كما أن ثمة حادثة كانت له تداعياته على السياسة الإسبانية وهو ثورة جبال البشاريات عام 1501 التي جعلت الإسبان يدركون خطر الإسلام في بلاد المغرب. فما إن قمعت الثورة حتى كان الكاردينال خيمينيس قد أعد الحملة العسكرية ضد المرسي الكبير¹¹.

لقد أخذت هذه الحروب، صبغة دينية نظرا للدور البالغ وللمساهمة العظيمة للكنيسة في ذلك. "فالبا" ألكسندر السادس (1492-1503) حث جميع البلاد المسيحية على وضع إمكانياتها البشرية والمالية تحت تصرف ملوك إسبانيا من أجل إبعاد خطر المسلمين. حيث أصدر أمرا يقضي بدفع الضريبة الصليبية Crusada لتمويل الحرب ضد المسلمين. وكان الكاردينال خيمينيس ممثبا المهتدس والمشرف على ذلك¹². كما أن الملك الإسباني فرديناند الكاثوليكي الذي أشرف على هذه العملية كثيرا ما ردد في مناسبات عدة أنه يعمل "من أجل خدمة الله وأنه يحارب أعداء الدين"¹³.

أما الملكة إزابيلا التي أدت دورا أساسيا في تحطيم بلاد الأندلس فقد نادى بضرورة مواصلة الحرب ضد المسلمين حيث تركت قبل وفاتها وصية في ذلك الشأن: "عليكم بفتح إفريقيا وعدم الكف عن القتال في سبيل الدين ضد الكفار"¹⁴. هذا ما جعل عدد من المؤرخين يصفون صبغة الصليبية على تلك الحروب فالمؤرخ الفرنسي بروديل ينعتهـا "بالصليبية الإسبانية في إفريقيا"¹⁵.

ومن الذرائع التي ذكرها المؤرخون الغربيون ذريعة محاربة نشاط البحارة المسلمين وبخاصة بعد التحاق عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الذين كانت لديهم دراية ومعرفة جيدة بالشواطئ الإسبانية¹⁶. وإذا كانت الأسباب متعددة ومتداخلة بين الديني والدنيوي فإن طموح إسبانيا في تكوين إمبراطورية، بعد نشوة الانتصار وتزعمها لحركة الكشوفات الجغرافية، لا يمكن إغفاله.

ولعل ما زاد في تشجيع إسبانيا للخوض في هذه الحرب حالة الانحطاط العميق الذي كانت تعيشه بلاد المغرب الإسلامي مثلما أسلفنا الإشارة إليه، وبالإضافة إلى ذلك عدم معرفة المغاربة لاستعمال الأسلحة الحديثة. إن هذين العاملين جعلتا إسبانيا لا تخشى كثيرا رد الفعل المغربي¹⁷.

كانت أول نقطة احتلها الإسبان على الساحل المغربي مدينة مليلة عام 1497. وعقب ذلك وجهوا أنظارهم صوب الشواطئ الجزائرية، بعدما أبرمت معاهدة Tordesillas في 7 جوان 1494 التي بمقتضاها تم تقسيم مناطق النفوذ بين البرتغال وإسبانيا. واعترفت هذه المعاهدة بأحقية إسبانيا في احتلال الجزء الشرقي من ساحل المغرب الشمالي "فكل ما هو شرق حجر بادس لإسبانيا" ليس هذا فحسب بل إن إسبانيا طلبت من البابا "اسكندر السادس" منحها براءة يأذن لها فيها بالتوسع في إفريقيا أي بالسواحل المغربية. وقد باركت البابوية ذلك في 12 نوفمبر 1494 بما يلي " إلى أرواح الذين سيشاركون بأموالهم وأرواحهم في عمليات الغزو"¹⁸.

ومن المؤكد أن الإعداد لهذه الحملة الصليبية قد تطلب إعدادا طويلا وإمكانات كبيرة: الوقت والمال والرجال. فمن الممون لهذه الحروب؟ على الرغم من أن الخزينة الإسبانية كانت عاجزة عن تجهيز الحملة، فقد تطوع الكادينال خيمينيس بأمواله الخاصة و أعانته الكنيسة، فقد باع القساوسة والرهبان ذخائر وكنوز الكنائس الثمينة. كما لا ننسى أيضا مساهمة الأفراد من خلال الضريبة الصليبية CRUSADA إذ أصدر البابا أمره السامي بمواصلة دفع الضريبة.

كانت أول نقطة احتلها الإسبان بالمغرب الأوسط هي المرسى الكبير وهو موقع له أهمية بالغة منذ زمن بعيد إذ نظرا لأهميته سماه الرومان "المرسى الروباني"¹⁹. وكان الهدف من وراء احتلاله ضمان أمن أسطولهم. انطلق الأسطول الإسباني من مدينة مالقه يوم 29 أوت 1505 بقيادة دون ريمون دي قرطبة على رأس 5000 رجل.

لكن الرياح المعاكسة أخرجت وصوله إلى نهاية 11 سبتمبر 1505. وكان هذا التأخر لصالح الإسبان، فبعد ما انتظر المرابطون الذين اتخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع طويلا غادروا المكان، فلم يجد الإسبان سوى حامية صغيرة، تتشكل من خمسمائة جندي. ويؤكد المؤرخون أن حصار الإسبان للمرسى الكبير دام خمسين يوما، ولم يستسلم السكان إلا بعدما يتسوا من نتيجة المعركة²⁰. وبعد مرور عامين على احتلال المرسي الكبير حاولت إسبانيا التوغل في الداخل فوجهت حملة عسكرية إلى منطقة مسرغين في 6 جوان 1507 لكنها منيت بهزيمة نكراء فسارعت على إثرها إلى تعزيز قواتها المرابطة بالمرسى الكبير. وتجدر الإشارة إلى أن الانتصار الساحق الذي حققه الجزائريون في هذه المعركة قطع على الإسبان أمل التوغل في الداخل.

بعد أن أصبح للإسبان قاعدة يرتكزون عليها جاء دور مدينة وهران. لقد انطلق الأسطول في 16 من ماي 1509 من ميناء قرطاجنة، وكان قوام الحملة 15 ألف جندي بقيادة "يبدو نافارو"²¹. إن أكبر مجزرة اقترفها الإسبان كانت بمدينة وهران، بعد أن ساعدتهم في ذلك خيانة اليهودي اشطورا الذي كان قابض المكوس، حيث فتح أبواب المدينة للإسبان الذين حاربوا ودمروا وفتكوا إذ قتلوا نحو 4000 وأسروا نحو 8000 كما حولوا مسجدين إلى كنيستين. وباحتلال الإسبان لمدينة وهران تمكنوا من احتلال موقعا استراتيجيا في بلاد المغرب الأوسط. ونتيجة هذا الانتصار اعترف السلطان الزياني بنوع من التبعية لإسبانيا²².

كما أصبح عدد من القبائل القاطنة بوهران وضواحيها خاضعا للإسبان بل وفي خدمتهم وكانوا أعوانا أساسيين لهم ومن أشهرها قبيلة بني عامر²³.

ومن الساحل الغربي، وجه الإسبان أنظارهم صوب الساحل الشرقي فكان احتلال مدينة بجاية وكانت أوضاعها السياسية مساعدة للغاية نتيجة الصراع العائلي

القائم حول الحكم. وقد أعد وجهز الحملة الكاردينال خيمينس أيضا، وأسندت القيادة إلى "بدر نافارو". وفي 1 جانفي ألق الأسطول الذي كان يشمل عشر سفن كبيرة تحمل على متنها عشرة آلاف رجل وتعززهم مدفعية ضخمة وآلات عديدة وسلاح وفير. وكان وصول الأسطول أمام مدينة بجاية في 5 جانفي 1510، وقد أبدى سكان المدينة دفاعا مستميتا وكان رد الفعل الإسباني شنيعا حيث ارتكبوا مجزرة فقد ذبح أثناء المعركة نحو 4100 وعاث الجيش الإسباني فسادا في المدينة التي هاجرها أهلها²⁴.

فما هو وضع بقية الموانئ؟ هل تعرضت إلى حملات عسكرية مماثلة، أو هل نجت من الاحتلال؟ عقب سقوط بجاية سارعت الموانئ الأخرى إلى الرضوخ للاحتلال الإسباني بل إن مدينة تنس مثلا فضلت الخضوع قبل احتلال ميناء وهران.

أما مدينة الجزائر فقد توجه حاكمها سالم التومي في 31 مايو إلى بجاية ووافق على تسليم الإسبان أحد الجزر وأكبرها والتي بنوا عليها ما أشتهر ببنينون الجزائر Penon de Argel كما التزم بدفع ضريبة الولاء. هذا وذهبت بعض الروايات إلى أن بدر نافارو اشترط على سالم التومي التوجه إلى إسبانيا لإعلان فروض الولاء والطاعة والالتزام بتنفيذ شروط المعاهدة أمام الملك²⁵. وأضحت مدينة الجزائر منذئذ تحت التهديد المستمر من طرف الإسبان. أما مدينة عنابة فقد احتلها "بدر نافارو" عنوة أثناء طريقه إلى تونس وترك بها حامية عسكرية ثم واصل طريقه نحو تونس ومنها إلى طرابلس التي احتلها رغم شدة المقاومة في يوليو 1510 ثم أعلنت مدينتا دلس ومستغانم ولاءهما والتزمتا بدفع الضريبة إلى إسبانيا عام 1511²⁶.

هكذا إذن استطاعت إسبانيا وفي ظرف قصير للغاية 1505-1511 أن تطوق الساحل الجزائري عن طريق احتلالها لنقاط استراتيجية. وفي ختام حديثنا عن الاحتلال الإسباني هناك سؤال يطرح نفسه بإلحاح وهو: كيف يفسر اكتفاء إسبانيا

باحتلال الشواطئ فقط؟ بعبارة أخرى هل كان لإسبانيا مشروع احتلال شامل للجزائر؟ يرى بروديل أن الملك فرديناند فضل سياسة الاحتلال الجزئي عن طريق إنشاء محميات Presidios لأنه كان منشغلا في المقام الأول بإيطاليا أي أن الحروب الإفريقية كانت في المرتبة الثانية²⁷. وذهب كازناف Casenave إلى أن إسبانيا جهزت الأساطيل الضخمة و أعدت القوات الكبيرة غير أن المشروع أخفق، لأن الإسبان لم ينجحوا في التوغل في الداخل وفي إخضاعه، ومن ثمة لا يمكن الحديث عن "استعمار إسباني"²⁸ على حد تعبيره. أما "جوليان" فقد ذهب إلى القول أن حيمينيس نفسه لم يضع مشروعا للاحتلال الكلي وفي الوقت ذاته يقر بأن التدخل التركي -العثماني غير المنتظر زاد وضع الحاميات الإسبانية سوءا ليس هذا فحسب بل أدى إلى فشل وإحفاق سياسة إسبانيا الإفريقية²⁹. وأما روف Ruff فقد ذكر أن الإسبان لم تكف لديهم أية سياسة:

«Les espagnols en Afrique n'ont su être ni des colonisateurs ni des conquérants; c'est qu'il ont suivi une politique le jour le jour, sans grandeur et sans résultats»³⁰

رد الفعل المحلي :

دور الطرق الصوفية

إن إحدى الخصائص المميزة للقرنين الخامس عشر والسادس عشر بروز العلماء ورجال الدين كقوة مؤثرة على الأحداث السياسية³¹. ومن أبرز الطرق الدينية وقتئذ الطريقة القادرية³² والطريقة الشاذلية³³.

ويظهر أن الزوايا والربط انتشرت بشكل ملفت للنظر وفي هذا الشأن كتب أحدهم ما نصه : "فسي هذه القرون التي أعقبت تفكك الموحدين وسقوط دولتهم ... وعرف المغرب أبانها الأطماع الأجنبية سرت في جميع أرجائه روح غريبة جعلت الشعب يقبل إقبالا لم يعرفه من قبل على أمور المجاهدة وينخرط في الزوايا والربط ويؤمن بالأولياء ..."³⁴

وقد أخذ رجال الدين والمرابطون على عاتقهم مهمة التصدي للخطر الخارجي والدفاع عن الشواطئ أمام تدهور السلطة المركزية وعجزها عن القيام بأي دور. وأنه لمن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن العلماء قد ذقوا ناقوس الخطر الدائم قبل سقوط الموانئ فقد ألسف العالم الفقيه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي³⁵ رسالة في الجهاد حث فيها أهل مدينة الجزائر على الجهاد جاء فيها : " ... ولو اطلعت على ما اطلعت عليه من التحريض لما وسعكم أن تشتغلوا من أمور مهامكم بعد الصلاة إلا بألة الجهاد ... " ³⁶. كما راسل أهل بجاية وحثهم على الجهاد وحذرهم من مغبة التهاون.

كما نظم الشيخ العالم محمد التواتي³⁷ قصيدة نبه فيها الأهالي بخطر الغزو المسيحي للسواحل وبعده الاعتماد على ملوك وأمراء ضعاف مثلما نقرأه في الأبيات التالية :

يا أهل وهران انظروا نظرة شفقة لبلدتكم من قبل أن تتردى

فلا تهملوا أمر الأعداي فأنهم بحال اجتماع واتفاق وشدة

ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم ولا البلو بل تحميه أهل الجزيرة³⁸

الاستنجاد بالعثمانيين :

في تلك الأثناء ذاعت أصداء الاخوة البربروسة في الحوض الغربي للمتوسط في إطار مساعدة البحارة العثمانيين لمسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة³⁹.

وحول أصل الاخوة ذوي اللحية الشقراء - وهي صفة أطلقها عليهم المؤرخون الغربيون - هناك اختلاف بين المؤرخين، على أن الاحتمال الأكثر تواردا هو أن والدهم كان من بقايا الجيش العثماني الذي فتح بلاد اليونان و من العناصر الإسلامية - وتذهب بعض الروايات إلى أن والدهم كانت من أصل أندلسي⁴⁰.

وكانوا في بادئ الأمر أربعة اخوة وهم : إسحاق وحسرف وأخير الدين وعروج ومحمد إلياس. وكان والدهم يعقوب يمتحن صناعة الخزف في جزيرة ميدلي المعروفة "بليسبوس" قديما. وبينما اختار الأخ الأكبر طريق العلم فضل الاخوة الثلاثة ركوب البحر، ولم يكن عمر عروج يتجاوز العاشرة إلا قليلا، وسرعان ما جهز مركبا خاصا به. لكن ركوب البحر وقتذاك وعبر التاريخ - محفوف بالأخطار وخاصة خطر السقوط في أيدي الأعداء وهذا ما وقع لعروج الذي أسره فرسان القديس يوحنا مدة سنتين ذاق خلالها مرارة الأسر وقسوة العمل في التجديف⁴¹. وكانت تجربة رغم مرارتها؛ ذات أهمية بالغة حيث استفاد منها في حياته البحرية. ويبدو أنه بعد نجاته من الأسر عن طريق الفرار دخل في خدمة الأمير العثماني قرقود أو قرقط غير أنه بعد هزيمة هذا الأخير، في صراعه مع أخيه سليم⁴² هرب الاخوة غربا واستقر بهم المقام في تونس. ووقع اختيارهم في بادئ الأمر على جزيرة صغيرة، وهي جزيرة جربة فاتخذوها قاعدة لهم لمساعدة الأندلسيين. ويبدو أن السلطان الحفصي أبا عبد الله محمد رحب بهم لأنه كان يريد الاستعانة بهم ضد الاسبان وسمح لهم باستخدام ميناء حلق الوادي⁴³. ومنذئذ أصبح للاخوة قاعدة بحرية، وبفضلها ضمنوا لأنفسهم موقعا استراتيجيا حيث حصلوا على موقع قريب من طرق الملاحة التي كانت تعبر بجزيرة صقلية ونجحوا في تكوين أسطول يضم اثنا عشرة سفينة وألف رجل.

وفي عام 1512 أي بعد مرور سنتين على احتلال مدينة بجاية بشكل علماء وأعيان بجاية وفدا لمقابلة عروج ليطلبوا منه إنقاذ المدينة ومساعدة الأمير عبد الرحمن على استرجاعها. وعلى إثر ذلك لبى الاخوة النداء وساروا على رأس جيش صغير محاصرة المدينة. وبعد حصار قصير أرغم الاخوة على التراجع والعودة إلى تونس. وكانت نتائج هذه المحاولة أليمة بالنسبة لعروج الذي فقد أثناءها ذراعه. ورغم فشل المحاولة

إلا أنها كانت بداية الاحتكاك بين الطرفين، فمن ناحية تعرّف الأهالي على شدة بأس هؤلاء الرجال وعلى رأسهم عروج وخير الدين، وكانت فرصة لتوحيد وتنسيق الجهود بين الجزائريين والأخوة البربروسية، ومن ناحية أخرى كانت إنذار بالخطر بالنسبة للإسبان. وأدرك عروج عقب هذه الهزيمة أن محاصرة مدينة بجاية وهو بقاعدته البعيدة حلق الواد أمر صعب، فقرر الانتقال منها إلى جيجل. وكانت يومئذ مدينة صغيرة وقاعدة تجارية للتجار الجنوبيين، الذين يعود استقرارهم بها إلى 1260⁴⁴ وبعد معركة عنيفة وقاسية تمكن عروج من اقتحام المدينة وكان هذا أول انتصار ساحق حققه عروج وأضحت جيجل منذئذ قاعدة انطلاق جديدة في حدود 1513. ومنذ الوهلة الأولى انظم إليه الأهالي بأعداد هائلة عارضين عليه خدماتهم من أجل توحيد الجهود. وبعد فشلهم في الحصار الأول استأنف الأخوة الغزو البحري ورأوا أنه من الأفضل لهم إخبار السلطان العثماني بما يجري ببلاد المغرب عن طريق الجغرافي "بيري رئيس" أحد البحارة العثمانيين كان ينشط في سبيل مساعدة الأندلسيين⁴⁵، فبعثوا إلى السلطان بمدية مرفقة برسالة عرضوا فيها أوضاع بلاد المغرب، كما أخبروه بالصعوبات التي تواجههم من أجل إنقاذ مسلمي الأندلس. فرحب السلطان بذلك، وأمدهم بالعدة والعتاد إذ زودوهم بعدد من السفن وبالرجال وبكميات من السلاح. وغدا هؤلاء الأخوة يحظون بمساندة إمبراطورية بأكملها وهو الأمر الذي زادهم تصميمًا على شن الحملة الثانية من أجل تحرير بجاية⁴⁶.

لقد أصبح الوضع مختلفًا تمامًا عما كان عليه في السالف. حيث استطاع عروج أن يجند جيشًا منظمًا وقويًا إذ بلغ 20 ألف محارب كما أصبح يتمتع بمساندة الجميع من علماء وغيرهم ومؤازرة ابن القاضي أيضا وبعد محاولات متكررة خلال ثلاثة أشهر، رجع عروج من جديد إلى جيجل. ففكر في تغيير الخطة فقرر محاصرة المدينة "برا وبحرا" واستعمال نهر الصومام لمحاصرة المدينة من كل الجهات. ويبدو أن المحاولة كادت أن تنجح لولا تخاذل السلطان الحفصي الذي امتنع عن مدهم يد المساعدة

سيما تزويدهم بالبارود. ومما زاد الطين بله و أثبط العزائم استشهاد محمد إلياس.
وفي 23 يناير 1516 عقب وفاة ملك إسبانيا فرديناند الكاثوليكي رأى سكان
مدينة الجزائر أن الفرصة قد حانت لإلغاء العمل بالمعاهدة والتخلص من شروطها
المهينة ومن الحصن الذي كان على حد تعبير صاحب الغزوات "كالشوكة في
قلوبهم" ⁴⁷.

فسار خير الدين بقوة تضم 16 سفينة صغيرة "من نوع الغليوطة" على متنها
خمسمائة رجل مسلحين فضلا عن ثلاثة آلاف جندي من جيغل وضواحيها. وما
إن وطأت أقدام عروج مدينة الجزائر حتى تصدى لتحرير الحصن الأسباني فنصب
عددا من المدافع في اتجاهه وبدأ في مهاجمته إلا أن ضعف المدفعية حال دون تحقيق
أي نجاح وكاد ذلك أن يقضي على سمعة عروج ⁴⁸.

وقد أثار عزم وطموح عروج مخاوف سالم التومي الذي بدأ يشعر بأن زمام الأمور قد
أفلت من يده وأنه لم يعد له أي شأن، فسعى لإحاكة الدسائس عن طريق الإستعانة بالإسبان
لطردهم - فتفطن عروج لذلك وقضى عليه في ظروف غامضة. ورغم فشله في طرد
الإسبان من الحصن إلا أنه واصل في مضايقة الحامية الإسبانية المقيمة بالصخرة. فقام
بحراسة العيون التي كان يتزود منها الإسبان، حتى أجبروا على جلب الماء من جزيرة
مايورقة. ثم انتقل عروج إلى تعزيز تحصينات المدينة. ولا شك أن هذه الأعمال
جعلت سكان مدينة الجزائر يلتفتون حوله ويبايعونه ⁴⁹.

لكنه سرعان ما أثار مجيء الأحمدين إلى مدينة الجزائر، وتحركتهما مخاوف وقلق
إسبانيا التي كانت شديدة الحرص على عدم ضياع حصن البنيون نظرا لموقعه
الإستراتيجي. فقررت كسر شوكة هذه القوة الجديدة بتوجيه حملة عسكرية أسندت
قيادتها إلى Diego de verra وهو من أقدر القادة العسكريين. وكان قوام الحملة :
35 محارب وثلاثة آلاف 3000 رجل ⁵⁰. ويبدو أن الأسبان في هذه الحملة كانوا

يعتمدون على خيانة أطراف محلية منها أنصار سالم التومي، حيث استنجد ابن هذا الأخير بالإسبان بعد مقتل أبيه من جهة، وعلى إعانة شيخ تنس من جهة أخرى إذ كان هذا الأخير على اتصال بحاكم وهران ووعدته بتقديم مساعدة هامة في حالة هجوم الإسبان. وبعد يومين، من عملية الإنزال هاجم عروج الجيش الإسباني وألحق به هزيمة نكراء تكبد خلالها خسائر قدرت بـ : 3000 قتيل و 800 أسير، وأكد هذا الانتصار نفوذ عروج بالمدينة⁵¹.

في غضون تلك الأحداث كانت تلمسان تعيش تطاحنا عائليا من أجل الملك حيث كان الصراع على أشده حول السلطة؛ إذ زج السلطان أبو حمو الثالث الذي أعلن ولاءه وتبعيته للحامية الإسبانية بوهران منذ 1511 م - بابن أحيه : أبو زيان في السجن. لقد دفعت هذه الأوضاع بأبي زيان وسكان المدينة بالاستنجاد بعروج. وحاول جيش أبي حمو الحيلولة دون دخول عروج تلمسان فسار لملاقاته والتقى الجيشان بسهل سيدي بلعباس وهزم "أبو حمو" الذي لاذ بالفرار إلى وهران حيث احتفى بالإسبان.

ودخل عروج تلمسان ونصب أميرا إلا أنه سرعان ما أخذت الأحداث تجري آخر حيث اغتيل أبو زيان وعدد هام من أفراد عائلته واستولى عروج على القلعة المشورة. فسارع حينئذ القائد الإسباني حاكم وهران إلى التدخل بجيش قوامه 10.000 جندي لاسترجاع تلمسان وإعادة تنصيب أبي حمو الثالث⁵²؛ إذ أن وجود عروج بتلمسان أصبح يشكل خطرا عليهم لسببين أساسيين : أولهما تهديده للحاميات الإسبانية، سيما وهران، ثانيهما قرب تلمسان من سواحل إسبانيا الجنوبية. لقد سار الجيش الإسباني أولا إلى قلعة بني راشد حيث كان يربط بها إسحاق، فقضوا على القاعدة وعلى من فيها. ثم توجهوا إلى تلمسان فضربوا عليها حصارا طويلا مدة ستة أشهر تضرر أثناءه عروج ورفقاؤه كثيرا حيث قلت ذخيرته

وتناقص عدد رجاله فقرر عندئذ اختراق الحصار ليلا لكنه لقي حتفه قرب نهر المالح في صائفة 1518⁵³. وبوفاته تفقد الجزائر أحد الأبطال. وحينما توفي عروج كانت هاته القوة الفتية قد حققت انتصارات عدة بل يمكن القول أنها وضعت الأسس الأولى للكيان السياسي الجديد إذ تم مد النفوذ بالمنطقة الوسطى والغربية حيث أخضعوا سهل متيحة وسهل الشلف ومنطقة التيطري والونشريس.

خير الدين بربروسة وانضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية :

وجد خير الدين نفسه بعد مقتل أخيه في موقف حرج للغاية فقد أدرك في الحال ضعف موقفه السياسي ومركزه الحربي. فالأعداء يحيطون به من كل جانب. ففي الغرب بقايا بني زيان في تلمسان و حلفاؤهم الإسبان بوهران وفي الشرق بنو حفص والإسبان وكان كل طرف يسعى للإطاحة به. ولم يكن يتمتع أول الأمر بشعبية واسعة وعريضة كشعبية أخيه، إذ لم تكن له علاقات برؤساء القبائل فضلا على أنه واجه نقصا في السلاح والعتاد. وهو ما وصفه لنا صاحب الغزوات أثناء تدوينه للحوار الذي دار بين خير الدين وأعيان مدينة الجزائر : "...أنا بقيت في بلادكم منفردا غريبا لا ناصر لي ولا معين، وقد رأيتم ما وقع من سلطان تلمسان وما أجلب به علينا من النصارى..."⁵⁴ ولا ريب أن الوضع الصعب الذي أصبح عليه خير الدين دفع به إلى التطلع صوب الشرق ففي هذه الأثناء كانت الإمبراطورية العثمانية في أوج توسعاتها، فبعد صراع مرير مع الإمبراطورية البيزنطية استطاعت تحقيق انتصار ساحق بفتحهم للقسطنطينية عام 1453 على يد محمد الفاتح⁵⁵ ثم توالى انتصارات الجيش العثماني حيث حققوا انتصارا ساحقا ضد الفرس عام 1514، ثم في سوريا 1515، ثم في مصر عام 1517⁵⁶.

وبعد مرور سنتين على تلك الانتصارات وجه أعيان مدينة الجزائر رسالة إلى السلطان سليم الأول يناشدونه فيها الحماية والانضمام إلى الدولة العثمانية. وتعد

هذه الرسالة أول وثيقة في تاريخ العلاقات بين الطرفين، ومما جاء فيها : "ومفاد مايريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي. إلا أن عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار إذ هدفهم هو النيل منا، ونحن على غاية الضعف والبلاء ...".⁵⁷

ونجحت البعثة الجزائرية في تحقيق أهدافها، إذ سارع السلطان سليم الأول إلى منح رتبة بايلر باي إلى خير الدين. وهي رتبة تحول صاحبها اختصاصات إدارية وسياسية واسعة ومتشعبة. كما تجعله قائدا أعلى للقوات المسلحة في إقليمه ممثلا للسلطان. وكان من مدلولات منح هذه الرتبة الرفيعة أن بلاد الجزائر أو المنطقة التي كان يحكمها خير الدين في ذلك الوقت والتي قد يمتد إليها نفوذه ونفوذ خلفائه في قابل الأيام تصبح تحت السيادة العثمانية وأن أي اعتداء خارجي على أراضيها يعتبر اعتداء على الدولة العثمانية⁵⁸.

أدت تلك التطورات إلى تخوف القوى المحلية والإقليمية على حد سواء من هذا النفوذ الجديد. فخير الدين الذي انتصر على نائب ملك صقلية هيقو دي مونكادا Hugo de Moncada في صائفة 1519 أضحى باعتباره ممثلا للسلطان العثماني يستند إلى أعظم قوة وقتذاك.

فلم يحل عام 1520 حتى كان الاضطراب الذي أثاره الطموح والمنافسة على الملك. وتذهب بعض الروايات إلى أن تمرد ابن القاضي أمير كوكو⁵⁹ يعود إلى تحريض السلطان الحفصي الذي استغل الموقف الجديد واقنع ابن القاضي بضرورة طرد العثمانيين. وكان رد فعل خير الدين في بادئ الأمر عنيفا حيث وجه وحدة من المشاة مزودة بالأسلحة النارية لمواجهة. وحاربه حربا مريرة بجبال القبائل اضطر على إثرها ابن القاضي إلى اللجوء إلى عنابة حيث تلقى هناك مددا عسكريا من السلطان

الحفصي في حين جاء في رواية أخرى، أن اتفاقا مسبقا وقع بين ابن القاضي والسلطان الحفصي⁶⁰.

ولم يكن خير الدين وقتذاك يثق كثيرا في ولاء الجميع فرفض المغامرة وقرر المحافظة على وحدة قواته بدلا من المخاطرة بحصار طويل وضعيف للجزائر مما جعله يتخلى عن عاصمته ويعود إلى قاعدته جيئج⁶¹. ولم يتدخل السلطان العثماني سليمان القانوني لإنقاذ الموقف -ففي غضون هذه الأحداث- كان منشغلا في جبهات مختلفة ما بين 1520 و 1529 احتلت الجيوش العثمانية بلغراد عام 1521 ورودس عام 1522⁶².

حسن آغا⁶³ خليفة خير الدين :

تتضارب المصادر حول تحديد فترة حكم حسن آغا⁶⁴ لكن الشيء المؤكد هو أن خير الدين لدى مغادرته لمدينة الجزائر - لما استدعاه السلطان العثماني - وقع اختياره على رجله المفضل، ومحل ثقته وهو حسن آغا، ليدبر شؤون البلاد في غيابه، فعينه خليفة له لذا بعض المصادر الأوروبية والعثمانية أيضا تضيفي على حسن آغا، صفة الخادم أو الخليفة⁶⁵.

ولم يكن اختيار خير الدين لحاكم ينوب مكانه في ذلك الظرف العصيب بالأمر الهين. فهي فترة احتدم فيها الصراع بين شارل الخامس من جهة وخير الدين من جهة أخرى. ومن ثمة فإن التحرشات الإسبانية كانت ما تزال تهدد الجزائر. كما أن الأوضاع الداخلية هي الأخرى لم تكن قد استتبت استتابا نهائيا بعد. فكان على خير الدين أن يختار حاكما يكون في مستوى التحديات. لا ريب أن خير الدين توسم في حسن آغا الشخصية المؤهلة لمثل ذلك المنصب. فقد كان رجلا جامعا لصفات ومناقب عديدة، حيث جمع بين العقل والعلم والاستقامة وحسن التدبير والحزم والشجاعة. كما أنه كان "سخيا بالمال باذلا للمعروف"⁶⁶.

ورث حسن آغا وضعية عصبية وحرجة فقد كانت مختلف الأخبار ترد على الجزائر تفيد أن ملك إسبانيا شارل الخامس يعد حملة ضد الجزائر. وكان لتلك الأخبار أثرها البالغ في نفوس الأهالي. وهو ما أشار إليه تقرير إسباني يعود إلى عام 1536. "... إن سكان المدينة في قلق شديد لأنهم اتصلوا بأنباء موثوق بها تفيد تحرك اسطول جالاتكم".⁶⁷

مما جعله يسخر كافة جهوده على الجبهة الداخلية للتصدي للعدو. فحشد وجمع القوى لمواجهة مختلف الاحتمالات. كما راح حسن آغا يشجع الجهاد البحري فصنع إحدى وثلاثين سفينة من نوع الغليوطة للإغارة على السواحل الإسبانية. ويشير صاحب الغزوات إلى أنه عاث بها فسادا، وجلب الغنائم الوفيرة مثله في ذلك مثل خير الدين قبله.⁶⁸

ولم يكتف حسن آغا بضرب العدو في عقرب داره، بل التفت إلى تحصين المدينة من ذلك تحصينه للبنيون، فوضع بطاريات بدل الأسوار الصغيرة التي كانت تحيط به. كما أعاد بناء السور الذي انهار نتيجة تماطل الأمطار الغزيرة.⁶⁹

وكانت خطة حسن آغا للتصدي للعدو استراتيجية تمثلت أولا في ضرب العدو في عقرب داره وهو ما تجلّى في شنه للحملات العديدة ضد السواحل الإسبانية، وثانيا في تعزيز تحصينات المدينة لمواجهة أي هجوم.

حققت الجزائر انتصارا ساحقا باسترجاعها لصخرة الجزائر "البنيون" عام 1529⁷⁰ ولم يترك الإسبان ساكنا فاهمماك الإمبراطور في حرب ضارية ضد فرانسوا الأول حال دون ذلك. وكانت تلك الأوضاع فرصة مواتية لأن يواصل البحارة الجزائريون تحقيق الانتصارات تلوى الأخرى ضد الإسبان. ففي غزواتهم استولوا على 8 سفن كانت تحت قيادة الأميرال الإسباني "رود ريقيس" رغم تسليحها الجيد⁷¹ لكن إبرام

معاهدة نيس مع فرنسا، فتح مجالا واسعا لشارل الخامس كي يعد حملته ضد الجزائر لا سيما وأن فرا نسوا الأول تعهد له بالتزام الحياد. كما أن انتصاره في تونس عام 1535 شجعه على العزم على تخطيم الجزائر التي ظلت "كالشوكة في جنب الاسبان". ثم أن شارل الخامس كان يرى أن أول واجب يتحتم القيام به بصفته حفيد فارديناند الكاثوليكي هو القضاء على الجزائر. ولهذا الغرض أرسل جواسيسه إلى عين المكان ليعدوا له تقارير عن أوضاع الجزائر. ومن جملة التقارير التي أعدت في هذا الشأن تقرير سري يعود إلى عام 1533 جاء فيه :

"... يحكم الجزائر الآن حسن آغا، وينوب عنه في حالة غيابه حاج باشا (الصوردو) صاردو... يوجد بمدينة الجزائر 1800 تركي ونحو 3000 عائلة عربية و 300 عائلة يهودية. أما القوة التي بين يدي حسن آغا، وهو مخيم الآن خارج المدينة فهي تشمل 700 تركي، وألف فارس وألفين من المشاة من العرب"⁷².

كما طلب شارل الخامس من حكام الحاميات الإسبانية، أيضا إعداد تقارير عن أوضاع الجزائر. فقد أعد حاكم بجاية تقريرا تضمن أجبارا في غاية الدقة عن حالة الجزائر عام 1536 :

"... سكان المدينة في قلق شديد لأنهم اتصلوا بأنباء موثوق بها تفيد تحرك جلالستكم. وأخبرنا الأسرى المذكورون أن الأمطار الغزيرة التي انهمرت في فصل الشتاء قد هدمت سور المدينة... وقد أقدم السكان على ترميم ما تحطم بكل سرعة لكن العمل لم يتم إلى الآن"⁷³.

بعد تحضيرات طويلة انطلق الأسطول العرموم من مدينة ماهون يوم 18 أكتوبر 1541. لقد كانت هذه الأرمادة من أعظم ما شهده القرن السادس عشر حيث ضمت 516 سفينة شراعية، من بينها 65 بارجة كبيرة على متنها 12330 بحارا

و 23900 جندي. كما شارك النبلاء من اسبانيا وألمانيا وإيطاليا بأعداد من المتطوعين أيضا ⁷⁴ و أنظم إليه، فيلق من فرسان مالطا بقيادة أندري دوريا.

كانت هذه الحملة تضم أقدر، وخيرة رجال المسيحية، كولونا حفيد البابا وهيرنانداز كورتيز فاتح المكسيك، وحاكم مدينة وهران الكونت دالكودات ⁷⁵ وحرص شارل الخامس على أن تكون له قيادة الحملة، كي يفوز بشرف تحطيم مدينة الجزائر "مصدر قلق المسيحية". وصلت الأرمادة إلى جون الجزائر صباح يوم 20 أكتوبر وقد وصفها لنا صاحب الغزوات بقوله: "وخيل لأهل الجزائر حين طلعت هذه العمارة أنها جبل تسير في البحر، وحين أرست بذلك الجون خيل لهم أن جبلا استقر هناك" ⁷⁶.

انتاب سكان المدينة من حراء رؤيتهم لتلك الحملة فزع كبير، لكن تحسن آغا نجح في أن يعيد الطمأنينة في نفوس الأهالي فجمعهم و"جعل يسكنهم ويطيب نفوسهم ويهون عليهم أمر هذه العمارة" ⁷⁷.

ثم انتقل حسن آغا إلى التصدي للعدو فحشد كل ما لديه من قوى، وأعلن عن التعبئة العامة حيث أمر شيخ المدينة أن يطلب من السكان التزام قواعد الحراسة المعينة لهم، لحراسة مختلف الأبراج والبطاريات والأسوار وفور ذلك نصبت عليها الأسلحة والرايات الخضراء والصفراء المزينة بالهلال، وبعض الآيات القرآنية.

ثم امتطى فرنسا، وأصبح يجوب له شوارع المدينة مراقبا سير الأعمال عن كثب، بل أنه أشرف بنفسه على توزيع فرق الانكشارية على كافة أبواب المدينة. ففي باب عزون وضع فرقة هامة من الجيش الإنكشاري، وعين على رأسها القائد الحاج محمد. كما جعل القائد حسن في حراسة جزء من السور القريب من باب الوادي ووضع القائد يوسف في باب الوادي ⁷⁸.

وبينما الاستعدادات حثيثة، جاءه مبعوث إسباني يدعى لورانزو حاملا رسالة من شارل الخامس، جاء فيها: "...تحقق آني مالك هذه المدينة كما ملكت مدينة تونس... وقد بذلت لك الأمان. فإنك إن عانددت ولم تمل إلى ما دعوتك إليه أمرت العسكر يدفعون المدينة دفعة واحدة، ويقلعونها حجرا حجرا". وفور قراءة حسن آغا لنص الرسالة بعث إليه برد شديد اللهجة: "يا كلب النصارى ما قدرت على أضعف بلاد البربر فكيف على مدينة الجزائر. وقد سود الله وجوهكم في المرتين وفي هذه المرة كذلك إن شاء الله"⁷⁹.

وكان ذلك الخطاب يعني أن حسن آغا مستعد لخوض المعركة مع العدو. وكانت الخطة التي طبقها حسن آغا محكمة، إذ قرر مهاجمة العدو ليلا ومن الخلف بقوة تتشكل من ستمائة مقاتل وألفي فارس مما جعله يلحق خسائر جسيمة بالعدو⁸⁰ وفي اليوم الثاني زحف الجيش الإسباني نحو المدينة فتعرض إلى قصف متواصل بالمدافع والسهام، من أسوار المدينة وأبراجها. وعلى الرغم من ذلك نزل جيش العدو بكديفة الصابون، واتخذها قاعدة له واستمرت المعركة بين الطرفين⁸¹.

وفي اليوم التالي، تدخلت العناية الإلهية، إذ وقعت زوبعة عصفت بالأسطول لتزيد من خسائر العدو حيث تحطم عدد كبير من السفن، وغرقت سفن أخرى. كما غرق عدد كبير من الإسبان. واستطاع عدد ضخم من الأسرى المسلمين الذين كانوا يجذفون على متن السفن الإسبانية، أن ينجوا من قبضة الأسرى. وأحدثت الزوبعة بليلة كبيرة في صفوف الإسبان حيث "حيل لهم أن القيامة قد قامت من كثرة الرياح والأمطار..."⁸².

وتواصلت المعركة بين الطرفين، رغم تيقن العدو من أنها "خاسرة" بعد أن فقد كل عتاده الحربي، من مدفعية وما إلى ذلك. وأمام الكارثة التي حلت بالجيش الإسباني، تقرر في 26 أكتوبر الانسحاب بناء على نصيحة الأميرال أندريه دوريا، إلى

رأس تامنتفوست حيث كان الأسطول قد التجأ هنالك. ثم سار ما تبقى منه نحو بجاية ومنها أقلع في اتجاه إسبانيا.

لقد كانت الخسائر التي تكبدها العدو جسيمة ولاشك. لقد وصفها كرامون بالخراب La ruine⁸³ ووصفها آخرون بالكارثة "C'est un désastre"⁸⁴ إذ فقد الاسبان كل شيء : 200 سفينة، و 200 مدفع وكل العدة والذخيرة والأسلحة، أما ما غنمه الجزائريون فلا يمكن إحصاءه.

لقد هزت هذه الهزيمة، "المسيحية جمعاء" ووجهت الانتقادات والاثامات إلى الإمبراطور شارل الخامس. وراح فريق يتهمه بالعنيد المتصلب، ووصفه فريق آخر بالمتهور والمغامر، إذ غامر وصمم على توجيه الحملة في فصل الخريف فصل غير ملائم للملاحة. في حين حاول البعض الآخر تبريره، فنسجوا، وأحاكوا فكرة تسليم المدينة من طرف حسن آغا إلى شارل الخامس. وذهبوا إلى أن الطرفين تفاوضا بذلك الشأن. واستندوا في ذلك على عبارات وردت في رسائل اسبانية تعود إلى عام 1542.

"Le more... est celui qui, il y a un peu plus d'un an, entreprit Don Olonzo, au sujet de négociations de la part de Hassan- Agha..

... Que Don Alonso entende ce que lui veut le more et qu'il avise!"⁸⁵

إن غموض عبارات النص السالف الذكر، جعل كل مؤرخ يفسر ذلك كما يرغب. ويبقى السؤال مطروحا، فهل المفاوضات كانت بشأن مفاداة الأسرى، أو اتفاق تجاري أم قضايا أخرى؟ ومن ثمة فإنه ينبغي تنفيذ اتهام حسن آغا بتسليم المدينة إلى شارل الخامس وما يدعوننا إلى تنفيذها ودحضها ما يلي : إن الأعمال الكبيرة التي قام بها حسن آغا للتصدي للحملة لا تجعل مجالا للشك في إخلاصه. فقد قام بتحصين المدينة، ومنع السكان من الفرار خارج المدينة لما وصلتهم أخبار الحملة الإسبانية. كما أن الدور الذي أداه أثناء المعركة، خير دليل على ذلك، أن كافة أعماله، لم تكن أعمال رجل ينوي تسليم المدينة فقد أظهر حسن آغا شجاعة فائقة

في تصديه للحملة وفي بث الحماس في نفوس الأهالي مما جعل هايدو يقول: "لم يد ملك في أي موقف شجاعة أبلغ من شجاعة حسن آغا"⁸⁶.

لقد أكسب رد حسن آغا الناجح لأعظم حملة عسكرية أعدت وقتذاك أكسبه هبة وعظمة لا مثيل لهما. فهو الزعيم الذي أنقذ المدينة من السقوط في يد "الكفار". هذا ما جعل المؤرخ الإنكليزي وليام سبنسر يقول: "لقد أكسبه الانتصار المكانة القريبة من الوالي الصالح لدى المؤمنين"⁸⁷.

عمت الفرحة الكبرى مدينة الجزائر، وأقيمت الأفراح، وظل السكان يحتفلون بذكرى الانتصار لمدة ثلاثين سنة. كما صفق اليهود لهذا الانتصار نظرا لحقدهم على الإسبان الذين اضطهدوهم، وبقوا يحتفلون هم أيضا بهذه الذكرى⁸⁸.

أما أصدقاء الانتصار في البلاط العثماني، فقد كانت كبيرة حيث أثنى ثناء كبيرا على صانع الانتصار، حسن آغا. وفور ذلك وجه السلطان سليمان القانوني خلعه عظيمة سنية، وأمره يقضي بتأكيد حسن آغا كحاكم على الجزائر⁸⁹.

كما كان لكارثة الأرمادة على الشواطئ الجزائرية نتائج عظيمة بأوروبا أيضا⁹⁰. فقد منعت الدول الأوروبية عن التفكير في توجيه حملة عسكرية أخرى ضد الجزائر إبان القرن السادس عشر. واشتهرت مدينة الجزائر منذئذ بالمدينة ذات الحراسة الجيدة" التي لا تغلب، وبل "وبالمدينة المصونة والمحافظة من طرف العناية الإلهية" فعرفت بالجزائر المحروسة.

وعقب ذلك سارع فرا نسوا الأول إلى إرسال مبعوث عنه للبلاط العثماني حيث كان يوجد خير الدين ليهنته بالانتصار، وليلتمس منه المساعدات العسكرية الضرورية البرية منها والبحرية لمحاربة شارل الخامس.

وعن أصداء الانتصار كتب صاحب الزهرة النيرة " .. وشاعت هذه القضية في مشارق الأرض ومغاربها، وبقي رعب المسلمين في قلوب الكفرة مدة طويلة" ⁹¹.
بعد الانتصار العظيم الذي حققه حسن آغا ضد الإمبراطور شارل الخامس وجه أنظاره صوب الأوضاع الداخلية التي شهدت اضطرابات وتمردات تزعمها بعض الأمراء من ذلك، تمرد شيخ قبيلة كوكو، الذي سعى إلى التعاون مع الإسبان ضد حسن آغا حيث سار بجيشه نحو الجزائر ليقدم المدد والمساعدة لشارل الخامس. لكنه، لحسن الحظ، فإن المساعدة لم تتم، إذ جاء وصولها متأخرا، فقد كان الأسطول الإسباني قد غادر الجزائر، جارا وراءه ذبول الخيبة والهزيمة.

ولما علم حسن آغا بتلك الأحداث عزم على معاقبته، لكن فصل الشتاء جعله يؤجل ذلك إلى فصل الربيع. حيث خرج على رأس ثلاثة آلاف جندي وألفي فارس. واستطاع بفضل هذه القوة أن يرغم أمير كوكو على الإستسلام، وعلى دفع مبلغ مالي، ليس هذا فحسب بل على التعهد بدفع ضريبة سنوية ⁹². ومن الناحية الشرقية، انتقل حسن آغا إلى الناحية الغربية قصد تأديب وإخضاع المولى أحمد، الذي أعلن عصيانه عليه، بعد أن أظهر له الولاء والطاعة فسار حسن آغا نحو تلمسان، لكن المولى أحمد سارع إلى إنقاذ الموقف، فبعث إليه برسول وهدية ثمينة، معتذرا عما صدر منه ⁹³ فأفل حسن آغا راجعا بعد أن استطاع إخماد التمردات واسترجاع الأمن إلى البلاد. وظل يعمل جاهدا في ذلك السبيل حتى وافته المنية في جمادى الثانية عام 950 هـ، الموافق لستمبر 1545م. وقد أكسبته تلك الأعمال شعبية كبيرة مثلما سجله هايدو: "لا زال أناس ممن عاصروه يذكرونه بخير، ويمدحونه، ويعترفون له بالعدل والأنصاف" ⁹⁴.

وقع اختيار السلطان على حسن باشا بن خير الدين اعترافا بما قدمه والده خيرالدين للجزائر وللدولة العثمانية على حد سواء ⁹⁵. وخلال ولايته الأولى أولى

حسن باشا تنظيم الجيش عناية خاصة. ثم تصدى لقمع التمرد الذي أعلنته بعض القبائل بمنطقة مليانة⁹⁶. لكن أوضاع البلاد لم تستقر بعد بسبب تهديدات الإسبان المستمرة وبقايا بني زيان و هجومات السعديين. وظلت مدينة تلمسان بؤرة صراع مرير بين تلك الأطراف جميعا. فقد سار حاكم وهران إلى تلمسان عام 1546 لكن جيوش حسن باشا بمؤازرة قوة عسكرية قدمت من تلمسان ودحرته ونجح في إفسال الهجوم الإسباني على مستغانم⁹⁷. وبعدها فرغ حسن باشا من ذلك باشر تحصين المدينة حيث بنى بكدية الصابون برجاً أصبح يعرف ببرج مولاي حسان. كما يعود إليه الفضل في تزويد المدينة بعدد من المنشآت والمرافق العمومية منها مستشفى للجنود وعدد من الحمامات⁹⁸. ثم استدعي من قبل السلطان العثماني.

وحيثما غادر حسن باشا بن خير الدين الجزائر في فصل الربيع من عام 1552 تولى السلطة بعده صالح رايس. ولم يكن غريبا عن الجزائريين بل كان أحد رفقاء الأخوة ببروسة⁹⁹. وواصل جهود من سلفه من أجل مد النفوذ في المناطق الداخلية حيث وحده حملته الشهيرة إلى منطقتي ورقلة و توقرت بعدما امتنع شيوخها على تقديم ما عليهما من ضرائب حيث سار في شهر أكتوبر 1552 على رأس حملة عسكرية قوامها ثلاثة آلاف من المشاة وألف فارس. وانضم إليه في بجانة عبد العزيز حاكم قلعة بني عباس. وبدأ صالح رايس بتوقرت فهاجمها واستسلم إثر ذلك شيخها ورضخ لسلطته. ثم قصد ورقلة التي بادر شيوخها بالإدعان بعدما وصلتهم أنباء الصدام الذي وقع بين جيش صالح رايس وأهل توقرت¹⁰⁰. وبعدها أخضعهما وأرجعهما ضمن الوحدة الوطنية قفل راجعا حالبا معه غنائم وفيرة وغنية اشتملت حسب على خمسة عشر جملا محملا بالذهب ؟؟ بالإضافة إلى ما يزيد عن خمسة آلاف عبد¹⁰¹.

وبعد تلك النجاحات نهض صالح رايس إلى تحرير مدينة بجاية التي كانت تحت نير الاحتلال الإسباني منذ عام 1510. فأعلن الجهاد ضد الإسبان وسانده في ذلك

الطريقة القادرية. كما انظمت إليه مختلف القبائل بل وساندته أيضا قبائل كوكو وبني عباس وقبائل سهل الحضنة وقبائل الجنوب. وبفضل مؤازرة الجميع حشد جيشا يضم ثلاثين ألف محارب¹⁰². وبعد مواجهة عنيفة تيقن حاكم بجاية بأنه وحاميته في حالة يائسة فاضطر إلى الاستسلام. ودخل صالح رايس المدينة وافرغ عن الحاكم الإسباني وعشرين ضابطا وعائلاتهم وفي الوقت ذاته أسر نحو ستمائة أسير. وكان استرجاع بجاية انتصارا عظيما حيث فقد الأسبان قاعدة استراتيجية على الساحل الشرقي ومنذئذ انحصر الاحتلال في مدينة وهران. وكان استرجاع بجاية حافزا على الشروع في تحضير حملة عسكرية لتحرير وهران لكنه وفاته المنية بينما كان يبرج تامنتفوست يترقب وصول الإمدادات من استنبول عام 1556¹⁰³.

وفي أعقاب وفاة صالح رايس عين الباب العالي حسن بن خير الدين للمرة الثانية فوصل في جوان 1557. وكان من أهم التحديات التي تنتظره التصدي للإسبان ولخطر السعدي ففي المعركة التي دارت بين جيوشه وجيوش الإسبان لقي القائد الكودات حتفه وأسر ابنه دون مارتان بل إن بقايا الجيش الإسباني بأكملة استسلمت في يوم الجمعة 26 أوت عام 1557. وعاد حسن باشا بنحو ستة آلاف أسير وظل هؤلاء مدة طويلة في الأسر "فدون مارتان" نفسه لم يتم افتدائه إلا عام 1561 من قبل أخيه الذي خلف والده¹⁰⁴. وبذلك حقق حسن باشا انتصارا عظيما على الإسبان الذين فقدوا كل شيء في هذه المعركة.

وحيثما تولى حسن باشا السلطة للمرة الثالثة عمل على وضع أسس التنظيمات الإدارية والعسكرية إذ ينسب إليه تقسيم البلاد إلى مقاطعات عرفت بالبلديات¹⁰⁵ وعمل على طرد الإسبان من وهران حيث وجه حملة في 1563 وحاصرها وأوشك على تحريرها.

لكن الجيش الانكشاري ثار ضده فغادر حسن بن خير الدين الجزائر نهائيا في أوائل 1567¹⁰⁶. ويمكن القول أن جهود حسن بن خير الدين تركزت في القضاء على الإسبان وفي رد هجومات السعديين حتى وإن أخفق في تحرير وهران فقد نجح في إضعاف الإسبان ولو مؤقتا.

الهوامش :

¹ . حول تاريخ دولة بني عبد الواد أو الدولة الزيانية راجع : - أبو زكرياء يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980.

- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

² . حول أوضاع المغرب الإسلامي راجع :

يحيى جلال، تاريخ المغرب الكبير، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

- العسروي، تاريخ المغرب، محاولة في التركيب، ترجمة ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977.

³ . المسدي، حرب الثلاثمائة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 69.

⁴ . نفسه.

⁵ .

⁶ . Ch A , JULIEN , Histoire de l'Afrique du nord de la conquête arabe à 1830, 2^{ème} édition , Sned , Alger , 1978. p 250.

⁷ F , BRAUDEL , Les espagnols et l'Afrique du nord de 1492-1577 , Revue Africaine , 1928. p 198.

⁸ . حول الاكتشافات الجغرافية راجع :

عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1997.

⁹ . العسروي، تاريخ المغرب، ص 243.

¹⁰ BRAUDEL , Les espagnols , p 193-194.

¹¹ . Ibid , p 225.

¹² . جيمينيس دي سيسنروس كاردينال إسباني عرف بتطرفه وتعصبه ضد المسلمين. ولد بقشتالة عام 1436 كان من الموظفين السامين في بلاط الملكة إيزابيلا. وفي عام 1507 أنيطت به مهمة الإشراف على محاكم التفتيش التي زرعت الرعب والذرع في نفوس المسلمين بالأندلس.

¹³ . إن الصبغة الصليبية لهذه الحروب أشار إليها حل المؤرخين.

¹⁴ .المدني، حرب الثلاثمائة، ص 80.

¹⁵ .BRAUDEL , Les espagnols , p186.

¹⁶ .حول المهجرة الأندلسية وسقوط غرناطة راجع :

- عبد الجليل التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان العثماني إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541، المجلة التاريخية المغربية، عدد 3، 1975، ص 100-106.

- جمال بجاوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس 1492-1610، دار هومة، الجزائر 2004.

- Fernand , BRAUDEL , La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II ,2 Tomes , Paris. 1976.

¹⁷ .BRAUDEL , Les espagnols , p212.

¹⁸ .المدني، حرب الثلاثمائة، ص 80.

¹⁹ .المدني، حرب الثلاثمائة، ص 114.

²⁰ .نفسه، ص 20.

²¹ . Pierre Navarro , conquérant de Vélez , Oran, Bougie , Bulletin de la société de géographie d'Alger , T XV , 1925 , pp 47-78.

²² .المدني، حرب الثلاثمائة، ص 113.

²³ .عبد القادر المشرفي، بحجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسمانيين بوهران من الأعراب

كسبي عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت. وانظر أيضا :

- Paul RUFF , La domination espagnole à Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete 1534-1558 , Présentation de Chantale de LAVERONNE Eds Bouchène , Paris, 1998, p28-29..

²⁴ .المدني، حرب الثلاثمائة، ص 122-123.

²⁵ Charles FERAUD, Lettres arabes de l'époque de l'occupation espagnole en Algérie, Revue Africaine, 1873 pp313-314.

- Adrien BERBRUGGER, Le pégnon d'Alger, ou les origines du gouvernement turc en Algérie, 1860.

²⁶ Corinne CHEVALIER, Les trentes premières années de l'Etat d'Alger, 1510-1541, OPU , Alger, 1986, p 34.

²⁷ BRAUDEL , Les espagnols, p 191.

²⁸ Jean CAZENAVE, les présides espagnoles d'Afrique, Revue Africaine, 1922, p 226.

²⁹ Charles André , JULIEN, Histoire de l'Afrique du nord de la conquête Arabe à 1830, Sned , Alger, p 253

³⁰ RUFF , La domination espagnole , p 15.

³¹ .العروي، تاريخ المغرب، ص 247-248.

32 الطريقة القادرية.

33 الطريقة الشاذلية، أسسها أبو الحسن الشاذلي، وانتشرت تعاليمها في الجزائر، وكانت إحدى أهم الطرق الصوفية.

34 نقلا عن سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول.

35 سيدي عبدالرحمن الثعالبي من رجال التصوف ومن أعيان وعلماء مدينة الجزائر. ولد بناحية يسر عام 1384 وانتقل إلى مدينة بجاية ثم ارتحل إلى تونس ومنها إلى المشرق حيث زار مصر قصد البقاع المقدسة. اشتهر بثقافته الغزيرة ألف ما يزيد عن تسعين مؤلفا.

36 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 348.

37 حول الشيخ محمد التوائي، انظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول.

38 ابن سحنون الراشدي، الثغر الحماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 15.

39 حظي موضوع سقوط الأندلس وتداعياته بدراسات عديدة

40 المدني، حرب الثلاثمائة، ص 156.

41 Julien de LAGRAVIERE, Les corsaires barbaresques et la marine de Soliman le magnifique, Plon, Paris, 1887.

- ACHARD, la vie extraordinaire des freres barberousse, corsaires et roi d'Alger, Paris, 1939.

42 السلطان سليم الأول الملقب بـ "ياوز" أي القاطع 1512-1520. تاسع سلاطين الدولة العثمانية. تميز عهده بالفتوحات الخارجية والتنظيمات الداخلية. راجع:

فريد بك الحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط3، 1983، ص 188 وغيرها.

تحليل اينالجييك، تاريخ الدولة العثمانية - من النشوء إلى الانحدار - ترجمة محمد م، الأرنؤوط، بيروت، 2002. ص 53 وغيرها.

43 بسام العسلي، خير الدين بربروس، ص

44 Elie de Laprimaudaie, Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française, Lahure, Paris, 1861

- Mas de latrie, Traité de paix et de commerce, Paris, 1866.

45 حول هذه الشخصية راجع:

فيصل عبد الله أحمد الكندري، الملاح والجغرافي بيوري رايس، دراسات جغرافية، الجمعية الكويتية الجغرافية، العدد 234، 1999.

- كاتب حلي، تحفة الكبار في أسفار البحار، اسطنبول، 1911، ص 26-27.

⁴⁶ الماني، حرب الثلاثمائة، ص 172.

⁴⁷ غزوات عروج وخير الدين، ص

⁴⁸ SANDER RANGE, Fondation de la régence d'Alger, Ed Bouslama, tunis, 2 vols.

⁴⁹ Julien de LAGRAVIERE, Les corsaires barbaresques et la marine de Soliman le magnifique, Plon, Paris 1887.

⁵⁰ Henri de GRAMMONT, Alger sous la domination Turque 1515-1830, Bouchène, Paris, 2000, p44.

⁵¹ CHEVALIER, Les trentes premières, p 34.

⁵² GRAMMONT, Alger sous, p43.

⁵³ إن موقع استشهاد عروج محل خلاف بين المؤرخين. انظر :

Diégo de Haedo , Histoire des rois d'Alger, Bouchène, Paris, 2000, p47-48.

GRAMMONT, Alger sous la domination turque 1515-1830, Bouchène, Paris, 2000, p46.

^{54 bis} غزوات عروج وخير الدين، ص 44.

⁵⁴ السلطان الغازي محمد الثاني الملقب ب الفاتح أو ب أبي الفتوح 1429 - 1481 سابع سلاطين الدولة العثمانية وهو محقق الفتح العظيم فتح القسطنطينية عام 1453. دام حكمه واحدا وثلاثين سنة له مآثر وأعمال جليلة. انظر :

- فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ص 160 - 178.

- اينالجيلك، تاريخ الدولة العثمانية

⁵⁵ حول التوسعات العثمانية راجع :

- فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 160 - 178.

- اينالجيلك، تاريخ الدولة، ص 41 وغيرها.

- محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة.

- عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1516-1916، مطابع ألف باء، دمشق، 1974.

⁵⁷ عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519، المحلة التاريخية المغربية، عدد 6، 1976 ص 116-120.

⁵⁸ عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، جامعة عين شمس، القاهرة، الجزء الثاني، 1986.

⁵⁹ حول إمارة كوكو راجع :

- أحمد ساحي، الزواوة : من القرن السادس حتى الثامن عشر عهد الإمارة 1512-1767 رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.

⁶⁰ Grammont, Alger sous la domination, p49.

⁶¹ إتر، الأتراك العثمانيون، ص 81.

⁶² إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية، ص 57.

⁶³ إن الأخبار بشأن صباه المبكرة و الوسط الذي نشأ فيه قبل أن يوسر ويؤتى به إلى الجزائر شحيحة للغاية ما عدا أنه من جزيرة سردينيا، ويرجح أن ولادته كانت نحو عام 1489م.

أسره خير الدين بربروسة في إحدى غزواته، على شواطئ تلك الجزيرة وهو في سن مبكرة. وغدا عبدا لخير الدين ويبدو من سير الأحداث، إنه سرعان ما اعتنق الإسلام مما جعل سيده يعتقه وأصبح منذئذ يشرف على تربيته وتوجيهه. وقد أبدى الشاب الصغير من الفطنة والنباهة ما جعل خير الدين يسند إليه مهمة تسيير ورعاية شؤونه ومصالحه الشخصية، بل وإدارة أمواله أيضا. فقد حظي بحظوة خاصة لديه ويذهب بعضهم إلى أن العلاقة بينهما كانت علاقة الأب بالابن. ثم أسندت إليه وظائف مدنية وعسكرية إلى أن ارتقى منصب الأغا، الذي يعد أعلى منصب في الجيش البري. فعرف حسن منذئذ بحسن آغا، إلى أن وافته المنية.

⁶⁴ يرى أحمد توفيق المدني أن فترة حكم حسن آغا تمتد من 1533-1544 في حين يذهب ابن أبي شنهو أن حسن خلفه خير الدين وبقي في الحكم إلى غاية وفاته عام 1445. بينما تحددها الموسوعة التركية بالفترة الممتدة من: 1534-1542.

⁶⁵ Chevallier, Les trentes premières, p.80.

⁶⁶ غزوات عروج و خير الدين، ص 115.

⁶⁷ نقلا عن بسام العسلي، خير الدين بربروس - ط 2، بيروت 1983، ص 143.

⁶⁸ غزوات عروج...، ص 115.

- ⁶⁹ نقلا عن، توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792، ط 2. الجزائر، ص 277.
- ⁷⁰ وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الجزائر، 1980، ص 37.
- ⁷¹ رولف جون، الجزائر وأوروبا، تعريب وتعليق أبي القاسم سعد الله. الجزائر، ص 50.
- ⁷² نقلا عن المدني، حرب الثلاثمائة، ص 277.
- ⁷³ العسلي، حمر الدين، ص 143.
- ⁷⁴ GRAMMONT , Alger sous la domination, p68.
- ⁷⁵ RUFF , La domination espagnole , p86
- ⁷⁶ نفسه. وانظر أيضا: الجديري التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة. نشرها سليم بابا عمر. مجلة تاريخ وحضارة بلاد المغرب. عدد 3، 1967، ص 15.
- ⁷⁷ غزوات عروج، ص 125.
- ⁷⁸ غزوات عروج، ص 116.
- ⁷⁹ غزوات عروج، ص 125.
- ⁸⁰ المدني، حرب الثلاثمائة، ص 337.
- ⁸¹ مولاي بالحميس، غارة شرلكان على الجزائر، 1541/948 بين المصادر الغربية والمصادر الإسلامية، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، عدد 6، 1969، ص 45.
- ⁸² غزوات عروج، ص 125.
- ⁸³ GRAMMONT, Alger sous la domination, p 75.
- ⁸⁴ RUFF, La domination espagnole, p88
- ⁸⁵ Adrien, Berbrugger, Négociations entre Hassan Aga et le comte d'Alcandette 1541-1542". In.Revue Africaine, T.9 1865 pp.379- 385.
- ⁸⁶ Haedo, Histoire des rois d'Alger, p77.
- ⁸⁷ سبنسر، الجزائر في عهد رياس، ص 50.
- ⁸⁸ بالحميسي، غارة شرلكان، ص 54، 55.
- ⁸⁹ سبنسر، الجزائر في عهد رياس، ص 39.
- ⁹⁰ GRAMMONT , Alger sous , p 75.
- ⁹¹ التلمساني، الزهرة النيرة، ص 19.
- ⁹² Haedo, Histoire des rois , p79

⁹³ Ibid, p 80.

⁹⁴ Ibid, p 82.

⁹⁵ هذا ما ذهبت إليه بعض الدراسات.

⁹⁶ مبارك بن محمد الحلاي الميلي، تاريخ الجزائر في القدم والحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964. ص 74.

⁹⁷ RUFF, La domination espagnole, p86.

⁹⁸ إتر، الأتراك العثمانيون، ص 181.

⁹⁹ المدني، حرب الثلاثمائة، ص 337.

- ناصر الدين سعيدوني، عريضة أعيان قسنطينة في شأن صالح رايس، المجلة التاريخية المغربية، العدد التكريمي للأستاذ آحرون، 1996، ص 161-177.

¹⁰⁰ Haedo, Histoire des rois, p 98-99.

- GRAMMONT, Alger sous La domination p 82.

¹⁰¹ GRAMMONT, Alger sous La domination, p 82.

¹⁰² المدني، حرب الثلاثمائة، ص 343.

- الميلي، تاريخ الجزائر، ص 84.

¹⁰³ Haedo, Histoire des rois, p108.

- GRAMMONT, Alger sous La domination, p 99.

¹⁰⁴ RUFF, La domination espagnole, p 174-175.

¹⁰⁵ Pierre BOYER, Beys et beyliks, essai sur les origines de l'administration provinciale dans la régence d'Alger, Atti del congresso internazionale di studi nord africani, 1965 p163-166.

¹⁰⁶ GRAMMONT, Alger sous La domination, p 99.

الفصل الثاني

النظم السياسية والعسكرية

السلطان أو الأوصياء¹⁰

المبحث الأول : النظم السياسية

من إعرارو الأستاذة عائشة غطاس
و الأستاذة نعيمة بومشوش

مرّت الجزائر منذ انضمامها للدولة العثمانية بأربع مراحل سياسية هامة هي :

- مرحلة البايلربايات (1519 - 1587).

- مرحلة الباشوات (1587 - 1659).

- مرحلة الآغوات (1659 - 1671).

- وأخيرا مرحلة الدايات (1671 - 1830).

فما تميّزت كل فترة ؟

أ . مرحلة البايلربايات (1519 . 1587):

خلال معظم فترة القرن السادس عشر كانت السلّطة تمارس من طرف البايلربايات مباشرة أو عن طريق نوابهم، وكانت سلطتهم تصل إلى باشوات تونس وطرابلس، وكانوا يتصرفون باستقلالية¹ ويتمتعون بثناء كبير². وقد طغت في هذه المرحلة فكرة مقاومة الاحتلال الإسباني، سواء على الأرض الجزائرية أو في البحر الأبيض المتوسط. وظهر فيها تعاون وتفاهم رائعان بين مقر الخلافة اسطنبول والجزائر المنضمة حديثا لحظيرة الدولة العثمانية، إذ جمع الطرفين فكرة الوحدة الجهادية لمواجهة التوسعات الاستعمارية للقرن السادس عشر، فالمصالح مشتركة بين الطرفين والعدو واحد.

بعد أن انضمت الجزائر للدولة العثمانية عقب إرسال رسالة أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول وقبوله بالعرض الذي قدمه الجزائريون عين خير الدين بربروس أول

حاكم للجزائر بلقب بايلرباي³. وقد حكم خلال هذه الفترة حوالي 20 حاكما عاد عدد منهم إلى الحكم مرتين أو أكثر⁴، وكان عدد منهم يحملون لقب بايلرباي كحسن بن خير الدين، صالح رايس، علج علي، في حين كان آخرون عبارة عن خلفاء للبايلربايات ينوبون عنهم في الحكم عندما يستدعون من قبل السلطان⁵.

كان الرجال الذين يعيّنون على رأس الولاية أو الباشوية يمتازون بالشجاعة والذكاء وحسن التسيير، ويبدو أن السلطان كان يعيّنهم اعتبارا لشهرتهم في مقاتلة الأعداء كخير الدين بربروس، وحسن آغا بعد ردة حملة شارلكان، أو لشهرة آبائهم كحسن بن خير الدين ومحمد بن صالح رايس، أو لثقته الكبيرة فيهم كصالح رايس الذي كان قائدا للسفينة السلطانية قبل تعيينه في منصب بايلرباي. كما أن السلاطين العثمانيين قد يعيّنون حكاما للإيالة بعد استشارة العارفين بالإيالة وأحوالها، إذ نجد السلطان بعد تعيينه لحسن بن خير الدين للمرة الرابعة وتوقعه عدم قبوله لهذا المنصب يوجه رسالة إلى علج علي قبطان الأسطول العثماني يستشيريه فيمن يراه مناسبا لتولي هذا المنصب في حال تنازل حسن بن خير الدين عنه⁶.

كان حكام الجزائر خلال فترة البايلربايات من أصول متعدّدة، إذ نجد منهم العلج كحسن آغا وحسن قورصو، والتركي كقائد صفا ومحمد باشا تكرلي، والعربي كصالح رايس وعرب أحمد، والكرغلي كحسن بن خير الدين. ورغم وجود الأوجاق المشكل من الإنكشارية القادمين من القضاء العثماني فقد امتازت هذه الفترة بحكم رياس بحر كبار لم يكونوا يعملون لحسابهم الخاص أو لحساب طائفة الرياس، ولم يكونوا يسعون لمعارضة الشخص الذي يقلّده السلطان إمرة الجزائر، وقد أدى هم الأمر إلى حد الانضمام إلى مرشح السلطان محمد تكرلي⁷ ضد الإنكشارية، رغم عدم كونه من طائفة الرياس⁸، وساعده على الوصول إلى السلطة وفاء منهم للسلطان الذي تربطهم به وحدة المصير في الصراع الإسلامي - المسيحي الذي شهده القرن السادس عشر. ويذكر بوايه أنه لم يحدث أن حاولت طائفة الرياس فرض مرشحها على السلطان أو الأوجاق¹⁰.

عرفت فترة البايلربايات بروز شخصيات بارزة جد مؤثرة على ساحة الأحداث الداخلية والخارجية، أمثال خير الدين بربروس وحسن آغا وحسن بن خير الدين، صالح رايس وعلج علي، الذين ساهموا في تنظيم وتطوير البلاد والدفاع عنها وتحسين دفاعاتها وحصونها لصد الأعداء، كما ساهموا في الدفاع عن حدود الدولة العثمانية ومصالحها الحيوية.

ففي المجال الداخلي وضع البايلربايات أسس الجزائر الحديثة، إذ عززوا نفوذ السلطة المركزية، وعرفت الجزائر حدودا ثابتة وعاصمة رسمية. ففي عهد حسن بن خير الدين وضعت الأسس الأولى للتنظيمات الإدارية الحديثة، إذ قسّم البلاد إلى مقاطعات عُرفت بالبايليكات (بايلك التيطري، بايلك الشرق، بايلك الغرب)، وخصت الجزائر بنظام خاص عرف بدار السلطان¹¹. وسعى حكام آخرون إلى تطهير الأرض الجزائرية من الوجود الإسباني شرقا وغربا، فقد تمكن صالح رايس من تحرير بجاية والقضاء على الدولة الزيانية نهائيا في عام 1555¹²، كما قضى على التمردات الداخلية، ووسّع نفوذ السلطة المركزية حتى الأقاليم الصحراوية¹³.

وما دامت سلامة البلاد تركز على قدرتها على الصمود فقد اهتم حكام الجزائر خلال فترة البايلربايات بتحصين البلاد، وما دام الخطر يأتي غالبا من البحر، فقد عززوا الدفاعات البحرية، إذ عمّرد تحرير حصن البنيون في 1529 هدمه خير الدين بربروس وبنى ما عُرف بحوض خير الدين، وذلك لتأمين السفن من الرياح الشمالية الغربية، وأنشأ حصنا ذا أربعة طوابق، يشتمل على فوّهات لرمي النيران لحماية المدينة وحوض السفن من أي خطر. وما فتى خلفاء خير الدين يولون اهتماما كبيرا لهذا الميناء، باعتباره المنطقة الأكثر عرضة للخطر الأجنبي والملجأ الآمن لسفنهم ونقطة الاتصال الرئيسية مع العالم الخارجي، إذ أضيفت له تحصينات جديدة في 1556 ثم في 1568 و1573¹⁴. أما المدينة فقد تمّ تحصينها كذلك بالأسوار والأبراج وحُفرت الخنادق¹⁵.

لم تتركز نشاطات البايبربايات على المجال الداخلي فقط، وإنما كانت لهم مساهمات معتبرة في الدفاع عن الجزائر ضد الحملات المعادية وفي المشاركة في الصراع العثماني - المسيحي وتوسيع النفوذ العثماني إلى غرب البحر الأبيض المتوسط ووضع خريطة جديدة لهذه المنطقة.

ففي مجال الدفاع عن الحدود الجزائرية تمكّنت الجزائر في 1541 من صد حملة شارلكان الصليبية وهي تحت حكم حسن آغا خليفة خير الدين¹⁶، وقد صدم نبأ صمود الجزائريين أمام شارلكان وإحاقهم الهزيمة به أوروبا، وجعلها تفكر قبل أن تتجرأ على إرسال حملة ضد الجزائر، وتبوءت الجزائر منذ ذلك الحين مكانة معتبرة، وأصبحت تدعى "الجزائر المحروسة".

غير أن المؤامرات في الخفاء بقيت مستمرة من الجانب الإسباني، خاصة مع السعديين على الحدود الغربية للجزائر، لكن البايبربايات المتوالين على السلطة تصدّوا لها وتمكّنوا من تأمين الحدود الغربية للجزائر¹⁷. ولم يقف نشاط البايبربايات عند هذا الحد، فقد أبلوا البلاء الحسن خلال مساهمتهم في حوض الجهاد المشترك في المتوسط والذي انخرّ عنه توسيع النفوذ العثماني بالمنطقة على حساب النفوذ الإسباني.

فقد ساهمت الجزائر في عهد البايبربايات إلى جانب الدولة العثمانية في مجالين: يتمثل الأول في طلب الدولة العثمانية من بايبربايات الجزائر تحديث الأسطول العثماني، وقد كان ذلك على يد خير الدين بربروس في 1533، إذ غادر الجزائر رفقة 17 رايسا و18 سفينة، وتمكّن بعد تعيينه أميرالا للأسطول العثماني من إنشاء 61 مركبا بين باشرده وشيبي¹⁸. أما بعد نكبة ليبانت عام 1571 فقد لجأ السلطان العثماني إلى بايبرباي الجزائر علق علي وعينه أميرالا للأسطول العثماني، وكلفه بتحديث الأسطول وتعويض ما دمر منه، فتمّ ذلك في وقت قياسي، إذ في جوان 1572 خرج الأسطول العثماني الجديد بأكثر من 200 سفينة شيبي و8 سفن قلاع

تحت قيادة علي علي¹⁹. وبذلك فوّت الفرصة على أعداء الدولة العثمانية في الإنتقام منها والقضاء عليها بعد تدمير أسطولها.

أما فيما يخصّ المجال الآخر للمساهمة الجزائرية إلى جانب الدولة العثمانية، فتمثل في المشاركة في حصار مالطة 1565، وفي معركة ليبانت 1571، ونجدة فرنسا 1542 – 1543 وفي فتح تونس 1574²⁰.

كانت إذن فترة البايلربايات مرحلة تنظيم داخلي، ونشأة لنواة كيان سياسي بحدوده وعاصمته وأقاليمه، وبروز في المجال الإقليمي ومساهمة في رسم خريطة غرب المتوسط لصالح الدولة العثمانية، على حساب إسبانيا التي جنحت للسلم وعقدت هدنة مع العثمانيين في 1580.

ب. مرحلة الباشوات (1587. 1659) :

في شهر جوان 1587 توفي علي علي²¹ وكان يحتفظ بلقب بايلرباي رغم تركه الجزائر وتعيينه أميرالا للأسطول العثماني في 1571، فقررّ السلطان مراد الثالث إلغاء نظام البايلربايات واستبداله بنظام الباشوات. فما الذي حمل السلطان على اتخاذ هذا القرار؟

يبدو أن الأسباب متعددة ولعل من أهمها خوف السلطة العثمانية في اسطنبول من تحوّل الجزائر نحو الاستقلالية خصوصا بعد أن عقدت الدولة العثمانية معاهدة مع عدوّتها و منافستها في البحر الأبيض المتوسط إسبانيا في 1580²² وبالتالي تحوّل مجال سياستها نحو المشرق، وأصبحت التحديات هناك تقتضي منها حضورا أكبر، مما قد يشجع البايلربايات الذين كانت تخضع لهم تونس وطرابلس الغرب على ضم المغرب وتشكيل وحدة سياسية متماسكة تستقل عن مقر السلطة العثمانية في اسطنبول²³. ويبدو أن هذه المخاوف غذاها السفراء الغربيون بعاصمة الخلافة²⁴ الذين كانوا يخشون من وقوع وحدة سياسية في الضفة الجنوبية للمتوسط.

كان الباشا يعين من طرف الباب العالي لمدة ثلاث سنوات مع إمكانية التجديد، وقد قلّصت الامتيازات التي كانت سابقا للبايلربايات وحصرت مهمته في جمع الضرائب والمحافظة على الأمن وتنفيذ تعليمات السلطان، وتجنيد الجيش أثناء الأزمات والجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية²⁵.

دامت فترة الباشوات ما يقارب 72 سنة، تعاقب خلالها على الحكم حوالي 27 باشا، عاد بعضهم إلى الحكم أربع مرات²⁶. وإذا كانت فترة البايلربايات قد عرفت تنوعا في انتماءات الحكام من أتراك وعرب وأعلاج وكراغلة فإن فترة الباشوات قد اقتصرت على العنصر التركي العثماني. ويمكن استنباط ذلك من خلال أسمائهم، مثل استانكويلى أحمد باشا²⁷، بورصالي محمد باشا²⁸ سليمان باشا كاتانيالى²⁹.

سادت فترة الباشوات فوضى كبيرة وعدم استقرار، فالباشوات المعينين لمدة ثلاث سنوات تمكن قليل منهم من إتمام عهده، فقد كانوا أحيانا يضطرون للهروب بعد صراعات مع الأوجاق أو طائفة الرياس³⁰. ووجدنا في بعض الأحيان تناوب 2 إلى 3 باشوات على السلطة في نفس السنة، فمثلا في عام 1594 مصطفى باي وخضر باشا، وفي عام 1617 وجدنا كوسه مصطفى باشا، سليمان باشا والشيخ حسين باشا³¹. ويدل هذا على عدم الاستقرار الذي ميّز هذه الفترة. لكن ما هو سبب هذه الفوضى؟

لقد تسبّب هذا التغيير في النظام السياسي وتعيين الباشوات الثلاثين - الذين لا يملكون السلطة وهمهم جمع الأموال، لا سيما وأن مدة حكمهم كانت محدودة - في أزمة مفتوحة³²، فأفراد الأوجاق حاولوا الاستيلاء على السلطة الفعلية ونزعها من أيدي الباشوات، وأصبحت مهمة الباشا تتمثل في دفع أجور الإنكشارية، وإذا عجز عن ذلك يثور ضده هؤلاء ويرمى في السجن³³. وإذا عُين باشا متسلّط فإن الإنكشارية تقيله من منصبه كما حصل في 1633 عندما سجن الشيخ حسين واستلم الديوان زمام السلطة، مما اضطرّ الباب العالي لإرسال باشا آخر³⁴.

وقد استمر الأوجاق في القضاء على صلاحيات الباشا بالتدريج حتى نُزعت منه مهمة دفع أحوار الإنكشارية التي منحت لرئيس طائفة الرياس في تلك الفترة، وهو علي بتشين³⁵. وقد حشني الباب العالي من توسع سلطة هذا الأخير فأرسل له من يقاتله، وعندما علم الأهالي بالأمر ثاروا، مما اضطر علي بتشين إلى التدخل لتهدئة الموقف، وأمام لباقتة وحسن تصرفه ولتة السلطة العثمانية إمرة الأسطول، غير أنه مات قبل استلامه هذه المهام السامية³⁶.

لم يقتصر عهد الباشوات على الصراع على السلطة بين الأوجاق والباشا وإنما تجاوز ذلك إلى التأثير على الجوانب الاجتماعية، فالباشا الذي لا يمكنه في الإيالة سوى ثلاث سنوات لا تكفيه هذه المدة لفهم تعقيدات الحياة السياسية والقضايا المطروحة في الإيالة³⁷ وبمجرد أن تشع أموال الخزينة، كان الباشوات يلجؤون إلى فرض الضرائب على المدن والأرياف، مثلما حدث في 1634 في عهد يوسف باشا³⁸، مما يفتح المجال أمام التمردات التي تكاثرت في عهد الباشوات.

فقد ظهرت سلسلة من الثورات في منطقة القبائل الذين رفضوا دفع الضرائب في عهد خضر باشا (1589-1592)، وتحدثت في عهد خلفه شعبان باشا، ثم في 1640 في عهد أبي جمال يوسف باشا، كما أدى سوء التسيير وثقل الضرائب كذلك إلى اشتعال الشرق الجزائري بالثورات، وامتنع الأهالي عن دفع الضرائب³⁹. كما ظهرت أول ثورة للكراغلة في عهد الباشوات، وهذا بسبب سياسة الإقصاء التي انتهجتها السلطة، فإذا كانت فترة البايبربايات قد فتحت أبوابها لكل العناصر والشرط الوحيد هو القدرة والخبرة، فإن عهد الباشوات عرف طغيان العنصر العثماني وحده، وانتهت بمقتل عدد كبير من الكراغلة وفرار من تبقى⁴⁰.

هذه إذن هي أوضاع الإيالة الداخلية خلال فترة الباشوات، أما الأوضاع الخارجية فلم تكن بأحسن حال.

كانت الدولة العثمانية تحاول أن تفرض على الأوجاق والتجارة في الجزائر رؤيتها للسياسة الخارجية حسب مصالحها، دون مراعاة للمصالح الجزائرية، وهو الشيء الذي لم يرق للأوجاق والبحارة الذين يرفضون الامتثال لأوامر الباب العالي، وكانت العلاقات مع فرنسا من أهم المواضيع التي أذكت النزاع، الباب العالي والجزائر.

فابتداءً من عهد مصطفى باشا (1596-1599) استفادت فرنسا من امتيازات قنصلية في الجزائر، غير أن وقوع تجاوزات في عهد حضر باشا جعلت الجزائريين يهذمون المركز التجاري الفرنسي بالقالة ويسجنون قنصلها. ثم عقدت معاهدة مع فرنسا في عهد محمد كوسة باشا تقضي بإعادة بناء مركز القالة وتحرير الأسرى الفرنسيين، غير أن الدمان رفض تنفيذ هذه المعاهدة، فأرسل الباب العالي مندوباً لإقناع الديوان، ولكن هذا الأخير لم ينجح، بل ثار أهل الجزائر ورجال الديوان على المندوب وعلى الباشا ممثلي الباب العالي⁴¹، واستمرت العلاقات بين الجزائر وفرنسا حد متوترة طيلة فترة الباشوات.

أما فيما يخص بقية القوى فقد شجعها بدورها حال الفوضى الداخلية والصراع بين الأوجاق والرياس من جهة والباشا والباب العالي من جهة أخرى، مما جعل الجزائر تصبح هدفاً للاعتداءات الغربية خلال فترة الباشوات، ففي عهد محمد كوسة باشا (1603-1605) تعرضت أزفون لهجوم إسباني، وفي 1607 هاجم الطوسكان عنابة وفي 1610 هاجم الإسبان جيجل، كما حضرت سفن هولندية أمام السواحل الجزائرية واضطر الديوان إلى عقد اتفاقية مع هولندا، كما عقد الديوان اتفاقية تجارية مع إنجلترا في عهد أحمد باشا (1653-1655) بعد حملة إنجليزية على الجزائر⁴².

رغم الفوضى الداخلية وازدياد الأطماع الغربية فإن السلطان واصل طلب المساعدة من تجارة الجزائر وكان ذلك في 1639 عندما دخلت الدولة العثمانية في حرب مع البنادقة، فذهب الأسطول الجزائري بقيادة علي بتشين، وبسبب حدوث زواج بحرية

شديدة لجأ الأسطول إلى خليج فالونا، فاغتم البنادقة الفرصة وانقضوا عليه ملحقين به خسائر معتبرة، وتمكن علي بتشين من إنقاذ بعض المراكب بصعوبة⁴³.

كانت هذه الحادثة منعرجا حاسما في تاريخ العلاقات بين الباب العالي وبحارة الجزائر، إذ أن هذه الأخيرة تقع في منطقة ثغر ولا يمكنها أن تبقى بدون أسطول، لأن الأخطار تحيط بها من كل مكان، ومادام السلطان رفض تعويض بحارة الجزائر ليتمكنوا من إعادة بناء الأسطول فقد قرّر هؤلاء عدم المشاركة مستقبلا في مساعدة السلطان في حروبه إلا إذا ضمن لهم التعويض عن الخسائر.

اعتبارا لكل ما سردنا يمكن أن نستخلص أن نظام الباشوات الذي فرضه السلطان على الإيالة ابتداء من 1587 كانت له نتائج وخيمة على البلاد والعباد، إذ تسبب في شيوع الفوضى والاضطرابات وفتح الباب للتراخ بين الباشا (ممثل السلطان الذي لم يكن له دراية بشؤون البلاد والأوجاق والبحارة، وأقنع هؤلاء بضرورة التخلص من ضغط الباشا، فكانت ثورة الأغوات التي شكلت فصلا آخر من فصول تطور النظام السياسي في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

ج . مرحلة الأغوات (1659 . 1671) :

في عام 1659 قرر الجند حسم الصراع القائم بينهم وبين الولاة العثمانيين أي الباشوات حيث قرر الديوان⁴⁴ إلغاء منصب الباشا وإسناد السلطة إلى قادة الأوجاق⁴⁵ وقد كانت سياسة الباشا ابراهيم⁴⁶ سببا مباشرا في ذلك وبمناخة الفتيل الذي أضرم نار ثورة الجند. إن امتناعه عن تسديد أحور الجند واقتطاع مبلغ من المكافأة الموجهة لطائفة الرياس من قبل السلطان، جعل المؤسسة العسكرية بشقيها تنور عليه وتقرر إلغاء منصب الباشوية⁴⁷. ويمكن القول أن الجزائر منذئذ دخلت مرحلة حاسمة مرحلة سيطر فيها الجند على السلطة. ويعد هذا الحدث منعرجا حاسما في تاريخ

العلاقات بين الدولة العثمانية والمركز إذ كان تمردا واضحا على السلطان العثماني. وبعد ما زج الجند بالباشا إبراهيم في السجن، أرسل السلطان الباشا علي ليستلم مهامه لكنه وجد وضعاً سياسياً صعباً للغاية بسبب العصيان الصريح الذي أعلنه الجند ضد أي مظهر لتبعية السلطان فألقوا عليه القبض رفقة من رفاقه ووضعوه على متن سفينة وعاد من حيث أتى⁴⁸. ولما علم الصدر الأعظم محمد كوبرلو باشا بمجريات أحداث الجزائر أصدر أمراً بقتل الباشا علي الذي أخفق في فرض هيبة السلطان. وفي الوقت ذاته أرسل فرماناً شديداً للهجة إلى الجزائريين جاء فيه: "... لن نرسل إليكم واليا يبيعوا من تريدون، السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر... إذا اقتربتم من الممالك العثمانية فلن تكونوا راضين...".⁴⁹

لكن الآغا خليل الذي حمل لواء الثورة لم يبق في سدة الحكم سوى سنة واحدة وكانت نهايته الاغتيال عام 1660⁵⁰ وخلفه الآغا رمضان الذي بادر إلى إعادة العلاقات مع الباب العالي حيث رجعت العلاقات إلى وضعها الطبيعي⁵¹ إذ أرسل الباشا إبراهيم عام 1661⁵². لكن قبول الجند بالباشا كان مشروطاً حيث جردوه من جل الصلاحيات مثلما لخص ذلك عزيز سامح إتر: "سلموه إدارة خاصة به لكنهم قرروا أن الأحداث الأساسية والإدارة الفعلية بيد آغاهم...".⁵³ مما جعل النظام السياسي منذئذ يتميز بالازدواجية من الناحية النظرية أما في الواقع فقد كانت السلطة الفعلية بيد الآغوات.

ولم ينجح الآغا رمضان هو الآخر في الاستمرار في السلطة إذ لقي حتفه على يد الجند عام 1661؟ وفي أعقاب ذلك تولى السلطة الآغا شعبان الذي يظهر أنه استطاع أن يفرض نفوذه بمساعدة جماعة "الأوضاباشية"⁵⁴ وأن يمدد في عهده حيث حكم نحو أربع سنوات رغم الأوضاع العصيبة التي كانت تمر بها البلاد سيما تأزم العلاقات الخارجية مع فرنسا لكن نهايته كانت الاغتيال على يد الجند عام 1665⁵⁵

وخلفه الحاج علي آغا الذي كان يهدف إلى وضع حد للفوضى ولعصيان الجند وقد نجح في فرض كلمته على الجند وعلى ممثل السلطان على حد سواء⁵⁶ مما سمح له بالبقاء في السلطة نحو ست سنوات 1665-1671.

وتشكل وفاة الحاج علي آغا منعرجا خطيرا في الحياة السياسية إذ شهد قصر الجينة حالة من الفوضى والاضطراب لم يعرف نظيرا لها مما جعل الأغوات يمتنعون عن ترشيح أنفسهم لسدة الحكم.

وكانت السمة البارزة التي ميزت عهد الجمهورية العسكرية هي عدم الاستقرار وتوالي اغتيال الحكام إذ لم ينجح حاكم واحد من النهاية الدموية. والحقيقة أنه من الصعب تفسير تلك الظاهرة، لقد أرجع البعض ذلك إلى تشبث الأغوات بالسلطة ومحاولة تمديد مدة الولاية المحددة بسنة واحدة⁵⁷. بينما أرجع البعض الآخر ذلك إلى الديمقراطية القائمة في مؤسسة الأوجاق التي كانت تسمح لكل الضباط بالارتقاء إلى منصب الآغا الذي لا يدوم سوى شهرين⁵⁸ مما جعل كل أعضاء الأوجاق يطمحون للوصول إلى السلطة وكان ذلك سببا في تأزم الوضع السياسي.

د. مرحلة الدايات (1671-1830) :

عهد الدايات الأول 1671-1710 :

أخفق قادة الجيش الإنكشاري، الأغوات، إخفاقا واضحا في إرساء قواعد نظام جديد. إذ عجزوا عن تحقيق الاستقرار فتميز عهدهم بإراقة الدماء و الفوضى والاضطراب، وهي أوضاع لم تشهدها البلاد قط. و بعد تجربة الجمهورية العسكرية الفاشلة آلت السلطة إلى طائفة "رياس البحر" القوة المحلية المنافسة للجيش الإنكشاري.

وتجدر الإشارة إلى أن ظروف انتقال السلطة من قادة الجيش البري إلى قادة الجيش البحري غير واضحة، و تفسيرها محل خلاف بين المؤرخين⁵⁹ إذ ذهب فريق

إلى القول أن قادة الجيش الانكشاري حينما أدركوا خطورة تأزم الوضع السياسي انسحبوا من الحكم لصالح " طائفة رياس البحر"⁶⁰. بينما يرى فريق آخر أن " طائفة رياس البحر" اغتصمت اضطراب الأوضاع و استولت على السلطة⁶¹ وبلاستناد إلى الرأي نفسه فإن ظهور نظام الدايات⁶² يمثل انتصار قادة الجيش البحري على نظائهم قادة الجيش البري في إطار التنافس الحاد بين القوتين، الذي تعود بداياته إلى عهد البايلربايات⁶³.

و هكذا فإن طائفة رياس البحر كانت وراء تأسيس نظام جديد أضحى يعرف بنظام الدايات وهو نظام قام على مبدأ الانتخاب دون تحديد للمدة الزمنية.

استهل عهد الدايات بالقبطان الحاج محمد التريكي الذي كان من قدماء رياس البحر. وبعد مضي أيام قلائل عين الديوان بابا حسان شاوش. وكان صهرا للداي لتسيير دفة الأمور نظرا لهرم الداى الحاج محمد التريكي⁶⁴ ويظهر أن الجيش الانكشاري ابتعد عن التدخل في الحياة السياسية. مما ساعد على الاستقرار حيث دامت ولاية أول داي إحدى عشرة سنة (1671-1682) وهي فترة طويلة نسبيا إذ تعادل عهد الآغوات. كما أن نهايته لم تكن مأسوية مثلما كان الحال في عهد الآغوات. بل اعتزل السلطة⁶⁵، فتولاها من بعده صهره بابا حسن. لكن الأوضاع الخارجية و بخاصة تصدع العلاقات بين الجزائر و فرنسا واحتدام الصراع بين البلدين عجل بنهاية الداى "بابا حسن"⁶⁶.

فعلى إثر القصف الفرنسي رهيب لمدينة الجزائر، تكبدت المدينة خسائر فادحة⁶⁷. و في غضون تلك الأحداث أطاح الرايس الحاج حسين ميزومورتو⁶⁸ الذي كان يتصدر الطائفة وقتئذ بالداى بابا حسن و أصبح دايا. لكن الداى الحاج حسين الذي حاض غمار الحرب ضد جيوش لويس الرابع عشر "الملك الشمس" وأحرز الانتصار على الفرنسيين مما جعل السلطان العثماني يضيفي عليه لقب باي لرباي⁶⁹، اضطر إلى مغادرة مدينة الجزائر في شهر يوليو عام 1689.

ويظهر أن ما تعرضت له المدينة من أضرار فادحة من جراء القصف الفرنسي، جعل الرأي العام ثائرا و غاضبا على تصلب و تعنت ميزومورتو إزاء الفرنسيين. وبالإضافة إلى ذلك فإن خوض الحرب ضد التونسيين أدى إلى تدمير و تمرد الجيش و تزعم التمرد الآغا شعبان واستولى على السلطة⁷⁰.

تولى السداي شعبان سدة الحكم في ظروف حرجة للغاية إلا أنه نجح في إحراز انتصارات عسكرية حاسمة ضد خصومه. لقد انتصر انتصارا باهرا على السلطان المغربي مولاي إسماعيل في واقعة وادي الملوية، في 04 جويلية 1692⁷¹. و يعد السداي شعبان بلا منازع أحد الحكام الذين نجحوا في فرض مكانة الجزائر الدولية وقبضه. وعلى الرغم مما حققه على المستوى الداخلي و الخارجي على حد سواء فإنه لم ينجح من غضب الجند الذين اغتالوه عام 1695⁷² فخلفه الحاج أحمد (1695-1698) الذي كان من قادة الجند الانكشاري و على إثر وفاة هذا الأخير بوباء الطاعون⁷³ خلفه حسان باش شاوش قارة برلي⁷⁴.

لكن أحداث تونس وما تسببت فيه من تدمير في صفوف الجند أجبرته على الانسحاب من السلطة، وسمح له الديوان بمغادرة الجزائر فتوجه إلى طرابلس و منها إلى مصر⁷⁵ وخلفه الحاج مصطفى⁷⁶.

ويلاحظ أن الضغوط الخارجية التي واجهها الدايات الأوائل، أضعفت طائفة رياس البحر، وسمحت للجند بالتدخل ثانية في الحياة السياسية. وأضحى اختيار الدايات وانتخابهم يتم خارج طائفة رياس البحر. فكل الذين تولوا السلطة بعد السرايس الحاج حسين ميزومورتو كانوا إما من الجند الانكشاري مثل الآغا شعبان والآغا الحاج أحمد، أو من الموظفين الساميين مثل حسان باش شاوش.

وواجه الدايات الذين تعاقبوا على السلطة في هذه الحقبة المشاكل نفسها والتمثلة أساسا في : ازدواجية السلطة، وتوتر العلاقات الخارجية و تمردات الجند المستمرة.

عهد الدايات الثاني أو مرحلة الانفصال عن الباب العالي 1710-1830 :

منذ أن وصل الدايات إلى السلطة، عملوا على القضاء على ازدواجية الحكم من خلال إلغاء منصب الباشا ممثل السلطان. وتعد محاولة الدايات الحاج حسين ميزومورتو من المحاولات الأولى التي كانت تهدف إلى تأسيس حكم محلي بمنأى عن نفوذ السلطان. ففي عام 1688 عارض بكل قوة قدوم الوالي العثماني الباشا اسماعيل، الذي عاد من حيث أتى، نتيجة الموقف المحلي الرفض لتبعية السلطان والرفض لازدواجية السلطة⁷⁷. ويظهر أن الدايات الحاج حسين نجح في الانفراد بالسلطة، حيث جمع بين سلطة الدايات وسلطة الباشا في آن واحد⁷⁸ غير أن هذه التجربة لم تعمر طويلا ورجعت الجزائر إلى نظام الازدواجية.

وفي عام 1710 حينما ارتقى الدايات علي شاوش السلطة بادر إلى إلغاء منصب الباشا ممثل السلطان حتى يضع حدا نهائيا لازدواجية السلطة. فعندما حل الباشا إبراهيم شركان كأمرير للأمرء بالجزائر عارض استقباله ولم يقدر الوالي العثماني على فرض هيبة السلطان⁷⁹. ونجح الدايات علي شاوش في إقناع السلطان أحمد الثالث بتساوي ازدواجية السلطة. إن قوة الحججة لدى علي شاوش مع الهدايا الفاخرة أقتعت السلطان بوجهة نظره⁸⁰. ومنذئذ أقر السلطان الأمر الواقع وأضحى حكام الجزائر يجمعون بين منصب أمير الأمرء والدايات بشخصهم. وغدا يستعمل في فرمان الوارد من استنبول : " إلى أمير الأمرء الغرب وداياتها"⁸¹.

إن الجمع بين السلطين واللقبين أكسب الدايات نفوذا كبيرا وفسح لهم المجال لممارسة سلطتهم بشكل فعلي. فالدايات علي شاوش أدار البلاد بشكل جيد وفرض كلمته على مؤسسة الديوان. حيث سار الديوان على ما أوصى به، فلما أصابه داء الملاريا وأدرك أن أيامه معدودة أوصى بأن يخلفه أحد وزرائه وهو محمد الخزناسي⁸² بن حسن الذي تولى السلطة في أفريل 1718 دون معارضة تذكر. ويعد هذا القرار

مكتوبة خطوة حاسمة في سبيل وضع دعائم نظام سياسي بمنأى عن هيمنة الجند إذ أصبح تعيين الدايات يتم ضمن الوزراء. وسار الداوي محمد بن حسن (1718-1724) على النهج الذي رسمه سالفه حيث عارض كل محاولات الباب العالي في التدخل في شؤون الجزائر. كما سعى إلى القضاء على نفوذ طائفة رياس البحر فتار الرياس ضده وقتلوه⁸³.

و في أعقاب وفاة الداوي محمد الخزناجي أسندت السلطة إلى كرد عبدي (1724-1732) الذي كان يشغل منصب آغا العرب ويدير أيضا بايليك التيطري⁸⁴.

و قد عمل الدايات الذين تولوا السلطة خلفا للداوي علي شاوش على الحفاظ على ما حققه هذا الأخير حيث تمسكوا بمبدأ الاستقلال عن الباب العالي، إذ عارضوا كل محاولات التدخل في شؤون الجزائر. كما رفضوا بشدة بالغة قبول الباشا المبعوث من طرف السلطان. ففي عام 1729 حينما حاول السلطان فرض نفوذه من جديد حيث أرسل باشا يدعى علي درناوي عارض الداوي كرد عبدي باشا استقباله⁸⁵ وكانت هذه المحاولة آخر محاولة من قبل الدولة العثمانية تهدف إلى فرض ممثل عنها. و عقب وفاة الداوي كرد عبدي ارتقى إلى السلطة ابراهيم الخزناجي وأحرز هو الآخر على لقب الباشا⁸⁶.

و ابتداء من العقد الثاني من القرن الثامن عشر عرف نظام الدايات استقرارا واضحا وهو ما نلمسه في طريقه انتخاب الداوي كما نلمسه أيضا في مدة الولاية إذ تعاقب على السلطة خلال مائة وعشرين سنة 1710-1830 سبعة عشر دايا⁸⁷.

وبلغ وسطي معدل البقاء في السلطة ثمان سنوات، وهو مؤشر على استقرار النظام السياسي. لكن أكثر الفترات استقرارا هي تلك الممتدة من العقد الثاني من القرن الثامن عشر إلى أواخر التسعينات من القرن نفسه 1710-1791 فخلال 88 سنة تعاقب على السلطة ثمانية دايات وهم على التوالي: "الداوي علي شاوش 1710-1718 و محمد بن حسن 1718-1724 و كرد عبدي 1724-1732 و ابراهيم باشا

1732-1745 و ابراهيم كوجك 1745-1748 و محمد بكير 1748-1754 و علي
نقيس أو بوصبع 1754-1766 و محمد عثمان باشا 1766-1791 الذي يعد عهده
أطول العهود قاطبة⁸⁸.

أما الفترة الممتدة من أواخر القرن الثامن عشر وتحديدًا بعد الداى حسن الذي
دامت ولايته سبع سنوات (1791-1798)⁸⁹ وكانت وفاته طبيعية إلى غاية انهيار
الحكم العثماني فقد تميزت بعدم الاستقرار. إذ عاد الجند إلى سابق عهدهم، إلى
العصيان و التمرد، و أضحوا يعينون ويعزلون الحكام حسب هواهم⁹⁰.

وكانت تداعيات ذلك جلية حيث انخفض معدل البقاء في السلطة إلى أربع
سنوات. وهو ما يبدو جليا ابتداء من عهد الداى مصطفى باشا (1789-1805)
الذي أطاح به الجند بعد ثلاث محاولات فاشلة⁹¹. ومنذئذ لم ينفك الجند عن التدخل
الواضح في الحياة السياسية و يفيض كتاب الإخباري أحمد الشريف الزهار بالعبارات
التي تنم عن مدى تعاظم دور الجند في تعيين و عزل الحكام، حيث كثيرا ما نقرأ:

"استقدمه العسكر لدار الإمارة " .. و بعد ما ثار العسكر و قتلوه....."
ولما قتلوا..... ذهبوا إلى القشلة و أتوا ب....."، " ثم وصل العسكر إلى دار
الإمارة و أجلسوا "92

وكانت نهاية معظم الحكام الاغتيال على يد الجند. فالداى الوحيد الذي كانت
وفاته طبيعية هو الداى علي باشا في هذه الحقبة رغم ما اتسمت به سياسته من
صرامة إزاء الجند. و يفسر ذلك بتغيير مقر السلطة من قصر الجينية إلى القصبة،
واضطهاد الجند⁹³. كما استطاع أن يسيطر سيطرة تامة على الأتراك بإسناده لجميع
الوظائف إلى عدد هام من الكراغلة و الحضر. وكان يهدف من وراء ذلك إلى إزاحة
العنصر التركي من الحياة السياسية والاستناد إلى قوة محلية⁹⁴.

و رغم حالة عدم الاستقرار التي ميزت هذه الحقبة بوجه عام فقد نجح الدايات الأقوياء في أن يعيدوا للسلطة مظهرها القوي وهبتها، ومن هؤلاء الحاج علي باشا (1809-1815) والداي علي خوجة (1817-1818) والداي حسين (1818-1830)⁹⁵. وشهدت البلاد في عهد الدايات الأخير استقرارا سياسيا إذ دامت ولايته اثنتا عشرة سنة. وخلال هذه المدة انصبت جهوده على تنظيم أمور الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار حيث قضى على التمردات والثورات الداخلية سيما الثورة التيجانية بناحية عين ماضي. لكن الضغوط الخارجية التي جسدها قرارات مؤتمر آكس لاشايل القاضية بإلغاء ممارسة الاسترقاق والتوقف عن ممارسة الغزو البحري والحملة الإنكليزية عام 1824 ثم الحصار الفرنسي، عجلت بالقضاء على الكيان السياسي للجزائر.

الهوامش :

1. JULIEN. C.A, Histoire de l'Afrique du Nord, T2 de la conquête arabe à 1830. Tunisie, Algérie, Maroc, 2^{ème} ed. revue et remise à jour par R. Letourneau, Payot, Paris, 1952, p266

2. BOYER. P, "Introduction à une histoire intérieure de la Régence d'Alger", Revue historique, Avril - Juin 1966, p 303.

3. تعني كلمة بايلرياي، أمير أمراء.

4. DIEGO DE HAEDO. F, Histoire des rois d'Alger, trad de l'espagnol et notes de Henri Delmas de Grammont, présentation de Abderrahmane Rebahi, ed Grand-Alger - livres, Alger, 2004.

5. « Les dirigeants de l'Algérie pendant la période turque (1515 - 1830) » extrait de l'Encyclopédie turque Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, 1969.

6. يقول السلطان في هذه الرسالة : "إذا لم يقبل المومى إليه (أي حسن بن خير الدين) بذلك المنصب فمن تراه أهلا من الأمراء وغيرهم بتلك الإمارة فلتعلمنا عن الشخص القادر على ضبط وربط تلك الولاية، وعمّن يُحسن معاملة أهالي الغرب، كي يتم بموجب ذلك توجيه تلك الإمارة إليه، حتى ينسى ضبطها على النحو المطلوب". انظر:

الدفاتر المهمة، رقم 16 حكم 563 بتاريخ 06/11/979 هـ ص 319 - 320.

7. كان ذلك إثر وفاة صالح رايس في 1556 وتعيين الإنكشارية لحسن قورصو وعدم قبولهم بمعرث السلطان.

8. BOYER, Introduction, Op.cit, pp 299 - 300

9. لمعلومات أكثر حول الموضوع أنظر:

DEVOULX. A, "La première révolte des janissaires à Alger" Revue africaine, T15, 1871, pp 1 - 6

10. BOYER, Introduction, Op. cit, p. 300

11. GAID. M, L'Algérie sous les Turcs, ed Mimouni, Alger, 1991, p 94.

12. سعيدوني ناصر الدين، "رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شأن صالح رايس (963 هـ - 1555م)", تحية تقدير للأستاذ شارل روبر آجرون، إعداد وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات افترسي، زغوان، جوان 1996، ص 165 - 166.

13. نفسه، ص 164 – 165.
14. لمعلومات أكثر عن الموضوع انظر: بوحشوش نعيمة، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 1999، ص 74 – 75.
15. نفسه، ص 81 – 83.
16. انظر في هذا الشأن: بوعزيز يحيى، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500 – 1830)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون تاريخ، ص 45 – 46.
17. انظر لمعلومات أكثر:
18. VERONNE. C, de la "Relations entre le Maroc et la Turquie dans la seconde moitié du XVe S. et le début du XVIIe S. (1554 - 1616)" in Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée, n° 15 - 16, 1973, pp 391 – 402
19. KURDOGLU. F, Garb Ocaklarinin Tesekkülü, Oruç ve Hizir Barbarossa Kardesler. Deniz Matbaasi, Istanbul 1935, pp 279 – 281.
20. MANTRAN. R, "Echo de la bataille de Lépante à Constantinople" in l'Empire Ottoman du XVIe au XVIIIe S. London 1984, p 252.
20. للمزيد من المعلومات انظر:
- بوحشوش نعيمة، المرجع السابق، ص 96 - 101، 102 - 117، 119 - 144، 146 - 169.
21. Garrot. A, Histoire générale de l' Algérie, Alger, 1910, p.441
22. كانت أول معاهدة في 1580 ثم جددت في السنوات الموالية
23. Boyer, Introduction, Op cit, p. 304
24. Ibidem.
25. إلتز عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، دار النهضة العربية، بيروت 1989، ص 772.
26. Les dirigeants de l'Algérie Op cit
27. استانكويلي: من استانكوي، ضاحية في اسطنبول.
28. بورصالي: من بورصة، مدينة تركية.
29. كاتانيالي: من كاتانيا.

30. Boyer.P, "Des pachas triennaux à la révolte d'Ali Khodja Dey (1571-1817)" Revue historique, Juillet- Septembre, 1970, p 102.
31. Les dirigeants de l'Algérie Op.cit.
32. Boyer.P, "Alger en 1645" d'après les notes du R.P Herault", Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée, 1er Sept 1974, p 19.
33. IBID, pp 19 - 20
34. المدني أحمد توفيق، الداي محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 38.
35. Boyer.P, Alger en 1645, Op.cit, p 21
36. المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 38
37. وولف.ج. ب، الجزائر وأوروبا، 1500-1830. ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 134.
38. Boyer.P, Alger en 1645, Op.cit, p 21
39. التر.ع. س، المرجع السابق، ص 356 - 357، 364 - 367.
40. Boyer.P, "le problème Kouloughli", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 1970
41. المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 33.
42. نفس المرجع، ص 33، 34، 36، 39.
43. بو عزيز يحيى، المرجع السابق، ص 73.
44. BOYER, P «la révolution dite des «aghas » dans la régence d'Alger (1659-1671) » Revue de l'Occident musulman et la Méditerranée, n°13 et 14, 1973. P163.
45. الأوجاق كلمة تركية تعني الموقد. وكان الجيش الانكشاري في الجزائر مقسما إلى وحدات صغيرة تدعى الأوجاق بلغ عددها أربعة وعشرين وأربعمائة أوجاقا. ثم صار المصطلح يطلق على مؤسسة الجيش الانكشاري بوجه عام. راجع :
- Deny, J, Les registres de soldes des janissaires conservés à la bibliothèque nationale d'Alger, Revue Africaine, 1943.
- COLOMBE, M, «L'Algérie Turque» in initiation à l'Algérie , librairie d'Amérique et d'Orient , Paris,1957.

- COLOMBE, M, «Contribution à l'étude du recrutement de l'odjak d'Alger»
Revue africaine, T87, 1943.

46. تولى الباشا ابراهيم السلطة عدة مرات في الفترة الممتدة ما بين 1656-1659.

47. سينسر، ولیم الجزائر في عهد ریاس البحر، تعریب وتعلیق عبد القادر زبادة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزیع ، الجزائر، 1980. ص 73

48. إتر، عزیز سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت 1984، ص 200-201.

49. نفسه.

50. BOYER, «la révolution», Op. cit p163.

51. BOYER, «la révolution» p164.

52. BOYER, Pierre, «introduction à une histoire intérieure de la régence d'Alger » Revue historique, 1966-p301.

53. إتر، الأتراك العثمانيون، سبق ذكره، ص 388.

54- BOYER, «la révolution, Op. cit p165.

55 GRAMMONT, Henri de, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), présentation de lemnouar Merouche, Eds. Bouchène, Paris 2002.

56 DELPHIN, Georges, «Histoire des pachas d'Alger de 1515-1745». Journal Asiatique, série n° 19, 1922.

57. هذا ما ذهب إليه ولیم سينسر .

58. GRAMMONT, Op. cit

59. سينسر، الجزائر في عهد ریاس البحر، سبق ذكره، ص 74.

60. حول الموضوع راجع :

- BOYER, «la révolution», Op. cit

- GRAMMONT, Histoire d'Alger, Op. cit

61. سينسر، الجزائر في عهد ریاس البحر، سبق ذكره، ص 74.

62. كلمة تركية -عثمانية مفردتها داي وتعني الخال أو الحامي.

63. حول التنافس راجع :

- BOYER, «la révolution», Op. cit.

- GRAMMONT, Histoire d'Alger, Op cit.

- Albert, DEVOULX, «Assassinat du Pacha Mohamed Tekelerli», Revue africaine, T15, 1871.

⁶⁴. يشمر صاحب تاريخ باشوات الجزائر إلى الحاج حسين التريكي.

⁶⁵ DELPHIN, « Histoire des pachas », p 205.

⁶⁶ حول الصراع الفرنسي الجزائري راجع :

- غطاس، عائشة، العلاقات الجزائرية - الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694)، رسالة ماجستير، الجزائر، 1986.

- قنان، جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

- قنان، جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987.

⁶⁷. غطاس، عائشة، العلاقات الجزائرية، سبق ذكره.

- وولف، جون ب، الجزائر وأوروبا 1516-1830، ترجمة وتعليق : أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

⁶⁸. السداي الحاج حسين ميزومورتو إحدى الشخصيات البارزة ومن رياس البحر المتميزين. بدأ يبرز في النشاط البحري ابتداء من عام 1670. ونظرا لما حققه من انتصارات ذاع صيته. ارتقى إلى منصب السداي في ظروف غير عادية ففي غضون القصف الفرنسي الذي تعرضت له مدينة الجزائر في صائفة 1683 وبينما كان أحد رهائن المفاوضات، نجح بفضل حنكته في إقناع قائد الحملة الفرنسية دوكين بالإفراج عنه وإثر ذلك سارع إلى الإطاحة بالسداي بابا حسن الذي نزل عند الشروط الفرنسية، حكم الفترة الممتدة من 1683-1689.

وانظر أيضا :

Merouche, I, recherches sur L'Algérie à l'époque ottomane, tome 2.

La course, mythes et réalité, Bouchène, paris, 2006.

⁶⁹. سينسر، المرجع السابق، ص 166.

⁷⁰. السداي شعبان من أبرز دايات الجزائر عاصر السلطان المغربي مولاي إسماعيل ولويس الرابع عشر للملك الشمس، ملك فرنسا. إن الأخبار بشأن حياته قبل توليه سدة الحكم شحيحة وتتلخص في كونه كان أحد رياس البحر. تولى السلطة في أعقاب فرار السداي الحاج حسن ميزومورتو عام 1689 إلى غاية 1695. وتميز عهده بالصراع مع فرنسا من جهة ومع المغرب الأقصى وتونس من جهة أخرى.

- حول هذه الشخصية راجع :

- بالحميسي مولاي، إرشاد الخيران في أمر الداى شعبان، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، عدد2، 1896. ص 39-56.
- سعد الله أبو القاسم، من أخبار الداى شعبان 1695، مجلة التاريخ، عدد خاص 18-1985. ص 107-123.

Albert DEVOULX , Tachrifat , recueil de notes historiques sur l'administratuon de l'ancienne régence d'Alger , Imp du gouvernement , Alger , 1852.

- ⁷¹ . سعيدوني ناصر الدين، « الداى شعبان 1695»، معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر 1995. ص 205-211.

⁷² . EMERIT, Marcel, «un mémoire sur Alger par Pétis de la Croix, 1695 » 1953, extrait des Annales de L'I.E.O. Alger, carbonel. P

⁷³ . GRAMMONT, Histoire d'Alger, Op cit, 221.

⁷⁴ . DELPHIN, « Histoire des pachas, Op cit p 205

⁷⁵ . DELPHIN, « Histoire des pachas, Op cit p 206

⁷⁶ . الداى الحاج مصطفى حكم من 1700-1705 تميز عهده بتوتر العلاقات مع تونس والمغرب الأقصى على حد سواء.

⁷⁷ . GRAMMONT, Henri de, «lettre d'Ismaël pacha à louis XIV -1688 » Revue africaine, T28, 1884.p

⁷⁸ . DELPHIN, « Histoire des pachas p 205

⁷⁹ . إتر، الأتراك العثمانيون، سبق ذكره، ص 463.

⁸⁰ . نفسه.

⁸¹ . إتر، الأتراك العثمانيون . بينما يقدم دي فرامون رواية أخرى عن ظروف اغتيال الداى . نسب ذلك إلى الجيش الإنكشاري وذكر أن مدير المؤامرة كان يقيم بالثكنة المعروفة بثكنة البحريا انظر :

- GRAMMONT, Histoire d'Alger, Op cit p 231.

⁸² . GAID, L'Algérie sous les turcs, Op cit p85.

⁸³ . DELPHIN, Histoire des pachas, Op cit p208.

⁸⁴ . GAID, L'Algérie sous les turcs, Op cit, p 157.

⁸⁵ . GRAMMONT, Histoire d'Alge, Op cit, p 233.

⁸⁶ . إتر، الأتراك العثمانيون، ص 463.

⁸⁷ . وهم على التوالي : علي شاوش 1710-1718 ؛ محمد بن حسن ؛ 1718-1724 ؛ كرد عبدي 1724-1732 ؛ ابراهيم 1732-1745 ؛ ابراهيم كوحك 1745-1748 ؛ محمد بكير 1748-1754 ؛ علي نقسيس الملقب ببوصيع 1754-1766 ؛ محمد عثمان 1766-1791 ؛ حسن 1791-1798 ؛ مصطفى 1798-1805 ؛ أحمد 1805-1808 ؛ علي الغسال 1808-1809 ؛ والحاج علي 1809-1815 ؛ محمد 1815 ؛ عمر 1815-1817 ؛ علي خوجة 1817-1818 ؛ حسين 1818-1830.

⁸⁸ . حول الداى محمد بن عثمان باشا راجع :

- الزهار أحمد الشريف، مذكرات نقيب الأشراف

- المدنى أحمد توفيق، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

⁸⁹ . الداى حسن باشا حكم في الفترة الممتدة من 1791-1798. يصفه الإخبارى أحمد الشريف الزهار بمايلي : "... كان عارفا عاقلا وله فطانة في الأمور غير أنه في بعض الأحيان كان يعتره الحمق حتى يفعل أمورا لا تصادف محلا ..."

لمزيد من الأخبار حول الداى حسن راجع:

- الزهار، مذكرات، سبق ذكره، ص 63-70.

- GRAMMONT, Histoire d'Alger, Op cit, p 275, et sq.

⁹⁰ . خوجة، حمدان بن عثمان ، المرأة، تقليم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ص 149.

⁹¹ . الزهار، مذكرات، ص 80، 88.

⁹² . نفسه.

⁹³ . أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، الجزائر م.و.ك 1989، ص 71.

- الزهار، مذكرات، سبق ذكره، ص 134.

- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث قسنطينة، 1965. ص 120.

94. دودو، الجزائر في مؤلفات، سبق ذكره، ص 71-72.

95. الداي حسين أحر دايات الجزائر 1818-1830 ولد بقرية **Vurla** الواقعة على الشاطئ الجنوبي لأزمير الساحق بالجزائر. تولى عدة مناصب إدارية إلى أن أصبح وزيرا ثالثا أي خوجة الخيل في عهد الداي عمر 1814-1817 ثم في عهد الداي علي خوجة وفي أعقاب وفاة هذا الأخير تولى سد الحكم. وفي أعقاب الحملة الفرنسية توجه إلى فرنسا ليشكو ما ارتكبه الفرنسيون من جرائم ثم انتقل إلى إيطاليا ويبدو حسبا ذهب إليه البعض سعى إلى الرجوع إلى الجزائر لينظم المقاومة لكنه أخذ فسار إلى الإسكندرية حيث توفي هناك عام 1838.

المبحث الثاني : الجيش الإنكشاري

من إحداهم الأستاوة زهية زهرة

مقدمة :

عرفت الجزائر إبان الحقبة العثمانية تنظيما عسكريا يشبه إلى حد ما التنظيم المعمول به في الدولة العثمانية. فالجيش الإنكشاري (يكيحري)¹ الذي لم يكن معروفا في الجزائر أدخل إليها بعد التحاقها بالخلافة العثمانية ومع بداية إرسال أول دفعة من الجنود الجديد إلى الجزائر في بداية القرن 16م.

والمراد من هذه الدراسة هو معرفة الأوطان التي كان يجند منها الجنود الجديد، ومن المسؤول على هذا التجنيد، وتكاليف هذه العملية ثم وصول الجنود الجديد إلى الجزائر فكيفية تنظيمهم ثم المهام التي أوكلت إلى الجيش الإنكشاري ودورهم في المجتمع الجزائري وأخيرا ما آل إليه هذا التنظيم العسكري.

عملية التجنيد :

وصلت أول فرقة من الجيش الإنكشاري إلى الجزائر عام 1520، وهي تلك الفرقة التي أرسلها السلطان سليم الأول (1515-1520) مع الوفد الجزائري الذي حمل له رسالة الجزائريين المعبرة عن رغبتهم في الإلتحاق بالباب العالي².

وكان عدد هذا الجيش 6000 جندي منهم 2000 من الجيش الإنكشاري المدرب والمتمرس على القتال إضافة إلى 4000 متطوع³، وقد أضيفوا إلى الجنود الذي كان مع خير الدين في مدينة الجزائر من ضمنهم 5000 جندي جزائري⁴.

أما عن كيفية التجنيد فإنها تتم بطلب من الداي ويكلف بالمهمة وكلاء الجزائر المقيمين ببعض مدن آسيا الصغرى أو جزر بحر إيجه منها مدينة سميرين وكريت وجنقاله أو وفود مكلفون بمهام من أفراد الجيش ويترأس كل وفد ضابط⁵ وقد

تستغرق مدة التجنيد قرابة سنة أو أكثر. ففي 20 جمادى الأول من عام 1215 هـ توجه وفد متكون من 12 رجلا بأمر من الداى مصطفى باشا إلى رودس كان على رأسه بلوك باشى، وقد عاد الوفد إلى الجزائر بعد مرور تقريبا عام ومعه 117 مجندا حديثا، كما توجه وفد آخر في أول شهر ربيع الأول من نفس السنة (1215) نحو سميرن، وقد تكون الوفد هذه المرة من 22 فردا، وعاد الوفد إلى الجزائر في 17 ربيع الأول عام 1216 هـ ومعه 279 مجندا حديثا، أما في 2 رمضان من عام 1220 فقد أرسل وفد آخر إلى تركيا تكون هذه المرة من 24 رجلا وكان على رأس هذا الوفد ضابطا برتبة عشجي⁶، ونلاحظ من خلال الوفود الثلاثة المذكورين البالغ عددهم 58 فردا، 40 كانوا أتراكا، و3 جزائريين⁷.

هذا وقد شارك بعض الأتراك المقيمين في الجزائر في عملية التجنيد إذ حين عودتهم إلى الجزائر بعد زيارة ديارهم وأهاليهم بتركيا أثناء عطلةهم كانوا يصطحبون معهم البعض من شباب سكان منطقتهم ويساعدونهم على الانخراط في الجيش الإنكشاري⁸.

تكاليف التجنيد :

وكانت عملية التجنيد في الأراضي العثمانية تكلف الكثير للخزينة الجزائرية فالمسؤولون على التجنيد سواء كانوا وكلاء أو مكلفين بمهام كان لزاما عليهم ربح ود وصداقة المسؤولين العثمانيين وأعوامهم، من أميرالات الأسطول ومساعدتهم وولاية المقاطعات، والذين كانوا يتولون مهمة التجنيد في الأراضي العثمانية، وهذا حتى يسهلوا لهم المهمة، فكانوا يدفعون لهم هدايا باهضة ونقودا ففي سنة 1233 هـ تلقى خسرو باشا وهو أميرال الأسطول العثماني هدية تضمنت معطفين من الفور فورة ومسدسا وثلاث سباحات من المرجان وثلاث سباحات من العنبر وحراما وساعة وجلد أسد وجلد نمر وعبد أسود⁹، كما تلقى مساعدو الأميرال هدايا مماثلة من ساعات وسباحات وجلد نمر.

هذا وكلف الأميرال في نفس السنة شواشين لتجنيد الجند في كلا من كوزل
حصارى وتيره ومغناسيه ومغلية وتلقوا مقابل خدماتهم هدايا تمثلت في نقود
وشالات، وقد ذكرت في السجلات الخاصة بالجيش كالاتي :

كوزل حصاره عسكر تحريرينه عزيمت ايدين

باشا جاوشنه	غروش	شال			
	200	1			
تيره به ذلك	مغناسيه كذلك	مغليه كذلك			
غزوه شال	غروش شال	غروش شال			
1 1	200 1	1 1			

كما تولى في بعض الأحيان ولاية المقاطعات مهمة التجنيد، نذكر هنا والى مقاطعة
ايدين الذي تلقى مقابل خدماته عام 1233 هـ، هدية معتبرة تمثلت في ساعة
ومعطف وجلد أسد وجلد غمر وحزام.

"يدنجي سفينه ايحيون عسكر جلبنه آيدين واليسنه ارسال اولنان

ساعت	حزام	جلد ارسالان	جلد قيلان	قوشاق ¹⁰
1	1	1	1	1

إضافة إلى الهدايا والأموال التي تدفع إلى هؤلاء لأجل تسهيل مهمة التجنيد كان
لابد من الاعتناء بالمجندين إلى غاية وصولهم إلى الجزائر¹¹.

أصل المجندين :

أشارت بعض المصادر الأوربية إلى بعض المدن التي كان يجلب منها الجند الجديد،
فقد ذكر فونتور دي بارادي Venture de paradis في القرن 18م بأن الجند يأتون
من سميرن وقاراماني وأوستناش.

« c'est ordinairement que à Snyrne et en Caramanie vis-à-vis d'Usuntach que font les recrues »¹².

وقد أصاب فونتور دي بارادي إلى حد ما في ذكر هذه المدن الثلاث، إلا أن التجنيد لم يقتصر على المدن الثلاث المذكورة بل شمل كل المقاطعات التابعة للدولة العثمانية سواء المتواجدة بأوروبا أو آسيا.

فبالنسبة للمقاطعات الواقعة بالقسم الأوروبي نذكر روملي ومورة، إضافة إلى المدن تكيرداغ وسيليفري ومالقرة وادرنه وديموتيقة وقمورجينه وصالونيك وروسة وروسحوق وطاطار بازارحيق وويدن وقستنديل وصوفيا¹³.

أما مدن جزر بحر إيجه نذكر تديوس زميتلاند وأوبه وقوس وكريت وقبرص ورودوس¹⁴ إلا أن أكبر عدد من المجندين كان يأتي من مدن الأناطول وهي فارس وفلا وأرض الروم وطرابزون ودياربكر وقيريسوم وقارة حصار، وقربوت ومالطيه واون، وصامصون وطوقات وسيواس ومرعش واماسيا وجوروم ونجده واينهيولي وطائير وكويرى وطوسيا وقبرشهر وجنكيري وأنقره وقونية وقرمان وبولو واسكيشير وكوناهيه وعفيون وقاره حصار وايسيارته وعلاليه وبوردور وانطاليه واستانبول وازميث وبورسه ويكي شهر وبندرمه وجناقعه واندرميث إضافة إلى معظم مدن مقاطعات مانيسه وسميرت وايدين وموغله وهي : صومه وكركاغاج وأق حصار وبرغام وفوسه وقاره وبورون ومنمن وبايندر وألاشهر ويطرى واوديمش وقوش وادي سي وبودروم ومعزي¹⁵ والجدير بالملاحظة هنا أن معظم من وصل إلى سدة الحكم في الجزائر من مدن الأناطول.

هذا وقد ضمت صفوف إنكشارية الجزائر عناصر أخرى أتت من تونس وطرابلس وجبل طارق وليفورنه¹⁶، خاصة في الأعوام الأخيرة من تاريخ الجزائر العثمانية حين قل التجنيد من الأراضي العثمانية وبالأخص حين فرض الحصار على

الجزائر ابتداء من عام 1827، وبعد القضاء على فرقة الإنكشارية في الدولة العثمانية على يد السلطان محمود الثاني عام 1828 في الواقعة الخيرية المعروفة.

والجدير بالملاحظة أن عملية التجنيد قد خضعت لطبيعة العلاقات المتواجدة بين الجزائر والباب العالي، إذ كانت السلطات العثمانية تمنع التجنيد على الجزائريين في المقاطعات التابعة لها حين تسوء العلاقات بين البلدين.

أما بالنسبة للأوساط الاجتماعية التي ينحدر منها الجنود الآتي إلى الجزائر وبالتالي الأسباب التي دفعتهم إلى التجنيد فإننا لا نملك عن ذلك إلا ما ذكرته بعض المصادر الأجنبية والتي وصفتها في بعض الأحيان بنوع من المغالاة "فهم ورعاة ومتشردون وأشقياء وبؤساء يأتون إلى الجزائر بحثا عن المال والشهرة"¹⁷. إلا أننا وفي غياب المصادر المحلية التي تفند ما قيل عنهم أو تؤكدنا فإننا نكفي بالقول بأن هذا الجنود كان ينحدر من أوساط فقيرة وكان التجنيد بالنسبة لهم فرصة للخروج من الوضعية المعاشية في ديارهم وهو الأمر الشائع والمعروف في التجنيد الطوعي في كل بلدان العالم.

أما فيما يخص سن الجنود الجديد فيبدو أنها قد ضمت "صغير السن والشباب وهو ما تعبر عنه الوثائق بـ "لم يخصر شاربه أي أنه لم يخلق بعد شاربه" أو "بدأ يخصر شاربه" كما ضمت رجالا بدأهم المشيب. وهذا نموذج عن الجنود الجديد أرسلوا إلى الجزائر عام 1245 من الإسكندرية¹⁸.

موجب ما بالدفت مبعوث هذه الدفعة لحضرة دولتو ولي النعم افند مز نفرات بلدانلر جديدة مرسوم اسمائهم بهذه الجريدة بعنا وإرسالا.

كما بدأ يخصر شاربه، بداه المشيب، بداه المسيب، بدأ يخصر شاربه، علي بن محمد، محمد عثمان، محمد بن حسن، اسماعيل عثمان، بلدته وزير كيرلي، بولد وولي نكالي، بورسالي، مثله شاب، شاب، شاب، لم يخصر شاربه، مصطفى مظلم حسين علي، ابراهيم سليمان، علي محمد، محمد مصطفى، كريللي، قنيالي تكديلي،

تكديلي، سو كالي، شاب صغير السن، لم يخصر شاربه، لم يخصر شاربه بداه المشيب، علي بن محمد، عمر حسن، سليمان خليل، عمر مصطفى، خليل همت، مادنيلي، فريق عاجلي، طرابزانلي، سنابلي، بوغازلي، صغير السن، شاب شاب، لم يخصر شاربه، مثله، وإلى خليل، على عثمان، صالح حسين، مصطفى اسماعيل، سليمان خليل، رودوسلي، طرابزانلي، قبرسلي، قلبه لي بالكسرلي، بداه المشيب، شاب، من يولداسثلار القديمة، محمد محمد، خليل علي، 286 فارلي، بدانلي، محمد شاوش السفينة المذكورة، قوش أضه سي حسن مصطفى، محمد مصطفى، قبرسلي، ازنكيذلي، عدد النفرات الجديدة 21 نفرا، عدد النفرات القديمة، من عسكر قدم ثلاثة عدد أرسلهم مع سفينة باش أغا الإسكندرية للجزائر، صحبة شاوش السفينة الذي هو واحد منهم مصطفى قبطان خديمكم المقيم بمرسى الإسكندرية.

كيفية نقل الجنود الجديد إلى الجزائر:

يجمع الجنود الجدد في موانئ استانبول وجناقلعه وسميرن والإسكندرية ورودوس وفي موانئ جزيرة كريت ويسجلون في قوائم تحمل اسمهم وعمرهم بالتقريب وبلداتهم ويعبئ بايصالهم إلى الجزائر رياس الجزائر في سفنهم الخاصة أو في سفن بلدان أجنبية مثل فرنسا وهولندا وانجلترا.

ويبين لنا الجدول الآتي عدد الجنود الجديد والمكان الذي جمعوا فيه والمسؤول على إيصالهم إلى الجزائر¹⁹.

عدد الجند	المسؤول على إصاھم	السفينة	البلد الذي جمعوا فيه أو أتوا منه	السنة
80	حافظ اسماعيل باش داي	فرنسية	سميرن	ربيع الثاني 1240
91	الحاج خليل أفندي	؟	؟	6 جمادى الثاني 1240
35	ارناروط أحمد آغا	؟	؟	15 رمضان 1240
1	؟	؟	تونس	15 شوال 1240
150	الحاج أحمد أفندي	؟	؟	20 ذي الحجة 1240
109	الحاج خليل أفندي	فرنسية	سميرن	25 صفر 1240
136	الحاج خليل أفندي	فرنسية	سميرن	7 جمادى الأول 1241
76	الحاج علي ريس	؟	؟	21 رجب 1241
55	قدور بازون	؟	؟	4 رجب 1241
40	ولد مصطفى	هولندية	؟	12 ذي القعدة 1241
2	؟	؟	تونس	17 ذي الحجة 1241
87	الحاج أحمد أفندي	؟	؟	22 محرم 1242
157	عشحي أحمد	؟	؟	1 ربيع الثاني 1242
93	مصطفى ابن أخ أو	؟	سميرن	11 شعبان 1242
64	أخت عمار ريس	؟	؟	19 شعبان 1242
5	حاروش أوزون أحمد	؟	من تونس	21 محرم 1245
12	حاجي محمود	؟	مصر	؟
7	صهر الخزناجي	؟	؟	21 ربيع الأول 1245
25	ابراهيم خوجي	؟	؟	1 رجب 1245؟
8	محمد علي	؟	؟	15 شعبان 1245
19	باشا مصطفى ريس	؟	؟	10 رمضان 1245

وصول الجندي الجديد إلى الجزائر:

عندما يصل الجندي الجديد إلى الجزائر، يسجل من قبل الباش كاتب في سجلات الإنكشارية، بحيث يقيد اسمه وبلده وأوصافه مثل لون بشرته وقامته وتاريخ انخراطه واسم الثكنة التي يعين فيها ورقم الأوجاق الذي ينظم إليه إضافة إلى اسم الأوده باشي الذي يخضع لأوامره ولأجرة التي سيتسلمها²⁰.

ويسلم البايليك لكل إنكشاري جديد بدلة متكونة من قميص مصنوع من القماش الخشن وصدريّة ومبيان؟ وفوطة خضراء اللون وسروال وشاشية من صنع محلي وشال أحمر اللون يستعمله كحزام وحذاء وغطاء مصنوع من الصوف، كما يسلم له البايليك سلاح يتضمن: بندقيّة وسيف ومسدس، ويعتبر هذا السلاح سلفة لأنه يسدد ثمنه فيما بعد من أجرته في حالة عدم ارجاعه²¹ إضافة إلى هذا يعطى له ملح البارود وقطعة من الرصاص غير مدبوبة يشكل منها بنفسه الخرطوش²².

أماكن إقامة الإنكشارية:

يقسم الجيش الإنكشاري غير المتزوج، في الثكنات وبعض القلاع والحصون والأبراج. وتسمى الثكنات في الجزائر بدار الإنكشارية أو بيولداش أوده لرى. أو يكيحري أوده لرى أو قشلا في بعض الأحيان وعادة ما تأخذ الثكنة اسم منشئها أو المكان الذي تقع فيه.

تحتوي كل ثكنة على مجموعة من الأوجاقات (أوجاقل) يوزعون على مجموعة من الغرف (أوده).

لقد بلغ عدد الثكنات في الجزائر ثمانية وهي:

1. ثكنة مقرر وتعرف أيضا بدار الإنكشارية مقرين

2. ثكنة باب عزون وتعرف بدار الإنكشارية الكبيرة أو متاع لبأنجية.

3. ثكنة صالح باشا.

4. ثكنة علي باشا.

5. ثكنة أوسته موسى وهي القرية من باب البحر ولهذا تسمى بمتاع باب الدزيرة

6. ثكنة يالى بمعنى ثكنة الساب أو الشاطيء وهي القرية من باب الجهاد وتعرف

هذه الثكنة بثكنة متاع الدروج وبثكنة متاع الدوامس.

7. اسكي يكيجري أي الثكنة القديمة أو دار الانكشارية القديمة وتعرف

بالفوقانية.

8. يكي (قشلا) أي دار الإنكشارية الجديدة وتعرف بالسفلانية أو التحتانية²³.

وتخضع الانكشارية في الثكنات الى نظام عسكري محكم يصهر على تطبيقه مسؤولون من بلوك باشي وأوده باشي وباش يولدش الذين سيأتي الحديث عنهم.

لقد تمتعت الثكنة في الجزائر إبان العهد العثماني بحصانة فائقة بحيث لا يمكن لأحد اقتحامها مهما كانت وظيفته وهذا للقبض على لاجئ إليها سواء كان هذا الأخير تركيا أو عربيا أو مسيحيا أو يهوديا²⁴.

كما عرفت دور الإنكشارية باتساعها ونظافتها الفائقة²⁵ إذ صخر البايليك لخدمة الانكشارية في الثكنات الأسرى المسيحيين الذين كانوا يصهرون على نظافتها دائما. ولم يكن هؤلاء الأسرى ليشكوا من حالهم في الثكنات لأن الجند كانوا يعاملوهم معاملة حسنة ويعتبروهم أصدقاء وليس خدم²⁶.

ونبين من خلال الجدول التالي كيفية توزيع الجيش في الثكنات²⁷ :

اسم الثكنة	عدد الغرف (أوده لر)	عدد الجند (بكيحري)	عدد الأوجاقات (أوجاقلر)
ثكنة مقرر	27	899	48
باب عزون	28	1661	63
صالح باشا	26	1266	60
علي باشا	24	1516	55
أوسطه موسى	31	1833	72
يالي (الدروج)	15	602	27
اسكي (القدم)	31	1089	60
يكي (الجديدة)	19	149	38

تنظيم الإنكشارية :

تنقسم الإنكشارية في الجزائر إلى فرق أو وحدات صغيرة تسمى أوجاق وهو اسم مأخوذ من نظام الجيش الإنكشاري باستانبول مع اختلاف طفيف، لأن كلمة أوجاق بتركيا تعني الجيش الإنكشاري كله. ولقد بلغ عدد الأوجاق (أوجاقلر) في مدينة الجزائر 424 أوجاقا، يحمل كل أوجاق رقم يعرف به، ويكون من مجموعة من الجند يختلف عددهم من أوجاق لآخر²⁸.

الرتب العسكرية :

تخضع الإنكشارية إلى نظام محكم فكل واحد مسؤول أمام الآخر حسب رتبته والمهام المخولة له. وقد نص عهد الأمان²⁹ الذي يعتبر دستورا أساسيا للمؤسسة العسكرية على احترام كل واحد لمنصبه والمهام المخولة له دون أن يكون تداخل في الصلاحيات.

أما عن الرتب العسكرية فترتيبها كالتالي :

1. يولدش : وهو المجدد الجديد الذي لا رتبة له، ويدعى بـ يكي يولدش أي يولدش الجديد.
2. اسكي يولدش أو يولدش القدم : ويتحصل على هذه الرتبة بعد مرور ثلاث سنوات من الخدمة كيكبي يولدش.
3. باش يولدش : أو رئيس يولدش ويتحصل على هذه الرتبة بعد مرور ثلاث سنوات من الخدمة كاسكي يولدش.
4. وكيل الحرج : وهو المقتصد ورتبته تعادل عريف أول وقد يتعدى عدد وكلاء الحرج في الأوجاق الواحد وهذا حسب أهمية الأوجاق.
5. وكيل حرج اليّ وهو وكيل حرج ثانوي.
6. أوده باشي : وهو مسؤول عن الأوده في الأوجاق ورتبته تعادل رتبة ملازم أول.
7. أشحي أو عشحي وهو الطباخ ويعمل تحت أوامر وكيل الحرج.
8. عشحي باشي أو رئيس الطباخين ورتبته تعادل رتبة بلوك باشي
9. بلوك باشي : وهو مسؤول عن الأوده في الأوجاق، ورتبته تعادل رتبة نقيب، ويسبق أن البلوكباشية في أواخر العهد العثماني لم يعودوا يصنفون داخل الأوجاق وأصبحوا يشكلون جهازا مستقلا ويتولون بالتناوب قيادة (النوبة) بلقب آغا أو العمل تحت أوامر الأغا بلقب كاهية.
1. الكاهية أوباش بلوك باشي : وهو أقدم ضابط في الجيش وهو خليفة الأغا، يترأس اجتماعات الضباط المكونة من الياياباشية وعددهم 24 والتي تجتمع بالقرب من منزل الأغا. ويستطيع الكاهية اتخاذ قرارات في أمور بسيطة مكان الأغا، ومدة خدمة الكاهية شهرين.

2. ياياباشي: ويشكلون فرقة مميزة، تضم أقدم ضباط المدفعية أو البلوكباشية القدامى، وقد تركوا مناصبهم لضباط شباب. وياياباشية هم مستشارو الديوان ويرافقون دوماً الداى فى الحفلات العمومية ويساعدون الأغا فى حل الأمور المعقدة. وأقدم ياياباشي يختار ليصبح كاهية ثم آغا، وكان صفراء الجزائر يختارون من صفوف الياياباشية، كما كانوا يكلفون بحمل أوامر الداى إلى مختلف أرجاء الإيالة، وهم كذلك المكلفون بتفتيش السفن التجارية حين تتأهب إلى الرحيل. وكان الهدف من هذا التفتيش التأكد من عدم هروب الأسرى.

3. الأغا: أو آغا العسكر وهو القائد الأعلى للجيش وهو بمثابة جنرال. ويعين الأغا فى منصبه لمدة شهرين فقط ولذا يعرف بأغا الهلالين ثم يحال على التقاعد أين يصبح يدعى بمزول آغا أو معزول آغا. لا يترك الأغا الجزائر خلال مدة توليه المنصب، ويقوم فى منزل خاص، أين تسلم له كل مساء مفاتيح المدينة. وتعطى باسمه الأوامر لفرق الجيش ولا يحق له أثناء توليه المنصب اصطحاب النساء والأطفال ولا يغادر منزله إلا لحضور اجتماعات الديوان ودفع أجور الإنكشارية التي تسلم باسمه مدة توليه المنصب. وكان الأغا عند الخروج يمتطي حصانا ومعه شواشين يهتفون فى وسط العامة وبصوت مرتفع "إحذروا إنه الأغا". ومن صلاحيات الأغا معاقبة الأتراك سرىا بمزله سواء بالسجن أو بالضرب أو بالقتل إن أمره الداى بذلك.

عندما يتولى الأغا منصبه يلبس قفطان التولية ويستلم وثيقة عهد الأمان وعندما يترك منصبه يسلم بنفسه القفطان ووثيقة عهد الأمان لمن يتولى المنصب بعده. بعد إحالته على التقاعد يحضى معزول آغا بكل الاحترام³⁰. ويحتفظ بحقه فى حضور اجتماعات الديوان لكن كملاحظ فقط وكثيرا ما أوكلت إلى الأغاوات بعد تقاعدهم مهام الإشراف على مؤسسة أوقاف سبل الخيرات كوكلاء.

من المفروض أن التقدم في الرتب العسكرية يخضع إلى مقياس الأقدمية إلا أن هذه القاعدة لا تحترم في بعض الأحيان فيبقى بعض الجند في رتبهم الأصلية خاصة أولئك الذين لم يكونوا ضباطاً، إلا غاية التقاعد أو يصنفون ضمن الجند الاحتياطي أو خارج سلك الجند، وفي بعض الأحيان يتسلق الجندي سلم الرتب بسرعة ودون احترامه للأقدمية وفي مثل هذه الحالة كان يغير للإنكشاري أوجاقه ليحل محل الضابط الذي أحيل على التقاعد تفادياً لغليان الإنكشارية. ويبدو أن الانتقال من رتبة أوده باشي إلى رتبة بلوك باشي كان يتم بسرعة ففي خلال أربع سنوات من سنة 1158 هـ إلى 1162 هـ بلغ عدد الذين تحصلوا على رتبة بلوك باشي 157 وهذا من مجموع 424 أوده باشياً³¹.

مهام الجيش الإنكشاري :

للجيش الإنكشاري مهمة أساسية، مهمة توكل لأي جيش نظامي في أي دولة كانت وهي حماية الدولة من أي عدوان خارجي والسهر على استتباب الأمن داخل أرجاء الوطن، إضافة إلى مهام أخرى سيأتي الحديث عنها. والجيش الإنكشاري يؤدي واجبه العسكري الذي يدوم قرابة 13 سنة في النوبات والمحلات.

فالنوبة هي فرق الجيش الإنكشاري التي تقوم بحراسة الحصون والقلاع والأبراج، ويسمى الإنكشاري الذي يقوم بالحراسة فيها بالنوباتجي. وينقسم الجيش في النوبة إلى صفرات³²، وكل صفرة تحتوي على مجموعة من الجند يتراوح عددهم ما بين 11 و 16 رجلاً³³. وقد يتعدى عددهم هذا الرقم حسب أهمية المكان.

فكانت النوبات متواجدة في كل قطر الإيالة منها القل، زمورة، مستغانم، وهران، فسنطينة، عنابة، بسكرة، بجاية، تبسة، تلمسان، جيجل، برج حمزة، تامنغوست، كهف الرجالة، بني جنات، برج الفنار، برج علي باشا، مرسى الدبان، معسكر القصبة والقصر³⁴ ودلس ومهدية، وفي الحصول الأخرى المتواجدة على الساحل الجزائري³⁵.

إن أهم نوبة في مدينة الجزائر هي نوبة القصة والنوبة التي تحرس القصر وتشكل النوبتان من الأتراك فقط ولا يحق للكراغلة الانخراط فيها، ويختاروا أفراد نوبة القصر ونوبة القصبة من مجموع الإنكشارية الموجهة في السنة إلى المحلات ويشرف الداوي بنفسه على اختيار أفراد نوبة القصر³⁶.

فنوبة القصبة تتكون من ثلاث صفرات :

الصفرة الأولى وتتكون من أغا وأوده باشي ووكيل حرج و 11 إنكشاري وعشحي المجموع 15 فردا.

الصفرة الثانية تتكون من كاهية وأوده باشي ووكيل حرج و 16 إنكشاريا وعشحي المجموع 20 فردا.

الصفرة الثالثة: وتتكون من أوده باشي ووكيل حرج وعشحي وباش طوبجي المجموع 20 فردا³⁷.

وكانت مهمة نوباتجية القصبة حراسة الخزينة بالتناوب منذ طلوع الفجر إلى غاية اغلاق الخزينة على الساعة الواحد والنصف زوالا، ويقضي نوباتجية القصبة الليل بالقصبة حيث يتكفل البايليك بطعام العشاء والقهوة التي تسلم لهم ثلاث مرات في اليوم³⁸.

أما نوبة القصر فتتكون من صفتين :

الصفرة الأولى : تتشكل من أغا وأوده باشي ووكيل حرج و 16 إنكشاري المجموع 19.

الصفرة الثانية : تتكون من خوجة النوبة وأوده باشي ووكيل الحرج و 15 لمجموع 18³⁹.

ويرأس نوبة القصر بلوك باشي وأوده باشي وهذا عندما يكون باب القصر مفتوحا أما عند اغلاقه فيترأسها الخوجة الذي لا يترك القصر ويحتفظ بمفاتيحه ويقضي

نوباتجية القصر الليل به ماعدا البلوك باشي والأوده باشي فينصرفان بعد اغلاق باب القصر وتتولى نوبة القصر حراسته من طلوع الفجر إلى غاية إغلاق باب القصر، ومن مهام نوباتجية القصر حراسة الداى أيضا . ففي فترة تسليم الأجور يقومون بتفتيش السيولداش الذين يتقدمون للحديث مع الداى ويتأكدون من عدم حملهم للسلاح⁴⁰ .

وتعطى للنوباتجية عطلة يومي الثلاثاء والجمعة، ومدة خدمتهم عام واحد، ويحق للنوباتجي أن يغير نوبته بنوبة أخرى كأن يغير مثلا من نوبة مهديّة إلى نوبة عنابة أو مستغانم، إلا أنه لا يسمح له بالتغيير عندما يتعلق الأمر بنوبيّ القصر والحصن بمدينة الجزائر⁴¹ .

أما المحلة فهي فرق الجيش الإنكشاري التي تتوجه إلى البياليك الثلاثة سواء لجباية الضرائب والتي تتم في شهر أفريل من كل عام أو لمعاينة القبائل الثائرة، وتعسكر المحلات أمام وادي الحراش⁴² قبل تحركها بـ 10 أو 12 يوما⁴³ .

ينقسم الجند في المحلة إلى خيم وتتألف كل خيمة من مجموع مجموعة من الصفرات وتضم كل صفرة مجموعة من الجند⁴⁴ يتراوح عددهم من 11 إلى 16 رجلا⁴⁵ . يتألف كل محلة ضابط برتبة ياياباشي ويحمل لقب آغا أثناء أداءه المهمة ولهذا يسمى بأغا المحلة ويساعده بلوك باشي وأوده باشي وخوجة وشواشين وسقاء باشي وعشجي باشي ووكيل الحرج. ويبدو أن المحلة المتوجه نحو بايليك الشرق هي التي كانت تضم أكبر عدد من الجند نظرا لصعوبة الطريق وللمشاكل التي كانت تتلاقاها المحلة في طريقها نحو قسنطينة، فقد تكونت في أواخر القرن 18 من 60 خيمة احتوت كل خيمة صفرة ضمت 16 رجلا⁴⁶ .

ولقد مس عهد الأمان على كيفية تموين المحلات أثناء أداء واجبها وذكر مناطق معينة لذلك فمحلة الشرق تتلقى مؤنّها من لحم وزبدة بعمرارة أما محلة الغرب

فتلتقاها بعمليانة⁴⁷. إلا أن هذا القانون لم يكن يحترم إذ كانت المحلات تأخذ مستلزماتها من الأهالي برضاهم أو غير رضاهم⁴⁸.

تختلف مدة مهام كل محلة عن الأخرى فتبقى المحلة الموجهة نحو بايليك التيطري شهرين⁴⁹ لأنه بايليك صغير وفقير ثم تعود إلى الجزائر وتبقى تلك المواجه إلى معسكر أي بايليك الغرب أربعة أشهر أما المحلة الموجهة نحو قسنطينة فتبقى ستة أشهر⁵⁰. والملاحظ هنا أن الإنكشاري لا بد عليه أن يؤدي واجبه في المحلات الثلاث ثم يعين بعد ذلك في النوبات⁵¹. عندما يريد الإنكشاري البقاء في البايليك الذي أرسل إليه يسمح له بذلك⁵².

فرق الزواوة :

تساعد فرق الزواوة الجيش الإنكشاري في أداء مهامه، وفرق الزواوة ليست جيش نظامي بل هم الرجال الذين توفرهم القبائل الموالية للبايليك وتستدعى فرق الزواوة للإندماج إلى الجيش الإنكشاري في حالات خاصة وهي عندما تكون حرب بين الجزائر وبلد آخر⁵³ فيشكلون أكبر عدد في هذه الحالة⁵⁴ أو عندما يخرج الجيش في محلة ضد القبائل الثائرة أو عندما تخرج المحلة لجباية الضرائب. وتشكل فرق الزواوة الفرسان بينما الأتراك والكراغلة يشكلون فرق المدفعية⁵⁵. ويبدو أن فرق الزواوة كانت تقيم في المحلات في خيم منفصلة عن الجيش الإنكشاري فقد شكلت فرقتهم المرسلة إلى أوطان الشرق 30 خيمة⁵⁶.

يسلم البايليك لأفراد الزواوة أثناء أداء مهامهم زيانيا واحدا في الشهر بينما يسلم إلى الجيش الإنكشاري زيانين. كما يعاملهم البايليك معاملة خاصة مقابل الخدمات التي يقدمونها ويقدم لهم تسهيلات وامتيازات كإعفائهم من الضرائب⁵⁷.

أجور وعوايد الجيش :

يستلقى الجيش الإنكشاري أجرة⁵⁸ تسلم كل شهرين في القصر وتتراوح هذه الأجرة بين 14 و160 صيمة⁵⁹. ويبدو أن الأجرة تبدأ ضئيلة ثم تزيد كلما صار الإنكشاري قديما في سلكه، كما تزيد الأجرة حين يبين دأي جديد أو يكون هناك انتصار كبير إلا أنها لا تتعدى 160 صيمة⁶⁰، ويذكر في هذا الصدد قنصل أمريكا بالجزائر ويليام شالير بأن أجرة اليولداش الجديد لا تتعدى نصف دولار في الشهر ثم مع مرور الزمن ترتفع لتصل إلى 8 دولارات وهو أعلى مرتب⁶¹ ويبدو ان الأجرة تستقر بعد 13 السنة من الخدمة⁶². تدوم مدة تسليم الأجور 40 يوما حتى يتسنى للجميع الحصول عليها⁶³

تدفع الأجور بحضور الداي والآغا والكاهية والبلوك باشية والخوجات الثلاث والشواشين والخزناجي ومعه حضريان يعدان النقود ويولداش وباش يولداش واثنين من وكلاء الحرج⁶⁴. وأول من يتسلمها هو الداي⁶⁵.

لا بد على كل واحد أن يمثل أمام الآغا للحصول على الأجرة، إلا أنه يحق لليولداش الذي يكون في المحلة أو النوبة بأخذ أجرته عندما يعود كما يحق لليولداش الذي يتغيب ثلاث مرات من توكيل من يأخذ بدله الأجرة، إلا أنه لا يسمح لو كي له أخذ الأجرة الرابعة فعليه أن يتقدم بنفسه لتسلمها، أما اليولداش الذين يكونون في راحة أي ليسوا في الخدمة فكثيرا ما كانوا يكلفون اليهود بذلك إذ يسلم لهم اليهود قيمة الأجرة مسبقا وبفوائد كبيرة ثم يقوم اليهود بدورهم بالتفاوض مع أحد الشواشين بسحب الأجرة ويسلمها لهم مقابل هذا العمل يتسلم الشاوش بياسترة واحدة على كل أجرة، لكن في الأجرة الرابعة لا بد على الإنكشاري الغائب أن يحضر بنفسه لتسلمها⁶⁶.

إن أجرة الإنكشارية وإن بدت هزيلة وغير كافية فإن العوايد التي كانت تقدم لها كانت تكفي لتغطية حاجاته وبالتالي تكوين ثروة عند بعض أفراد الإنكشارية خاصة أصحاب الرتب العالية.

عوائد الجيش :

يوفر البايليك للجيش إضافة إلى الأجرة الخبز مجاناً كي يتلقى كل إنكشاري أربع خبزات يومياً⁶⁷ أما الجند المتزوج الذي يسكن خارج الشكنات في منازل خاصة فإنه يحرم من الخبز إذ يرسل الكاهية مع الإنكشاري المتزوج شاوشا عند العشجى باشي السذي يشطب اسمه من قائمة اليولداش الذين يتسلمون الخبز من البايليك⁶⁸ ويسلم البايليك لليولداش المتزوج مقابل الخبز صاع من القمح⁶⁹ وإن حدث وطلق اليولداش زوجته أو توفية وأراد الاستفادة ثانية من خبز البايليك فعليه أن يثبت ذلك بنفسه إلى الكاهية الذي يأمر العشجى باشي بتثبيت اسمه من جديد في قائمة المستفيدين من خبز البايليك. وكانت جماعة الجيجلية هي المكلفة بتوفير خبز الإنكشارية والعييد⁷⁰. كما يقدم البايليك إلى الإنكشارية مساعدات أخرى كتخفيض في أسعار المواد الاستهلاكية مثل اللحم الذي يباع لهم بثالث السعر العادي⁷¹. كما يتلقى الجيش علاوات في الأعياد الدينية وعند تنصيب داي جديد أو اعتلاء سلطان جديد سدة الحكم أو انتصار في حرب.

كيفية معاقبة الجيش :

لا نعرف الكثير على كيفية معاقبة الجيش الإنكشاري فالوثيقة الوحيدة التي تطرقت للموضوع هي عهد الأمان وإن ركز على المحلة التي تخرج لجباية الضرائب فنسبة لأغا المحلة فإنه إذا ارتكب خطأ في أداء واجبه يعزل من منصبه ويؤجل معاقبته إلى غاية عودة المحلة إلى الجزائر أين تجرى تحريات في قضيته ثم ييث الحكم النهائي أما

بنسبة لجند المحلّة فإن ارتكب خطأ أثناء أداء المحلّة لواجبها فإن الجندي يمثل أمام آغا المحلّة وهو الذي يقرر في أمر معاقبته أم لا، أما إذا هرب المتهم وبقي غائب لمدة ثلاث أيام فيشطب اسمه من دفتر المحلّة ويمنع عليه الانخراط ثانية في أوجاق الإنكشارية، وإن حدث وعاد الجندي الفار إلى المدينة بعد مرور فترة من الزمن فيقبض عليه ويجلد حتى يموت. هذا وإن تسببت المحلّة بأكملها في إحداث الفوضى والشعب فإن كل أفرادها يعاقبون وذلك بمنعهم من دخول المدينة وتعتبر محلتهم محلّة مفقودة⁷².

ويبدو أن تعسكر المحلات هو فرصة للفارين من العقوبة للعودة إلى صفوف الإنكشارية بحيث يذهبون إلى أفراد المحلّة وينضمون إلى صفوف الإزبانطوط التابعة للباياليك الثلاثة. ويبقوا فيه حتى يسمح لهم أو ينسى أمرهم⁷³.

أما إذا قتل إنكشاري رجلاً فإنه يفر إلى ضريح الولي سيدي عبد الرحمان الثعالبي ثم ينخرط في صفوف الإزبانطوط التابعة للبايات، أما إذا كانت جريمة شعاعاً فإن الداي يمنع تزويده بالماء والطعام حتى يضطر إلى الخروج فيقبض عليه ويقتل، لكن في كثير من الأحيان يسكت على ما اقترفه الإنكشاري فينسى أمره ويعود ثانية إلى المدينة بعد مرور ستة أشهر أو سنة⁷⁴.

الجيش خارج الشكنات :

لم يعيش أفراد الجيش الإنكشاري في عزلة عن بقية أفراد المجتمع الجزائري بل اندمجوا في أوساطه سواء بالمصاهرة وهذا ما سمح بوجود شريحة جديدة في المجتمع الجزائري عرفت باسم الكراغلة، أو بممارسة نشاط اقتصادي. فلقد وجدنا الكثير من أفراد الجيش الإنكشاري من زاول حرفة منها ما كانت لها علاقة بالجانب العسكري كالحقماقحية ومنها ما كانت بعيدة عن هذا الجانب مثل الخياطة والحفاة والحياكة⁷⁵. كما لعب الجيش الإنكشاري دور كبير في الوقف، إذ كانت إسهاماته في الوقف

معتبرة من حيث الأملاك التي حَسبها على مختلف المؤسسات الدينية والمشاريع الخيرية. فقد قام الجيش بتأسيس مؤسسة أوقاف سبل الخيرات وكثيرا ما كان الجيش يجس على الأوجاق الذي كان فيه أو الأوده الذي سكنها⁷⁶.

محاولة القضاء على الإنكشارية :

قام الجيش الإنكشاري بدور مشرف في الدفاع على الجزائر وفي صد الغارات الخارجية المتكررة عليها. وأظهر شجاعته في القتال ووفائه للوطن وقد شهد له بذلك اللورد إكسموث أثناء حملته على الجزائر عام 1816م، إذ ذكر بأنه لم ير في حياته عدوا أكثر صمودا وأكثر تشبها بأسلحته ولا حماس مثل حماس الجزائريين في القتال فلا أحد تراجع ولو بخطوة واحدة⁷⁷.

إلا أن هناك جانب سلبى يؤخذ عليه الجيش الإنكشاري منذ بداية تواجده على أرض الجزائر وهو تورطه في المؤامرات على الحكام وللإطاحة بهم واغتيالهم، فكان الجيش يولي من يشاء ويعزل من يشاء ويعتال من يشاء، فأنحرف بذلك عن مساره وكان سببا في عدم وجود الاستقرار السياسي في الجزائر.

فكر بعض الحكام في القضاء على هذا التنظيم العسكري مثل الداى عمر باشا (1814-1816) لكن محاولته باءت بالفشل⁷⁸. وعندما تولى الحكم الداى على حوجة (1816-1818) كان على دراية أن الجيش الإنكشاري الذي ولّاه الحكم قد يطيح به، ولهذا بدأ منذ توليه الحكم بتصفية المحيطين به، فقتل الآغا ونفى الخزناحي إلى تلمسان وخوجة الخيل إلى مستغانم وأولى مكائهم أفراد يتق فيهم ومن هؤلاء حسين حوجة الذي سيتولى الحكم بعده إذ عينه في منصب حوجة الخيل⁷⁹. كما قام بنقل مقر إقامة الحكام من قصر الجنينة إلى القصبة وحمل معه إلى مقره الجديد كل الأموال والأشياء الثمينة المودعة في الخزينة الجزائرية⁸⁰. وأحاط نفسه بفرقة من الجزائريين للدفاع عنه⁸¹.

لما أراد الجيش الإنكشاري الإطاحة بالداي علي خوجة كان هذا الأخير قد أخذ احتياطاته فصبوب مدافع القصبة نحو الشكات وقبض على المتآمرين عليه في ثكنة الخراطين. وقطعت رؤوسهم أمام باب القصبة تنكيلا بهم⁸²، وبعد ذلك دس في أوساط الجيش حواسيس ينقلون له الأخبار⁸³. إلا أن الجيش الإنكشاري واصل محاولته في الإطاحة بالداي، فنصب شاوش محلة الشرق وهي عائدة بالدنوش برج حمزة وعندما وصلت المحلة إلى عين الربط كان خبر المؤامرة قد وصل إلى الداي، فضربهم شر ضرب بالمدافع ثم برج تافورة، فلجأ جيش المحلة إلى ضريح الولي الشيخ ابن عبد الرحمن فضربهم من جهة البحر، وأمر الداي بمكافأة كل من يأتيه برأس تركي أو كرغلي من المحلة التي تأمرت عليه، فتشتت شمل جيش المحلة فقتل بعضهم وسبق البعض منهم إلى القصر فممنهم من قتل علي يد الداي ومنهم من بني عليه جدار، أما شاوش المحلة الذي أجبر علي قبول أمر الإنكشارية فقد أعاده الداي إلى تركيا⁸⁴.

لقد لقي الكثير من أفراد الجيش الإنكشاري حتفه في هذه التصفية حتى قيل أن عدد قتلاهم قد بلغ حوالي 500 رجلا⁸⁵ وهكذا كانت مبادرة الداي علي خوجة الجريفة درساً لمن تبقى من الجيش الإنكشاري في الجزائر.

الخاتمة :

أدى الجيش الإنكشاري دوره في الجزائر كتنظيم عسكري يسير وفق قوانين خاصة في صد الهجمات الخارجية على الجزائر وأبرز بسالته في القتال في عدة معارك شهد له بذلك عدة كتاب. كما ساهم أفراد الجيش الإنكشاري كفئة من الفئات الاجتماعية المشكلة للمجتمع الجزائري في مجال الاقتصادي والاجتماعي وذلك من خلال النشاط الحرفي والتجاري الذي مارسه خارج الثكنات أو من خلال إسهامه في الأعمال الخيرية أي في مجال الأوقاف.

إلا أنه يعاب على المؤسسة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني (ونقصد هنا الجيش الإنكشاري) عدة أمور نذكر منها حرمان العنصر المحلي من الانخراط في صفوفها إذ بقيت حكرا على العنصر التركي والكرغلي فكبرت الهوة بين الحاكم والمحكوم وازداد الشعور بالحرمان وتمييز بين مختلف الفئات الاجتماعية المكونة من المجتمع الجزائري. وحتى فئة الكراغلة لم يسمح لها بالوصول إلى أعلى الرتب العسكرية في الجيش فكان هذا من الأسباب التي أدت إلى اصطدامات عديدة بين الأبناء والآباء انتهت في معظم الأحيان بإرابة دماء كثيرة. أضف إلى ذلك أن الجيش الإنكشاري كان وراء اغتياالات الحكام الذين تولوا حكم الجزائر فانحرف بذلك عن مساره ولهذا قام الداي علي خوجة باستئصال شوكة الجيش الإنكشاري وكبح جماحه ووضع حد لتجاوزاته المتواصلة وهذا بالقضاء على معظم أفراد الجيش الإنكشاري في الجزائر فكان مؤشرا لبداية نهاية هذا التنظيم العسكري الذي قضى عليه نهائيا في الدولة العثمانية عام 1826 في الواقعة الخيرية على يد السلطان العثماني محمود الثاني.

الهوامش:

1. تستكون كلمة يكيحري من حزئين فيكي (وتقرأ يني) وتعني حديد وحيري تعني حند وأول ما ظهر هذا التنظيم العسكري في الدولة العثمانية منذ نشأتها في القرن ويتبع الجيش الإنكشاري الطريقة الصربية المعروفة في الدولة العثمانية وهي الطريقة البكداشية. أنظر :

WEISSMANN Nahoum, Les Janissaires. Etude de l'organisation militaire des Ottomans. Thèse pour le Doctorat d'Université, présenté à la faculté des lettres de l'Université de Paris, Paris, 1938.

2. TEMIMI. A., «Lettre de la population algéroise au Sultan Selim I en 1719 », Revue de l'Histoire Maghrébine, n° 05, 1976, pp. 75-101.

3. CHEVALIER. C., Les trentes premières années de l'Etat d'Alger, 1510-1541, Alger, Office des Publications Universitaires, 1988, p. 38.

4. HAEDO. p.17.

5. COLOMBE. M., « Contribution à l'étude du recrutement de l'odjak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence d'Alger », Revue Africaine, 1943, pp. 173-174.

6. Ibid., p.173.

7. Ibid., p. 173 n° 26

8. KHODJA. H., Le Miroir, Paris, Sindbad, 1985, p. 103

9. COLOMBE. M., Op.cit., p. 173.

10. Ibidem.

11. VENTURE DE PARADIS, Alger au XVIIIè siècle, Tunis, Bouslama cd., p.58.

12. Ibid., p. 59.

13. COLOMBE. M., Op.cit., pp. 171-172.

14. Ibid., p. 172 n° 17.

15. Ibid., p. 179.

16. SHALER. W., Esquisse de l'Etat d'Alger, Saint-Denis, Bouchene, 2001, p

17. أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، ملف 3190، وثيقة رقم 344.

18. COLOMBE. M., Op.cit., pp. 182-183.

19. VENTURE DE PARADIS, Op.cit., p. 58.

20. Ibid., p. 57.

21. KHODJA. H., Op.cit., p. 104.

22. أنظر عن هذه الثكنات:

DENY. J. « Les registres de solde des janissaires conservés à la Bibliothèque Nationale d'Alger », Revue Africaine, 1943, pp. ; DEVOULX. A., « Les casernes des janissaires à Alger », Revue Africaine, 1858-1859, pp.

23. VENTURE DE PARADIS, Op.cit., p. 85.

24. Ibid., p. 83 ; SHALER. W., Op.cit., p. 45.

25. VENTURE DE PARADIS, Op.cit., pp. 83-84.

26. DENY. J., Op.cit., pp. 36-37.

27. Ibid., p. 41.

28. أنظر نص عهد الأمان في :

« AHAD AMAN, ou règlement politique et militaire », Revue Africaine, n° 19, 1859, pp. 211-219.

29. أنظر عن الرتب العسكرية :

VENTURE DE PARADIS, Op.cit. ; KHODJA. H., Op.cit ; SHAW, Voyage dans la régence d'Alger par le docteur Shaw, traduit de l'anglais par J. Mac Carthy, Tunis, Bouslama ed., ; TACHRIFAT, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, par A. DEVOULX, Alger, Imprimerie du Gouvernement, 1852. ; AHAD AMAN, Op.cit.,

سينسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الجزائر، الشركة

الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.

30. DENY. J., Op.cit., pp. 43-44.

32. وتعني الصفرة المائدة

33. TACHRIFAT., Op.cit., p. 26.

34. Ibid., pp. 31-32.

35. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., p. 64.

36. Ibid., pp. 67-68.

37. TACHRIFAT., Op.cit., p. 32.

38. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., pp. 67-68.

39. TACHRIFAT., Op.cit., p. 32.

40. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., p. 68

41. Ibid., p. 64.

42. Ibid., p. 69. ; SHALER. W., Op.cit., p. 69.
43. HAEDO., Op.cit., p. 79.
44. Ibid., pp. 69-70. ; TACHRIFAT., Op.cit., p. 26.
45. TACHRIFAT., Op.cit., p. 26.
46. HAEDO., Op.cit., pp. 79-80 ; VENTURE DE PARADIS., Op.cit., pp. 69-70. ; KHODJA., Op.cit., p. 121.
47. AHAD AMAN, Op.cit., pp. 315-316.
48. HAEDO., Op.cit., p. 79.
49. أربعة أشهر حسب 64. VENTURE DE PARADIS, p.
50. KHODJA., Op.cit., p. 120.
51. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., p. 64.
52. KHODJA., Op.cit., p. 121.
53. TACHRIFAT., Op.cit., p. 32.
54. SHAW., Op.cit., p. 193.
55. SHALER. W., Op.cit., p. 55.
56. TACHRIFAT., Op.cit., p. 32.
57. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., p. 13.
58. تسلم هذه الأجرة لكل تركي وكرغلي مقيم في الجزائر سواء كان مسجل أو غير مسجل في قوائم الإنكشارية، أنظر: TACHRIFAT., Op.cit., p. 26.
59. TACHRIFAT., Op.cit., p. 26.
60. سنسر ويليم، نفسه، ص 59.
61. SHALER. W., Op.cit., p. 45.
62. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., p. 65.
63. Ibid., p. 62.
64. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., p.59. ; سنسر ويليم، نفسه، ص 59.
65. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., p. 61.
66. سنسر ويليم، نفسه، ص 59.
67. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., pp. 66-67. ; 70-71.
68. Ibid., p. 87.

69. Ibidem.
70. KHODJA. H., Op.cit., p. 104.
71. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., p. 87.
72. SHAW., Op.cit., p. 184.
73. AHAD AMAN, Op.cit., pp. 215-216.
74. VENTURE DE PARADIS., Op.cit., p. 65.
75. Ibid., pp. 85-86.
76. SHUVAL. T., La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle : Population et cadre urbain, Paris, CNRS ed., 1998, p.
77. انظر على سبيل المثال الوثائق التالية : الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية،
علبة 12.
78. PLAYFAIR. R. L., « Episodes des relations de la Grande-Bretagne avec les Etats Barbaresques avant la conquête Française », Revue Africaine, 1980, p. 34.
79. الزهار الحاج أحمد الشريف، مذكرات نقيب أشرف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني،
الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 131.
80. نفسه، ص 132.
81. نفسه، ص 132-134. 141. SHALER. W., Op.cit., p. 141.
82. SHALER. W., Op.cit., p. 141.
83. الزهار، نفسه، ص 134 و 136.
84. نفسه، ص 136.
85. نفسه، ص 136-137.
86. SHALER. W., Op.cit., p 114.

المبحث الثالث : طائفة رياس البحر

من إحرار الأستاوة نعيمة بومشوش

أ. طائفة الرياس ومميزاتها :

1. التعريف :

تشمل مجموع الذين يعيشون على القرصنة وكانت تشمل بالدرجة الأولى الرياس، مالكي السفن وكذلك البحارة وعمال الصيانة كالنجارين والجلاظة¹. وقد استعملت هذه الكلمة خلال الفترة العثمانية بالجزائر للدلالة على بحرية إيالة الجزائر وعبرت عن كل من له صلة بالبحر. وكان لهذه الطائفة دورا أساسيا في مصير هذه الإيالة. فمن هم هؤلاء الرجال يا ترى؟ وما هي الوسائل التي أوصلتهم إلى الشهرة التي حظيوا بها؟ وما الدور الذي اضطلعوا به داخليا وخارجيا؟

2. أصل أعضائها :

كانت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية غنية ومختلفة المشارب، يوحدها الجهاد في سبيل الله. وقد تكوّنت من خليط ممتاز من العناصر المحلية إضافة إلى أعلاج أوروبا الذين أسلموا وانضمّوا إلى بحرية الجزائر. يضاف إليهم بحارة من المشرق الإسلامي وآخرون قدموا من الأندلس². وهذا ما اكسب الجزائر نفسا جديدا وقوة متجددة وتقنيات إضافية في مجال المعدات خصوصا.

فالبحارة المحليون والأندلسيون والمشاركة الذين تولّوا الحروب البحرية قبل التحاق الجزائر بالدولة العثمانية شكّلوا حقا العمود الفقري لقوة سفن القرصنة³. أما الأعلاج والذين ينتمون لكل الأمم المسيحية فقد بدأ توافدهم على الإيالة ابتداء من القرن السادس عشر. ويلاحظ بوابي أنه خلال هذا القرن كانت غالبية الأعلاج من بلدان البحر الأبيض المتوسط مع أكثرية من المدن الإيطالية. أما خلال القرن السابع

عشر فقد ظهرت عناصر جديدة من الأعلاج والذين ينتمون إلى البلدان الغربية كالألمان، الدانمركيين والفلامان الخ...⁴

3. كفاءتهم وانضباطهم :

لم يكن رجال طائفة الرياس بحارة عاديين باعتراف الكتاب الغربيين أنفسهم، بحيث أهرتهم حنكتهم وشجاعتهم ونظامهم. إذ يذكر هايدو (Hædo) أن رجال البحرية الجزائرية كانوا يجوبون البحار من الفجر إلى الغروب، وخلال الشتاء والربيع، دون خوف، ويسخرون من السفن المسيحية وكأنهم يخرجون لصيد الأرناب⁵.

ويقول كاتب غربي آخر أنه على عهد الإخوة بربروسة كان بحارة الجزائر يشكلون إحدى قوى الحوض الغربي للمتوسط الرئيسية، وقد تزايدت سطوتهم بعد 1560، بحيث شكلوا أساطيل حقيقية تمكنوا بواسطتها من مهاجمة سواحل غرب الأندلس، الغابري، صقلية، نابولي، ليفورن... الخ⁶.

ويقول غرامون (Grammont) أن رياس الجزائر لا نظير لهم في الحرب التي كانوا يخوضونها، فقد أظهروا حماسة لا تتوقف وجسارة كانت تكفل في أغلب الأحيان بالنجاح⁷. ويضيف أن سفنهم كانت تشكل القسم البحري الغربي للسفن العثمانية⁸. ولم يقتصر هذا الأسطول على الجهاد البحري والدفاع عن السواحل بل مثل دورا في السياسة الأوروبية⁹.

ومن المؤرخين المسلمين يتحدث التمقروني عن إقدامهم وشجاعتهم، بحيث شاهدتهم عند مروره بالجزائر خلال المهمة التي قادته إلى اسطنبول ما بين 1589 و1591م، فيقول أن قباطنة السفن الجزائرية يمتازون بشجاعة وجلد، فهم يمتازون بنفاد البصر الذي لا يخيب أبدا، إنهم أربعوا المسيحيين في بلادهم¹⁰. كما يذكر بأن هؤلاء الرياس أكثر قوة ومهارة عسكرية، بحيث كان يخشاهم العدو أكثر من قباطنة

اسطنبول¹¹، الذين ذكر أنهم فشلوا في الحيلولة دون حدوث تمرد للمسيحيين الذين كانوا يعملون بالسفينتين اللتين سافرتا إلى اسطنبول¹². وكان على متن إحداها ملاحظا. ويؤكد التمقروني أن هذا لم يكن ليحدث أبدا لقباطنة الجزائر، أما قباطنة اسطنبول فهم متراخون¹³. وكانت هذه الشهرة تعود إلى النظام والالتزام الذي يعتمدهونه.

فقد كان النظام محكما على متن السفن الجهادية الجزائرية، إذ شكلت بحرية إيالة الجزائر مدرسة لتكوين الرجال. فنظرا للموقع الاستراتيجي الهام - إذ كانت الجزائر ثغرا في الواجهة المباشرة مع الغرب المسيحي - كانت التدريبات والاستعدادات والمناوشات مستمرة دائما، لذا فالتكوين كان جد صارم، لأن أي تراخ أو خطأ يكلف غالبا.

ويصور غرامون جيدا هذه الوضعية، إذ يقول أن الرّيس يعتبر القائد الأوحّد على متن السفينة التي يقودها، سواء كان مورسيكيا أو أسودا أو كرغليا، كان الجميع يخضع له حتى الانكشاريون الذين على ظهر السفينة¹⁴، فمن اللحظة التي تلمس فيها المخاديف مياه البحر يصبح ممنوعا أي تحرك خشية تعكير توازن السفينة والإنقاص من سرعتها، ولا يبقى سوى النادل (comite) يتنقل في السفينة من الأمام إلى الورااء لمراقبة طريقة التجديف. أما الرّيس ففي الجهة الخلفية للسفينة كان يسير ويصدر أوامره¹⁵. وكانت السفينة عند كل خروج إلى البحر تنظف وتلمّع كليا وتشحّم حتى تصبح كأنها جديدة¹⁶. كل هذه الأشياء جعلت من سفينة الجزائر أداة حرب جد متفوّقة مقارنة بالتي تملكها بقية الأمم¹⁷.

ب. مقومات قوّة طائفة الرّياس :

أ. السفن المستعملة :

كانت السفينة - أداة الجهاد الأساسية لدى طائفة الرّياس - تحظى باهتمام بالغ. وتحدث الوثائق العثمانية عن الأنواع التي كانت تستعمل في الجزائر والتي تتمثل في

الشينيات والفرقاطات¹⁸، والباشردات¹⁹، وغيرها.. وتتحدث المصادر الغربية عن أنواع متعدّدة كذلك.

فخلال القرن السادس عشر كانت السفن المفضلة هي سفن الشيني التي تتميز بكونها طويلة وسريعة الحركة، سهلة التوجيه، ذات صارية واحدة تسير بالأشرعة والمجاديف، ويتراوح عدد مقاعدها ما بين 24 و28، ولكل مقعد مجدفان، ويقوم على كل مجدف أربعة إلى خمسة رجال²⁰. ونظرا لاستوائها وعدم ارتفاعها فإنها كانت عرضة لأن تبلّل بالأمواج بمجرد أن يضطرب البحر²¹. وترع منها كل أدوات التزيين ولا يوضع في الأمام سوى مدفع المقدمة. ويوجد في هيكل السفينة فتحات لتمرير المجاديف التي تمنح سرعة إضافية عند المتابعة والانسحاب²². وقد جعلتها خفتها تتلّق فوق الماء حتى شَبَّهها البعض بالعصافير، لحركتها السريعة واندفاعها المفاجئ نحو أهدافها²³. وقد اعتمدت بحرية الجزائر طريقة التجديف (a scallacio) التي تقتضي أن يجذّف الجالسون على مقعد واحد بمجدف واحد، وهو ما يعطي للسفينة سرعة أكبر²⁴.

واعتمدت طائفة الرياس إضافة إلى الشينيات على سفن أخرى صغيرة وخفيفة كالغليوطات والشراعيات (brigantin)، والتي دأبوا على تسميتها فرقاطة²⁵. وكانت الغليوطات والسفن ذات الأشرعة الطويلة تصنع لتكون سريعة وسهلة القيادة وذات مرونة في توجيهها، إذ كانت هذه السفن تصنع دائما بطريقة تجعل هيكلها مسطحا وغير غائر قدر الإمكان وأملسا، وبدون زخارف غير ضرورية، وبناء على نماذج السفن ذات المرونة والسلاسة في القيادة، وكان خوف هذه السفن دائما ممسوحا²⁶.

بحلول القرن السابع عشر حصل تغيير جذري في تشكيل الأسطول الجزائري، إذ عوّضت السفن ذات المجاديف بالسفن المستديرة ذات 74 مدفعا وBricks وBlacks. لكن هذا لم يمنعهم من الاحتفاظ ببعض سفن الغليوطات لحماية الميناء وللسير في

المتوسط²⁷. فحسب بوايي كان الأسطول الجزائري يتشكل من عنصرين متباينين من جهة السفن المستديرة التي تشكل الغالبية العظمى من السفن، خصوصا الربع الأول من القرن 17 والقطاع التقليدي المشكل من الشينيات²⁸.

وبحلول القرن الثامن عشر انتهت ملحمة السفن المستديرة وسجلت عودة إلى سفن الشيني إضافة إلى الشبق. وفي القرن التاسع عشر أصبحت طائفة الرياس تمتلك والفرقاطات و Corvettes و Bricks و Chaloupes و Goélettes و Polacre و شبق²⁹.

وكانت كل هذه السفن تأتي من مصدرين رئيسيين، إما عن طريق بناء السفن أو إعادة تجهيز السفن المعادية المقبوض عليها. وتشكل المصادر الرئيسية لاستخدام الطبقة العاملة الجزائرية، والنقص في اليد العاملة ذات المهارة كان يملاً من طرف الأسرى أو المرتزقة كنجارين وصانعي مدافع وصانعي الأسلحة التي عليها طلب كبير³⁰.

2. الترسانات :

بحلول القرن السادس عشر أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن تمكنها من صنع الغليوبات ذات 22 مقعدا للتجديف. وبمرور سنوات قليلة أصبحت المراكب والزوارق وغيرها من السفن تصنع في المراسي الجزائرية الأخرى³¹. ولم يكن ميناء خير الدين موجهها لأن يكون ملجأ سفن فقط، وإنما كان ترسانة لصناعتها أيضا³².

كانت المراكب الكبيرة تصنع على ساحل باب الوادي، في حين تنشأ السفن الأقل كبرا على ساحل باب عزون³³.

وتذكر المصادر ترسانة باب عزون بشيء من التفصيل، إذ هي عبارة عن حوض مستدير الشكل تقريبا، يصل قطره إلى حوالي 80 قدما، ويعد عن الرصيف بحوالي

300 قدم³⁴. وتوجد هذه الترسانة الصغيرة الآن بعد امتداد مدينة الجزائر في المكان المعروف بساحة السلطة³⁵.

أما الترسانة الثانية الواقعة داخل الميناء بجوار رصيف السفن قبالة باب الوادي³⁶ فكانت في بادئ الأمر عبارة عن شاطئ صغير حوّل إلى ترسانة لصنع السفن الكبيرة.³⁷

وبالإضافة إلى هاتين الترسانتين كانت هناك ترسانة قرية نسيبا من مدينة الجزائر، هي ترسانة شرشال التي تبنى فيها السفن من نوع الفرقاطة والبرغانطي ذات 8 إلى 13 مقعدا، والتي كان ينشئها الأندلسيون³⁸. كما كان بميناء الأزقاق المجاور لساحل مدينة عنابة ترسانة أخرى لصناعة السفن أقل أهمية من ترسانة الجزائر³⁹، بحيث لا تصنع فيها سوى السفن البسيطة من نوع الشبق والمسطحات وبعض القوارب التجارية⁴⁰. ولم يتوقف إنشاء السفن بالجزائر حتى في أسوأ أيام التقهقر⁴¹.

3 . مصادر التمويل :

أما بالنسبة للمواد الأولية التي كانت تستعمل لصناعة هذه السفن، فقد كانت الأخشاب تنقل إلى ترسانة الجزائر من نواحي شرشال⁴². كما كانت غابات القل الغنية بأشجار البلوط الأخضر تموّل هي الأخرى ترسانة الأيالة بالأخشاب الضرورية لصناعة السفن⁴³. ولا تماثلها سوى غابات اليدوغ وبني صالح والقاللة وضواحي السيوس التي تموّل ترسانة الجزائر بالأخشاب والراتنج خاصة⁴⁴. وكانت أخشاب غابات القالة أكثر ملاءمة لصنع أقباص السفن لقابليتها للانحناء والتقوس⁴⁵.

وليتسنى التمويل بصفة منتظمة وبأثمان معقولة أبرمت الحكومة مع الشخصيات المحلية اتفاقيات استفاد منها الطرفان، فتعهد آل مقران بمجانة بقطع الأشجار وإرسالها حسب المقاييس المحددة مسبقا. وكانت مصلحة تعرف بالكراسطة تنشط ببجاية،

حيث مركز الفرز والشحن، ثم انضمت كل من جيغل والقل إلى العملية⁴⁶. وإذا حصل نقص فإن الطائفة تتفاداه عن طريق الحصول عليه كغنيمة عند اعتراض سبيل السفن المعادية المحملة بالأخشاب الملائمة لصناعة السفن⁴⁷، أو عن طريق استرجاع بعض السفن التي يغنموها وتحويلها بكل براعة⁴⁸. وبما أن الصناعة البحرية تحتاج إلى مواد أولية كثيرة وأن بعضها ينقص، فإن الطائفة عقدت اتفاقيات مع بعض الدول لتزويدها بما تحتاج إليه. فقد كانت السويد والدانمارك تقدم خشب الشمال، هولندا تقدم الحديد، النحاس، الأسلحة والكبريت... الخ. أما الباب العالي فكان يقدم ردا على الهدايا التي تقدمها له الجزائر مواد خاصة بالأسطول، مثل أخشاب البناء، حاملات المدافع، دفات المراكب، صالبات المراكب، والمجاديف... الخ⁴⁹. كما كانت الطائفة تحصل على ما تحتاج إليه عن طريق مبادلة الزيت والقمح وبضائع أخرى بالعتاد الذي يدخل في صناعة السفن.

وقد نجحت الطائفة في توفير ما تحتاج إليه إلى حد جعل شو (Shaw) يستغرب أن يكون للأبالة أسطول بذلك الحجم، وهي لا تتوفر إلا على القليل من خشب البناء ولا توجد به صواري ولا حبال ولا قماش الأشرعة ولا الزفت ولا الأبحر⁵⁰.

ج. دور طائفة الرياس :

لقد اضطلعت هذه الطائفة بدور أساسي في تاريخ إيالة الجزائر سواء كان ذلك في المجال الداخلي أو الخارجي.

1. المجال الداخلي :

عرفت طائفة الرياس أحسن أوقاتها خلال القرن السادس عشر، حيث سيطرت على المجال السياسي. فقد برز البايبربايات من الرياس ليس فقط في المجال الإقليمي وإنما في المجال المتوسطي كله، أمثال خير الدين بربروس، صالح رايس، حسن بن خير

الدين، عالج علي.. الخ. وقد أثروا على نظام الحكم، إذ تزايد نفوذهم بفعل أرباح الجهاد البحري على حساب فرق الأوجاق في الفترة التي عرفت ازدهار البحرية 1518 - 1671، وكان الدايات أيضا يختارون من رياس البحر (1659 - 1671)، وعندما ضعفت البحرية وقلت أهميتها أصبح الدايات يعينون من بين ضباط الجيش البري المكون من فرق الأوجاق التي تشكل النوبات والمخلات⁵¹.

أما في المجال المالي والاجتماعي فقد كان لهم دور في تخفيف عبء الضرائب على سكان المدن والأرياف، إذ كلما زادت مصادر الدخل البحري خفت الضرائب على الأهالي ونقصت الانتفاضات وحركات العصيان⁵². وتسبب النشاط البحري لطائفة الرياس في رفاهية مجتمع المدن وزاد في غنى الحضر، وتجمعت ثروات طائلة في أيدي البحارة والتجار⁵³. وعليه فدور طائفة الرياس في فترات قوتها كان يشكل متنفسا للدولة ولخزيتها ولأهالي.

2. المجال الخارجي :

عرفت بحرية الجزائر خلال الفترة العثمانية مرحلتين متباينتين في علاقتها مع الدولة العثمانية، وبالتالي مع دول أوروبا "مرحلة التحالف أو توافق المصالح ومرحلة تناقض المصالح". فخلال الفترة الأولى كانت المصالح مشتركة بين طائفة الرياس والدولة العثمانية، إذ كان الخطر مشتركا يتمثل في الخطر الإسباني، لذا تضافرت الجهود للقضاء عليه، فكانت مجموعة من المعارك الكبرى في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر انتهت برسم خريطة جديدة في هذه المنطقة.

فقد استدعت الدولة العثمانية بايلرباي الجزائر خير الدين باشا⁵⁴ في 1536 وكلفته بقيادة الأسطول العثماني، وغادر الجزائر مع مجموعة من خيرة بحارته. وقد أدى تطور العلاقات الدولية واحتدام الصراع بين الدولة العثمانية وإسبانيا إلى حدوث سلسلة من الحروب الكبرى منها معركة بريفيزا 1538⁵⁵ التي انتصر فيها

الأسطول العثماني، ثم التدخل لمساعدة فرنسا في حربها ضد شارلوكان 1542 - 1543⁵⁶، فحصار مالطا 1565⁵⁷ التي كانت تشكل خطرا على المصالح الإسلامية والإخفاق في فتحها، ثم معركة ليبانت 1571⁵⁸ التي رغم انتهاؤها بهزيمة الأسطول العثماني فإن الجناح الذي مثل الجزائر والذي كان يقوده علي باشا⁵⁹ خرج غير متضرر من المعركة التي عرف كيف يسيّرهما، بل أكثر من ذلك، فقد تمكن علي بابراباي الجزائر - والذي عيّن نظرا لحنكته وقدراته أميرالا - من إعادة إنشاء الأسطول العثماني المحطم خلال المعركة، ولم يترك مجالا لأعداء الدولة العثمانية لينالوا منها، إذ ما إن حلّ الربيع موسم الإبحار حتى وجد العالم المسيحي نفسه أمام أسطول أقوى وأحدث من الذي سبق، وإن دُمّر⁶⁰ فجنّحت البندقية⁶¹ أهم أطراف الحلف المقدس للمسلم⁶². وفي 1574 فتحت تونس وضمّت للدولة العثمانية، ولهذا أصبح كسل الساحل الشمال الإفريقي يعترف بالسيادة العثمانية باستثناء المغرب الأقصى، واقتنعت إسبانيا بأن استتاف قواها في حروب كبرى لا طائل منه فعقدت معاهدة صلح مع الدولة العثمانية في 1580 وجُدّدت في سنوات 1581، 1584، 1587⁶³.

بعد عقد هذه المعاهدات مع إسبانيا توجهت اهتمامات الدولة العثمانية ومصالحها إلى منحني آخر، ولم تعد مصالحها ومصالح طائفة الرّياس مشتركة بالضرورة، إذ استمرت الحروب مفتوحة بين الجزائر وإسبانيا، خصوصا وأن أجزاء من الأرض الجزائرية كانت ما تزال ترزح تحت وطأة الإسبان، فانتهجت طائفة الرّياس إستراتيجية جديدة في مواجهتها لإسبانيا وحلفائها، تتمثل في شنها حرب استتاف ضدها لمحاولة إلحاق أضرار اقتصادية وعسكرية بها، غير أن الدول الأوروبية التي حققت تقدما تقنيا وصناعيا وبدأت تفكر في مد يدها على المنطقة الإسلامية لم تكن تنظر بعين الرّضا لنشاط هذه البحرية التي تمنعها من تحقيق أغراضها، لذا كانت الجزائر عرضة لسلسلة من الهجمات والاستعراضات البحرية لمحاولة الاستيلاء عليها أو على الأقل تقليص أظافرها وتقرّيم دورها، فكانت حملات متعددة منها الهولندية في

1620، 1623، 1624، 1662، 1672، 1679. والإنجليزية 1620، 1622، 1655،
1661، 1671، 1678، 1816، 1824. والدانركية في 1770، 1772، والإسبانية
1603، 1775، 1783، 1784. والفرنسية 1621، 1623، 1634، 1664، 1665،
1682، 1688، 1689، 1827 - 1830 الحصار ثم الاحتلال. هذا إضافة إلى
الحملات المشتركة⁶⁴.

أما الدولة العثمانية فقد استمرت في اعتمادها على قوة بحرية الجزائر في مواجهتها أعدائها، غير أن مساعدة طائفة الرياس لها أصبحت مشروطة، خصوصا بعد معركة فالونا 1638 والتي تكبدت فيها الجزائر خسائر معتبرة، ولم تأبه بها الدولة العثمانية ولم تساعد الجزائر على تداركها، مما جعل الرياس يقررون عدم الذهاب لمساعدة السلطان إلا بعد الحصول على ضمانات. فالجزائر بحكم موقعها لم تكن قادرة على البقاء بدون أسطول أو بأسطول منقوص، والموقع والظروف الدولية يفرضان عليها على الدوام امتلاك أسطول قوي مجهز وقابل للحركة في أي وقت. لذا فاعتبارا من هذه الواقعة صارت طائفة الرياس تطلب التعويض عن الخسائر في بعض الأحيان حتى المساعدة المسبقة.

الهوامش :

¹ . الجلافة : وهم الذين يسدون جزوز السفن بالرفف أو بمادة عازلة.

² Devoux. A, La marine de la régence d'Alger in revue africaine, T13, 1869, p387.

³ وولف. ح. ب، الجزائر وأوروبا، ص 106 - 107.

⁴ Boyer.P, "les renégats et la marine de la régence d'Alger" in R. O. M. M. Revu de l'occident Musulman et de la méditerranée. 1985. Pp 97 -98

⁵ Haedo. F. D. DE, "topographie et Histoire générale d'Alger", trad de l' espagnol par Dr Monnereau et A. Berbrugger." in RA, T15, p45.

⁶ Bennassar. B, AP Jacquard. J, Le XVIIe Siècle. Paris, Armand glin, 1972. p217.

⁷ Grammont. H. D. DE, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515 - 1830). Paris, Ernest lerox, 1887; p50.

⁸ Ibidem.

⁹ Klein. H, Feuillet d'Eldjazair, Alger. L. Chaix, 1937, p. 107.

¹⁰ Et Tamegrouti. A. H. B. M, En naffha el miskiya fi sifara et Tourkia (Relation d'une ambassade marocaine en Turquie 1589 - 1591) trad. et annotée par le lieutenant el. Henry de Castries, Paris, Paul Geuthner, 1929, p77.

¹¹ ibidem.

¹² ذهب التمقروني من المغرب الأقصى على رأس سفارة إلى اسطنبول، وقد مرّ على الجزائر أثناء ذهابه. وبعد إقامة مطوّلة باسطنبول حملته سفيتان إلى الجزائر، ليكمل بعد ذلك سفره إلى المغرب الأقصى على متن سفينة جزائرية. وأثناء عودة السفينتين التركيتين إلى اسطنبول وقع على متنها تمرد للمسيحيين الذين كانوا يعملون على متنها واستولوا عليهما وعلى ما بهما من عباد وأموال. انظر

Ibid p78 - 79.

¹³ Ibid, p. 80.

¹⁴ - حصل الإنكشارية على حق التواجد على متن السفن في سنة 1569.

- 15 De Grammont (H. D), "Etudes algériennes : la course, l'esclavage et la redemption à Alger" in Revue Historique, Mai - août ; 1984, T25. Paris, ancienne librairie Germer Baillié et Cie, felix Alcan, 1884, P19.
- 16 De Grammont (H. D.) De, "Etudes", op. cit, P19.
- 17 Ibidem.
- 18 M. D N°14, H. 603, P. 423
M. D N°12, H. 15.
- 19 M. D. N° 10, H. 14.
- 20 Coulet DE Gard. R, La course et la piraterie en mediteranée, Paris, 1980, Pp. 90-91.
- 21 Grammont. H. D. DE, "Etudes.." op. cit, P18.
- 22 Coulet DE Gard. R, op. cit, P. 91.
- 23 Grammont. H. D. DE, " Etudes..." op. cit, P. 18
- 24 Boyer. P, op. cit, P. 97.
- 25 Haedo. F. D. DE, "op. cit" T14, P518.
- 26 وولف، ج. ب، الجزائر وأوروبا، 1500 - 1830 ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986. ص 193 - 194.
- 27 Boyer, P, "op. cit", P. 98.
- 28 Ibidem.
- 29 Boyer. P, op. cit, Pp 102 - 103.
- 30 سينسر. وه، الجزائر في عهد رياس البحر. ص62.
- 31 وولف. ج. ب، المرجع السابق، ص 192.
- 32 Laye. Y, le port d'Alger, Alger, MVMLI, p. 28 ;
Lespes. R, Alger étude de géographie et d'histoire urbaines, paris, librairie felix alcan col du centenaire, 1930, P 112.

Lacoste. I, "la marine algérienne sous les turcs", l'amirauté d'Alger à travers l'histoire"; in. Revue Maritime, 1930, P 477.

³³ بلحميس. م. "صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك (16 - 19). مجلة الدراسات الأثرية، معهد الآثار، العدد الثالث، 1995، ص 51. Belhamissi. M, Histoire de la marine algérienne (1516 - 1830) Alger, Enal, 1983, P 50.

³⁴ Devouly. A, A, "Alger, Etude archéologique et topographique sur cette ville aux époques romaine (icosium) arabe (Djezair Beni mezrana, Turquie (El djazair)" RA, T20, 1876, P 251.

³⁵ Lespes/ R, Op. cit, P 112 note N° 1.

³⁶ Devolux. A, Alger... Op. cit, P 251.

³⁷ Ibidem ; Belhamissi. M, Op. cit, P 50.

³⁸ Haedo. F. D. DE, Op. cit, T15, P. 51.

³⁹ سعيدوني ناصر الدين، "الحياة الاقتصادية بعناية أثناء العهد العثماني". الأصالة، عدد 34 - 35، 1976، ص 99.

⁴⁰ Derdour. H, Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes, T1, Alger, Sned, 1982, P. 336.

⁴¹ La coste. L, "op. cit", P. 303.

⁴² Haedo. F. D. DE, "Op. cit", T15, P41.

⁴³ La primaudiaie, E, " le commerce et la navigation de l' algerie avant la colonisation francaise", in R. A. C, T3, 1860, P. 262.

⁴⁴ سعيدوني ناصر الدين، "الحياة الاقتصادية..."، ص 99

⁴⁵ Laprimandaie. E. DE, Op. cit, T2, 443.

⁴⁶ بلحميس. م، المرجع السابق، ص 53.

⁴⁷ نفس المرجع، ص 55 - 56

⁴⁸ نفس المرجع، ص 57 - 58

⁴⁹ Lacoste. L, Op. cit, P 304.

Shaw. D, voyage dans la régence d' alger ou description géographique physique, philologique ect.. de cet état, trad de l'anglais par J. Mac Carty, 2^{ème} ed, Tunis, Bouslama, S. D, Pp 194 – 195.

51. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص200.
52. نفس المرجع، ص200 - 201.
53. نفس المرجع.
54. خير الدين باشا: (1466 - 1546) بحار مشهور وأمير الأسطول العثماني، بدأ نشاطه بنقل البضائع على متن سفينته إلى صاروس، سالونيك ونيقربون، بعد وصول سليم الأول إلى العرش ترك شرق المتوسط وتوجه نحو غربه، أين مارس الجهاد البحري مع أخيه عروج، وقد عينه السلطان العثماني بايلربايا على الجزائر بعد انضمامها للدولة العثمانية.
55. بريفيزا (1538) : تواجعت فيها الدولة العثمانية من جهة والحلف المقدس عن الجانب المسيحي، انتهت لصالح العثمانيين، وفتح الباب على مصراعيه لتنامي النفوذ العثماني بالمتوسط، وشلت الجانب المسيحي لمدة تزيد عن الثلاثين سنة.
56. مساعدة فرنسا : في (1543 - 1544) قام الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بالترحال إلى فرنسا لمساعدتها في حرها ضد شارلكان وعسكر في طولون، ولم ينسحب إلا بعد عقد صلح كريسبي بين فرانسوا الأول وشارلكان في نهاية 1544.
57. حصار مالطا 1565 : شكلت مالطا خطرا كبيرا على الملاحة الإسلامية منذ منحها من طرف شارلكان لقراصنة رودس 1530، لذا قرر السلطان سليمان القانوني تطهيرها من القراصنة كما ظهر رودس من قبل في 1522. غير أن مسعاه خاب ولم تفتح مالطا.
58. ليبانت 1571 : بعد فتح العثمانيين لجزيرة قبرص في 1570 عُقد حلف مقدس ضدهم وصار الأوروبيون يحاولون تدميرهم لكي لا يتقدموا أكثر نحو الغرب، وجاءتهم الفرصة في 1571 حيث هُزم الأسطول العثماني، غير أن ذلك لم يؤثر عليه حيث لجأ السلطان مرة أخرى لقائد تكون في الجزائر محمد علي، ليعيد بناء بحريته، وقد أبرزت الأحداث أنه أحسن الاختيار.

59. علج علي باشا : ولد بكلايريا حوالي 1500، وقع في الأسر صغيرا، وبعد إسلامه اتخذ لنفسه اسم علي. كان في بداية حياته خليفة للرئيس درغوث، لكن بعد استشهاد آل إليه حكم طرابلس حتى 1568 عندما عُين بايلربايا على الجزائر. في 1569 ضمّ تونس للدولة العثمانية مؤقتا، وفي 1571 قاد الأسطول الجزائري في معركة ليبانت وأنقذه من الهزيمة. عينه السلطان العثماني أميرا للأسطول العثماني اعترافا لكفاءته.

60. كان علج علي قد استحدث سفن الغلّاع (Galèasse) التي لم تكن في الأسطول العثماني من قبل والتي كانت سببا في انتصار الأسطول المسيحي في المعركة. انظر:

Lesure m, Lépante, la crise de l'empire othman, juliard, Paris, 1972 p.229 ;
Mantran. R, « écho de la bataille de lépante à constantinople », L'empire Othman du XVies au XVIIIes. London, 1984, p 252.

61. البندقية: كانت تتربع على إمبراطورية تجارية في البحر الأبيض المتوسط تمتد على استريا، شواطئ دلماشيا، الجزر الأيونية وكريت. وبحلول القرن الخامس عشر حصلت من السلطان العثماني على حق احتكار التجارة بالإمبراطورية العثمانية على حساب بقية الجمهوريات التجارية. في 1489 اكتسحت جزيرة قبرصو بهذا سيطرت تجاريا على شرق البحر المتوسط. انظر :

DESCOLA. J, « la bataille de lépante » in les grands tournants de l'histoire T3, L'aube des temps modernes. Paris 1970, p 128.

62. Djuvara. T. G, cent projets de partage de la Turquie, Alcan, Paris, 1914, p 105 ; Lapeyre. H, Les monarchies européennes du XVies. P. U. F, Paris, 1973, p 105.

63. lapeyre.H, Op.cit, p 215.

ورقات، المرجع السابق، ص 205-209. 64. سعيدوني ناصر الدين،

الفصل الثالث

النظم الإدارية المركزية

إعداد الأستاذة عائشة عطاس

خصص هذا الفصل للنظم الإدارية المركزية، حيث يسمح بمعرفة آليات التسيير والتنظيمات التي استحدثتها العثمانيون وتلك التي أبقوا عليها واستندوا إليها. رغم افتقارنا إلى المصادر المحلية¹ التي تتعرض إلى هذا الجانب الهام باستثناء دفتر التشریفات².

النظم المركزية

I. جهاز الإدارة المركزية :

شكلت مدينة الجزائر العصب الحيوي، إذ تمركزت بها جل مؤسسات الحكومة مما جعلها تأخذ شكل المدينة الدولة "la cité-Etat"³.

I. مؤسسة الديوان أو مجلس الحكومة :

رغم افتقارنا لمعلومات دقيقة حول تاريخ إنشائها وحول مهامها في العهد الأول إلا أنه يمكن القول أن تأسيسها يعود إلى عهد خير الدين بربروسة مثلما ذكره صاحب "غزوات عروج وخير الدين"⁴. أما الأسير الإسباني "هايدو" فقد تحدث عن عدد هام من المستشارين المساعدين للباشا في إدارة وتسيير الحكومة⁵. وعلى الرغم من عدم وضوح النص إلا أنه يوحي بوجود هيئة مساعدة للباشا ولعلها الديوان.

ومن المؤكد أن "هيئة الديوان" أضحت أهم مؤسسة على مستوى الحياة السياسية ابتداء من مطلع القرن السابع عشر إذ ذكر الدبلوماسي الفرنسي "دي بريف" DEBREVES أن جل القضايا المتصلة بالسياسة الخارجية والأوامر السلطانية وما إلى ذلك كانت تعرض على الديوان⁶. كما اعتبرها البرتغالي "كرفالومسكاريناس" أعلى سلطة بمدينة الجزائر.

"...la principale autorité de la ville d'Alger, la première en toutes choses, aussi bien dans la paix que dans la guerre est le Divan"⁷

وفي سياق حديثه عن الديوان، وصف نظام الحكم العثماني القائم وقتئذ بالجزائر بالجمهوري كما هو الشأن في جمهورية البندقية ".... إنها جمهورية على غرار جمهورية البندقية..."⁸.

ولا يمكن الحديث عن ديوان واحد بل عن ديوانين : الديوان الصغير والديوان الكبير. يضم الأول كبار ضباط الانكشارية وعدداً من الموظفين الكبار ويرأسه الباشا، وكان في بادئ الأمر يمسك بالسلطتين التشريعية والتنفيذية في آن واحد، دون تدخل لهيئة الديوان الكبير. أما الديوان الكبير فيضم ضباط أو قادة الجنود يضم ممثلي السلطة الدينية كما يحضره ممثلون عن طائفة "رياس البحر" وعدد من أعيان ووجهاء المدينة ويمكن القول أنه يضم عدداً كبيراً يربو عن ألف شخص، ويرأسه القائد الأعلى للحيش الانكشاري⁹. لكنه يبدو أن هيئة الديوان الصغير تضاعف شأنها نتيجة ضعف الباشوات، وبذلك فسح المجال أمام الديوان الكبير. الا أنه مع بروز بعض الدايات الأقوياء سيما مع مطلع القرن الثامن عشر شعروا بضرورة العودة إلى تأسيس ديوان خاص موازي لديوان الانكشارية وهو ما يشير إليه "فانتوردي بارادي" - الذي تعد ملاحظاته في غاية الأهمية والدقة - : توجد مؤسستان: الديوان الخاص، والديوان العام¹⁰ بينما اكتفى القنصل الفرنسي "فيليب فالير" بالإشارة إلى ديوان واحد وهو "conseil d'Etat"¹¹.

و استنادا إلى رواية الأسير الإنكليزي "فرانسيس نايت" - وهو أحد أركان البلاط - فإن الديوان كان يجتمع يوم السبت بالقصبة ويوم الأحد صباحا بدار الإمارة¹²، وبضيف أن جلسات الديوان كانت مفتوحة خلال أيام الأسبوع كله.

أما إبان القرن الثامن عشر، فقد كانت تتم أربع مرات في الأسبوع في أيام الاثنين والأربعاء والخميس والسبت في دار الإمارة.

وكان أعضاء الديوان يضعون قطعة من خيط الذهب تلصق في مقدمة عمائمهم
للتعريف بمقامهم القانوني¹³.

2. الموظفون السامون أو مجلس الحكومة :

شكل مجلس الحكومة أو هيئة الموظفين السامين الجهاز الأساسي الذي ارتكزت
عليه الحياة السياسية ابتداء من مطلع القرن الثامن عشر ويتصدره الداوي¹⁴.

1. الداوي :

كان وصول الداوي إلى سدة الحكم يتم من الناحية النظرية عن طريق الانتخاب
على مستوى هيئة الديوان بيد أن الواقع العملي كان أكثر تعقيدا من ذلك¹⁵.

لقد سعى الدايات منذ اعتلائهم السلطة عام 1671 إلى الإفلات من قبضة الجند
من ناحية وإلى رفض مبدأ الانتخاب وإحلال محله نظام يسمح بانتقال السلطة
بطريقة آلية من ناحية أخرى، محاولين بذلك تأسيس حكم محلي وراثي على غرار ما
أحدثه البايات في تونس¹⁶. لكن تمردات الجند المتكررة حالت دون تحقيق ذلك.
ومن ثمة خضع تعيين الداوي إلى الظروف المحيطة بوفاته. فإذا كانت نهايته الاغتيال
على يد الجند فإن هؤلاء يعينون خليفته وواضح أن الفئة الأكثر قوة ونفوذاً هي التي
تفرض مرشحها أما إذا كانت وفاة الداوي وفاة طبيعية فغالبا ما كان يتولى السلطة
من رشحه الداوي لخلافته سواء ضمن وزارته أو ضمن المقرين إليه¹⁷.

وفي الثمانينات من القرن الثامن عشر كان الداوي يختار ضمن الوزراء الثلاثة وهم
الخرناجي وأغا المحلة وخوجة الخيل في حين لم يكن في استطاعة وكيل الخرج أو
وزير البحرية الارتقاء إلى منصب الداوي إلا إذا تولى أحد المناصب المشار إليها¹⁸.

و الشخصية الأولى التي أضحت مؤهلة لتولي منصب الداوي هي "الخرناجي" ففي
أعقاب وفاة الداوي علي شاوش¹⁹ خلفه محمد بن حسين الذي كان خرناجيا²⁰.

وشيثاً فشيئاً أصبح تقليداً، مثلما يخبرنا بذلك الزهار : "... وفي عاقبتهم إذا مات
الأمير يتولى مكانه الخزناجي..."²¹

ومن بين الشخصيات التي ارتقت من منصب الخزناجي إلى منصب الداوي نذكر
علي سبيل المثال لا الحصر : علي باشا نقسيس الذي كان خزنانياً لمدة سبع
سنوات 1748-1754²² ومحمد بن عثمان باشا، وحسن الخزناجي، ومصطفى
الخبزناجي²³.

وبعد ذلك انتصاراً للدايات علي "الأوجاق" حيث نجحوا في ترسيخ هذا التقليد
لكنه بعد أزمة 1805 واغتيال الداوي مصطفى باشا²⁴، رجع الجند من جديد إلى
الاستبداد بالسلطة وأضحوا أصحاب الحل والعقد، يعينون ويعزلون الحكام حسب
هوامهم والأمثلة بهذا الشأن عديدة مثلما نقرأه في مذكرات الإخباري أحمد الشريف
الزهار، إذ كثيراً ما ترددت عبارة "...استقدمه العسكر لدار الإمارة... فأجلسوه
علي سرير الملك..."²⁵ والأمر نفسه أكده حمدان بن عثمان خوجة : "... وهكذا
صارت تلك الميليشيا المسلحة التي لا مبدأ لها صارت ترتكب المخالفات... ثم قام
هؤلاء البؤساء بإشعال الثورات وقلب قادة الدولة بحسب هواهم..."²⁶.

2. الخزنناجي²⁷

يتبوأ الخزنناجي المكانة الأولى على مستوى هيئة الوزراء، نظراً لإشرافه على جانب
حسبوي وهو خزينة الدولة. مما جعل القنصل الفرنسي فالير يصفه بالوزير الأول
وبالدير العام للشؤون المالية²⁸ فهو إذن المشرف على المالية من خلال مراقبة خزينة
الدولة، من حيث استلام المداخل التي كانت تصل من مختلف أنحاء البلاد سواء
كانت عينية أو أشياء أخرى ثمينة، وإيداعها بالخزينة. وكانت عملية استلام المداخل
تتم بحضور الداوي والكتاب الأربعة²⁹ وبحضور الديوان. وهو بكلمة واحدة
المشرف على مراقبة مصادر الدخل، والمشرف أيضاً على مراقبة وجوه الاتفاق³⁰.

ورغم الصلاحيات المنوطة بشخص الخزناجي إلا أنه لا يسمح له بالاحتفاظ بمفاتيح الخزينة بل يحتفظ بها الداى³¹.

وعادة ما كان يتم التعيين لمنصب الخزناجي من قبل الداى وأعضاء الديوان. ويخضع ترشيحه لاعتبارات منها أن يكون مخلصاً ومولياً لهم³² ويساعد الخزناجي موظف يدعى "contador"، أي الصايحي أو العداد وتحت أوامر هذا الأخير أربعة موظفين، اثنان يهوديان يراقبان النقود المغشوشة³³.

ويلاحظ أن "منصب الخزناجي" عرف تطوراً ملحوظاً فبعدما كان في العهد الأول مجرد موظف يشرف على الخزينة خاضع لأوامر الكتاب الأربعة الكبار أضحى مع أوائل القرن الثامن عشر يتبوأ المرتبة الثانية في نظام الحكم³⁴ وأصبح الشخصية الأولى المؤهلة لتولي منصب الداى مثلما مر بنا.

3. آغا المحلة : Mehellé Agasi أو آغا الصبايحية³⁵

وهو الوزير الثاني³⁶ والقائد الأعلى للحرب البرية³⁷ "Général de la guerre pour la terre" أما دفتر التشريفات فقد عرف مهام آغا الصبايحية على النحو التالي: "...إنه مكلف بإدارة العرب وبالإشراف على الفرسان وهو الذي يترأس عادة الحملان الموجهة ضدهم..."³⁸. ولا يختلف عنه كثيراً التعريف الذي أعطاه له فالير: "...إنه القائد الأعلى لكل فرق المملكة الفرسان منهم والمشاة ومجرد مغادرته مدينة الجزائر يصبح يدعى ملك الأرياف. وهو بالفعل يتمتع بالسلطة المطلقة على المناطق الداخلية..."³⁹.

وتمتد سلطة الآغا إلى المناطق الواقعة ما بين بجلوان إلى يسر ويخضع له سبعة قيادة ممن يديرون الأوطان وهم: قائد بني خليل وقائد بني موسى وقائد الحشنة، وقائد بني جعد وقائد بني سليمان وقائد عريب وقائد حجوط، وكان هؤلاء القياد من العنصر التركي⁴⁰.

ويخضع جل الموظفين على مستوى إدارة الوطن إلى الآغا⁴¹ ويساعده أربعة كبراء وهم باش شاوش والكاهية وباش علام وباش مكاحلي، وهم من العنصر المحلي. وأنيطت بهم مهمات منها: السهر على تبليغ الشكايات للآغا وتعيين فرسان الصابيهية، وجباية الضرائب وفرض الأمن وما إلى ذلك⁴².

4. خوجة الخيل أو آت خوجة سي At cogesi

وهو الوزير الثالث وكان من المرشحين لتولي منصب الداى مثلما أشار إلى ذلك *Parmi lesquels roule l'élection du dey lorsqu'il n'y a point de révolte, chose qui devient plus rare*⁴³

وتتمثل مهامه في الإشراف على مداخيل الأراضي التابعة للسلطة أو أراضي البابليك، بل هو المسؤول على إحيائها وإصلاحها⁴⁴. كما يشرف على ما يقدمه السبايات عينا من حيول ومواشي إلى دار الإمارة الأمر الذي جعل سلطته تمتد إلى عرب الصحراء، ومن أهم النجوع التي كانت خاضعة لنفوذه: نجع رحمان ونجع الزنافرة ونجع ألبوا عيش⁴⁵.

وكان لخوجة الخيل أعوان يساعدونه في أداء مهامه من بينهم قائد يدعى "قائد العرب" يقيم بسهل متيجة. وكان تحت أوامره هو الأخر زمرة من الأعوان والشيوخ أوكلت إليهم جباية المطالب المخزنية أي الضرائب. وفضلا عن ذلك كانت تحت تصرفه مجموعة من الفرسان يعرفان بالسرارجة⁴⁶. ومن أبرز من تولى منصب خوجة الخيل الداى حسين: "... وكان وزيراً ثالثاً يكتفى بخوجة الخيل"⁴⁷ ومن بينهم أيضا خليل خوجة الذي عاصر الداى حسين⁴⁸.

كما سمحت لنا عقود المحاكم الشرعية بالتعرف على البعض منهم مثل السيد سليمان خوجة الخيل⁴⁹ والسيد عمر خوجة الخيل⁵⁰.

5. بيت المالجي أو الناظر على مؤسسة بيت المال⁵¹ :

يعود منصب بيت المالجي أو الناظر على شغل المواريث المخزنية، إلى الستينات من القرن السادس عشر ومن بين الأسماء الأولى التي أطلعنا بها وثائق المحاكم الشرعية يمكن الإشارة إلى القائد عادل بن خيضر التركي، والقائد سعدي خوجة والقائد صفا بن عبد الله⁵².

وتمثلت مهمته مثلما حددها الوثائق في : "... النظر على شغل المواريث المخزنية وبيع ما هو على ملك بيت المال من الدور والأراضي والأجنحة داخل الجزائر وخارجها" ومن ثمة يتولى بيت المالجي مراقبة تركات أو مخلفات جميع من يتوفى دون عقب، أو دون عاصب، ومن يطول غيابه كالأسرى فيعدون بذلك في عداد الموتى أو غريب أو مجهول. ولا يؤذن بدفن أي ميت إلا بأمر من بيت المالجي الذي يشرف في الواقع على إحدى أهم المؤسسات القائمة بمدينة الجزائر وقتئذ، وهي مؤسسة بيت المال.

وهناك مجموعة من الموظفين يسهرون على تسيير مؤسسة بيت المال. ومن أهم المساعدين للناظر قاض وموثقان وكاتبان ومسجلون.

ففي أعقاب حمل الميت إلى مثواه الأخير، يتوجه الموثقان إلى مقر إقامة المتوفى، حيث تتم عملية إحصاء وجرد ما اشتمل عليه البيت من مكونات، وتحفظ الأشياء الثمينة من مجوهرات وغيرها خشية ضياعها إلى غاية حضور جميع الورثة⁵³.

ولا بد من الإشارة إلى أن تصفية التركات على يد الناظر على مؤسسة بيت المال كانت غالبا ما تتم بعد الأربعين⁵⁴.

وكان منصب بيت المالجي منصبا حساسا وخطيرا في آن واحد، وتولاه المنخرطون في الجيش. ففي العهد الأول كان يقع اختياره ضمن صنف القيادة، ثم

انتقل إلى صنف الأغوات، مثل الحاج مصطفى آغا ابن محمد التركي 1672م
والحاج مرتضى آغا ابن علي التركي 1675م والأمين المعظم الحاج محمد آغا
1702 م .

ومع نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر أصبح بيت المالجي يختار ضمن
صنف البلكباشية كالحاج أحمد بلكباشي بن ولي التركي 1747 والحاج علي
البلكباشي بن رمضان التركي 1786.

وتجدر الملاحظة إلى أن منصب بيت المالجي كان يدر أموالا طائلة على أصحابه،
فقد بلغت ثروة الحاج علي المتوفى قبل شهر جويلية 1792 ثلاثة وأربعين وثلاثمائة
وثلاثة عشر ألف ريال وهي ثروة مذهلة! كما خلف حسين بيت المالجي ثروة
ضخمة بل يعد أغني واحد في الفترة ما بين 1817-1826⁵⁵.

ويظهر من سجلات المحاكم الشرعية أن الحاج حسين بن محمد التركي تصدر
مؤسسة بيت المال مرتين : 1768-1773 و 1799-1803⁵⁶.

6. وكيل الحرج أو وزير البحرية :

تحت إدارة إشرافه كل ما يتصل بشؤون البحرية والغزو البحري والعلاقات الخارجية...
وتحت أوامره اثني عشر بولوكباشيا يراقبون المحلات المعدة لعتاد تجهيز السفن
كما يخضع لسلطته الأميرال أو القبطان وقائد الميناء والحراس ورياس البحر⁵⁷.

وارتبطت مكانته بنشاط الغزو البحري، ففي الثلاثينات من القرن السابع عشر -
وهي الفترة التي تتوافق والعصر الذهبي للغزو البحري- كان وكيل الحرج أحد أبرز
الموظفين السامين، حيث يلي مباشرة الكاهية ويسميه فرانسيس نايت "Alliman"⁵⁸
وحيثما تفهقر الغزو البحري، فقد مكانته.

3. هيئة الكتاب الكبار :

تضم هذه المجموعة أربع كتاب يقع اختيارهم وتعيينهم من قبل الداى. يدعى الكتاب الأول : باش دفتر، أما الكتاب الثالث فيعرفون على التوالي بباش مقطاعجى، والمقطاعجى والرقمجي⁵⁹.

ويشرف هؤلاء الموظفون على الدفاتر الصادرة عن السلطة وتخص قوائم الجند، ودفاتر الجباية ودفاتر الجمرك أو الديوانة تتعلق بكل ما يصل من واردات من الدول الأوروبية.

ويتمتع هؤلاء الكتاب بصلاحيات واسعة ولآرائهم وزن وتأثير في حل القضايا، لكنهم لا يقررون شيئا دون أمر من الداى⁶⁰.

وفضلا عنهم وجد كاتبان آخران يعرف الأول بوكيل الحرج الكبير ويعرف الثاني بوكيل الحرج الصغير⁶¹.

4. هيئة الخوجات :

تتميز هذه الهيئة بكثرة عددها وتنوع مهامها حيث ضم نحو ثمانين خوجة. يتصدرهم موظف يدعى "باش خوجة" أي رئيس الخوجات ويلاحظ أن ثمة دقة متناهية في تحديد مهام كل خوجة ونذكر منهم : خوجة العيون، وخوجة مخزن الزرع وخوجة الملح وخوجة الفحم وخوجة حمرك باب عزون وخوجة التوت⁶² وخوجة الجلد، وخوجة الشطبة⁶³.

5. هيئة القيادة :

تطلعنا الوثائق بعدد من الموظفين عرفوا بالقيادة أنيطت بهم مهام شتى، ومن هؤلاء نذكر قائد العبيد وقائد الزبل وقائد الشوارع، وقائد الفحص، وقائد الدخان⁶⁴.

6. موظفو القصر:

اشتمل القصر على عدد هام من الموظفين أنيطت بهم مهام عديدة ومتنوعة على مستوى السرايا فهناك وظائف تتعلق بالتسيير وأخرى بالخدمات⁶⁵.

1. **الصراف أو الصايحي** : يتولى وظيفة الصايحي على مستوى القصر شخصان، يختاران عادة من العنصر المحلي (أي من غير الأتراك). وتتمثل مهمتها في مراقبة ووزن كل ما تشتمل عليه خزينة الدولة، ويتم ذلك بحضور الخزناجي⁶⁶.

2. **الترجمان** : يقع اختياره هو الآخر من العنصر المحلي ويشترط فيه أن يحسن اللغتين العثمانية والعربية⁶⁷.

3. **الكاتبان** : ويتم اختياريهما من العنصر المحلي أيضا وعرف هذا المنصب بخوجة العرب، حيث تتمثل مهمتهما في قراءة ما يرد إلى القصر من رسائل باللغة العربية سواء من الخارج أو من الداخل وهما اللذان يكلفان بالرد عليها⁶⁸.

4. **الخزندار** : أو أمين الخزانة، وهو غير الخزناجي، إذ هو بمثابة أمين الداي الخاص، حيث يقوم بالحفاظ على ممتلكات الداي الخاصة من أسلحة وأثاث. أي كل ما كان تحت تصرف الداي الخاص على غرار ما كان ساريا في الدولة العثمانية⁶⁹.

5. **أهجي باشي**⁷⁰ : (اتشى باشي) : ورد ذكره في الوثائق المحلية على هذا النحو أهجي باشي مثال ذلك صاري حسن أهجي باشي المتوفى عام 1787. وأهجي مصطفى طباخ باشي المتوفى في السنة نفسها. وتحت أوامره عدد كبير من الطباخين ويساعده طباخ يدعى كيهية. ويكشف لنا استقرار دفاتر المخلفات أن عدد الطباخين على مستوى القصر كان هاما⁷¹.

6. **البسكري سيدنا** : وهو من العناصر الوافدة من مدينة بسكرة، وهو خادم الباشا" أو الداي" الخاص⁷² ويعرفه الزهار "بخدم الأمير الذي يقال له البسكري متاع الباشا"⁷³

7. خوجة باب القصر : وهو المكلف بفتح أبواب القصر في كل صباح، ويحتفظ بالمفاتيح إلى غاية ما بعد صلاة العصر حيث يسلمها ثانية للداي أو الحاكم⁷⁴.

8. المطرب باشي داي : وهو رئيس المطربين⁷⁵.

9. الشواش : وهم مجموعة تضم اثني عشر شاوشا من العنصر المحلي، يتصدرهم باش شاوش من العنصر التركي⁷⁶ ويظهر أنه وجدت مجموعة ثانية من الشواش مقصورة على العنصر التركي. وتمتد صلاحيات المجموعة الأولى إلى العرب والمسيحيين واليهود وذلك وفقاً لما يأمر به الداى⁷⁷ بينما لا تتعدى صلاحيات المجموعة الثانية العنصر التركي. ويقتصر دور هؤلاء الشواش على أداء بعض المهام داخل المدينة من ذلك مهمة الفلقة على مرتكبي المخالفات...

10. كاتب أو خوجة حرس الداى :

وهو النوبتجي خوجسي Neubetgi cogeasi لا ينال هذه الوظيفة إلا من كان يحظى بثقة كبيرة على مستوى القصر. وهم من الموظفين الذين لا يبرحون القصر ليلاً ونهاراً. وكانت هذه الوظيفة من الوظائف التي تسمح لأصحابها بالارتقاء والوصول إلى أعلى المناصب⁷⁸.

وتتشكل مجموعة النوبتجية من اثنين وثلاثين نفرًا يقع اختيارهم من جند الحاميات، وليس من المنخرطين في المحلة. وتدوم خدمتهم على مستوى القصر سنة واحدة. وأنيطت بهم مهمة حساسة تتمثل في السهر على ضمان الأمن على مستوى القصر سيما أمن الداى.

11. منظفو القصر: أنيطت مهمة تنظيف القصر بالأرقاء المسيحيين وبلغ عددهم نحو أربعين أسيراً⁷⁹.

II - إدارة وتسيير المدينة :

1. مؤسسة مشيخة البلد :

إن الأحبار بشأن "مشيخة البلد" بمجتمع مدينة الجزائر إبان القرن السادس عشر. لقد نفى الأسير الإسباني "هايدو" وجود أية مؤسسة تسهر على المصلحة العامة وكذا أية سلطة شبيهة بسلطة شيوخ البلد، أو رؤساء النقابات أو أي نوع من الإدارة المدنية كمصلحة الشرطة، وهو رأي لا بد من دحضه⁸⁰ فمصادر القرن السابع عشر سواء كانت رسمية أم غيرها تؤكد وجودها⁸¹.

إن أول إشارة إلى منصب شيخ البلد وردت في مخطوط "قانون على الأسواق". إذ جاء ذكر شيخين في آن واحد وهما : سي محمد الفقير والحاج محمد بن النيا في الصلح الذي تم بين أمين التبانين وأمين الصباغين عام 1695⁸². وتسترجى ظاهرة الشيخين كل الاهتمام، لا سيما أن دراسات عديدة ركزت على افتقار المدينة العريية إلى تنظيمات مدنية-حضرية محكمة. ويظهر أن مدينة الجزائر عرفت دون غيرها من المدن العريية ازدواجية التسيير على مستوى هذه البنية الحضرية طيلة العهد العثماني⁸³

لكن ما مرد هذه الازدواجية؟ فهل كان لكل واحد منهما مجال معين ومحدد بصلاحياته واختصاصاته. أم أنهما مارسا معا، جنباً إلى جنب، مهامهما. يظهر من استقراء اتفاقات ومحاضر الجماعات الحرفية التي تضمنها القانون. وغيرها أن الشيخين؟ اشتغلا سوياً، فقد أسهما معا في البت في النزاعات والخلافات التي كانت تنشأ بين الجماعات الحرفية بين الفنية والأخرى، كما قاما معا بجباية الضرائب المستحقة على الحرف هذا كما امتدت صلاحيات شيخ البلد إلى المجال العقاري أحيانا حيث شارك في ذلك رفقة عدد من الموظفين⁸⁴.

ونعتقد أن مؤسسة مشيخة البلد ميزها تسيير ثنائي -جماعي مع صلاحيات محددة لكل منهما. ولعل أحدهما له صلاحيات اقتصادية وثانيهما له صلاحيات إدارية - اجتماعية ممثلة على الخدمة العمومية وما يتصل بها.

خضع تعيين شيخ البلد لأعلى سلطة ممثلة في الباشا أو الداى ويقع اختياره من العنصر المحلي " الداى".

ويبدو جليا أن العنصر الأندلسي أدى دورا مميزا في الوظائف الحضرية بمدينة الجزائر حيث تقاسم على أهم هيئة في تسيير المدينة مع العنصر الجزائري القح أي "الذيري" بل يبدو أن الغلبة كانت له. ويحق لنا أن نتساءل عن غياب الأسر البارزة كأسرة سالم التومي والثعالبي وأسرة سيدي السعدي وكيوان ومحمد الشريف الزهار وغيرها⁸⁵.

ورغم صعوبة جمع الأخبار المتناثرة إلا أنه يمكن القول أن المنصب أصبح وراثيا منذ 1708-1709 في أسرة الشيخ إبراهيم التمام التي احتكرت مشيخة البلد لأزيد من إثنين وسبعين سنة. كما تولتها أسرة عاشير الأندلسية لفترة وحيزة قبل 1745⁸⁶. ومن السر التي أسندت إليها مشيخة البلد، نجد أسرة بوضربة الأندلسية التي تعد إحدى العائلات البارزة والثرية في مجتمع مدينة الجزائر الأمر الذي فسح لها المجال لتبوأ مؤسسة حضرية في مثل هذه الأهمية⁸⁷. وتولتها أيضا عائلة بن الطبال الأندلسية. ولم تكن على ما يبدو مشيخة البلد وراثية في كل الأسر التي تولتها.

ومن خلال وقوفنا عند أسماء العائلات التي تولت هذه المهمة والألقاب المهنية التي صاحبها يظهر إن التجارة فسحت مجال الارتقاء الاجتماعي، فالثرة حينئذ كانت سبيلا للوصول إلى السلطة.

تمتع شيخ البلد باختصاصات وصلاحيات واسعة فهو صاحب المدينة مثلما يعرفه البعض والمسؤول عن كل ما يحدث فيها. والمشرف الأعلى على شؤونها. ومن مهامه

أيضا السهر على الجانب الأخلاقي فهو الذي يعاقب المستهترين، ووضع تحت تصرفه سجن خصص لذلك الغرض⁸⁸. كما امتدت صلاحياته إلى المجال الاقتصادي من ذلك مراقبة الحرف والصنائع وحماية الضرائب المستحقة على أصحاب الجماعات الحرفية⁸⁹. ونظرا لاتساع مهمات شيخ البلد، فقد عاضده موظف عرف "بالشاوش". وكان شيخ البلد بمثابة همزة وصل بين سكان المدينة والسلطة، وتخضع لإشرافه مختلف المصالح المدنية من نظافة، وصيانة الطرقات وتوفير المياه وما إلى ذلك. حيث خضع لسلطته جميع الموظفين الساهرين على تلك المصالح والذين عرفوا عادة "بالقياد"، كقائد العيون وقائد الشوارع وقائد الزبل.

وعن مؤسسة مشيخة البلد يقول القنصل الأمريكي "وليام شالر": "توجد حكومة محلية تشمل شيخ البلد، أو الحاكم المدني وجميع الموظفين في هذه الإدارة من الأهالي..."⁹⁰.

مما سبق يمكن القول إن تسيير مؤسسة مشيخة البلد ميزته الثنائية مع صلاحيات محددة لكل واحد منهما، أحدهما له صلاحيات اقتصادية وتانيهما له صلاحيات إدارية - اجتماعية ممثلة في السهر على الخدمات العمومية وما يتصل بها.

مدير الشرطة :

تحدث شالر عن مدير أو رئيس الشرطة الذي تمتد صلاحياته إلى مراقبة الحمامات وأماكن الدعارة⁹¹ ولعله الكاهية الذي كان بمثابة المحافظ العام للشرطة La haute surveillance de la police وكان تابعا للداي مباشرة⁹².

أما كاهية الخزنأحي فتحت إشرافه الرقابة العامة للشرطة النهارية بينما أنيطت الشرطة الليلية بالمزوار. ويساعده قائد زواوة الذي أسند إليه جانب منها، ولم يكن هذا الأخير من العنصر الزواوي بل كان تركيا⁹³. ووجود منصب سوباشي الذي أسند إلى أعضاء الجيش الانكشاري⁹⁴ كما وجد موظف آخر وهو "قول آغا" أو

"آغا القل" وهو بمثابة مدير الشرطة الذي شملت دائرة اختصاصاته مراقبة الحمامات
ومنازل الدغارة، وكان يشرف على نحو أربعين شخصا مكلفين بالشرطة الداخلية
للمدينة أثناء الليل ويخضع للخزناحي مباشرة⁹⁵.

المحتسب :

ارتبطت مهام المحتسب بالحسبة وهي في الأصل وظيفة دينية بحثة نابعة من الأمر
القرآني القاضي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو يستمد سلطته من مصلحة
الدين العليا. وهو الحارس والمسؤول عن السير الحسن للمدينة على المستويين المادي
والأخلاقي. وارتبطت وظيفته في الدولة الإسلامية في جميع عصورها بوجود الأسواق⁹⁶
.... إن السوق بما يتضمنه من بضائع وأسعار ومعاملات يدخل في دائرة مسؤولية
المحتسب، فالمحتسب بمثابة الناطق الرسمي للقاضي⁹⁷.

لقد حصر دفتر التشريعات صلاحيات المحتسب في السهر على تنفيذ أسعار الأسواق
ومراقبة جودة الخبز، ومعاقبة المخلين بالنظام بالجلد على الفور⁹⁸. "كما يسهر على المصلحة
العامّة لسكان المدينة، كصيانة الشوارع ومنع كل ما من شأنه إعاقة حركة المرور وعرقلتها
بالمدينة⁹⁹ وله صلاحيات الأمر بتدمير البنايات القديمة المهتدة بالانهيار ويسهر أيضا على
إنارة المدينة. ويعود تقلص مهامه بمدينة الجزائر إلى دور كل من القاضي وأمين الأمناء وشيخ
البلد فوظيفة الحسبة وإن ظلت قائمة لم تعد منوطة بشيخ المحتسب وحده بل أصبح يشاركه
فيها أطراف عديدة، مما قلل من شأنه.

المزوار:

لقد أبقى العثمانيون على المنصب¹⁰⁰، لقد كانت وظيفة المزوار في الثمانينات من
القرن السادس عشر عظيمة الشأن إذ خضع تسيير المدينة وإدارتها لسلطتي المحتسب
والمزوار¹⁰¹ استنادا إلى ما ذكره الأسير الإسباني "هايدو".

غير أن مهامه تقلصت وأضحت محصورة في الحراسة الليلية وغدا في أواخر العهد العثماني يعرف بقائد الليل¹⁰². وكان يعاضده في مهمته قائد يدعى "قائد زاوة"¹⁰³. وكان له سجن خاص يقع بسوق المقفولية، يزج فيه من يقترف أخطاء كالخروج إلى شوارع المدينة بعد صلاة العشاء دون استعمال الإنارة¹⁰⁴، كما أنيطت به مهمة تنفيذ عقوبة الإعدام والجلد على كل مرتكبي المخالفات من الأهالي.

ومع نهاية القرن الثامن عشر، قل شأن الوظيفة وغدت غير مستحبة لما أنيطت بها مراقبة نساء الدعارة. وتؤكد جل المصادر الغربية وتركز على أن هذه الوظيفة القليلة الشأن لم توكل سوى للعناصر المحلية، وفي الواقع فإن الإدارة المحلية بوجه عام أنيطت بالعنصر المحلي.

وفي ظل نظام ميزته ثنائية المدني -العسكري وطبعته الصرامة عرف الوضع العام الهدوء وعاش المواطن الراحة والاطمئنان. ولم تشهد المدينة اضطرابات أو قلاقل... ولا وجود للصوم إلا نادرا، والجرائم والاعتقالات تكاد تكون معدومة ولا يمكن إن تلفت أية جريمة. وتنير المدينة مصابيح خافتة قليلة، وهي بعيدة بعضها عن بعض وتعلق كل الشوارع تقريبا بباب وهو الشيء الذي وفر الأمن والراحة للمواطن في منزله..."¹⁰⁵. ونوه القنصل الأمريكي "شارل" كل التنويه بفعالية نظام الشرطة الذي جعل المدينة تعيش في أمان واطمئنان حيث كتب واصفات ذلك: "لا توجد مدينة في العالم تبدي فيها الشرطة أكبر مما تبديه الشرطة في الجزائر التي لا تكاد تلفت عنها رقابة جريمة، كما أنه لا توجد بلد يتمتع فيه المواطن بملكاته بأمن أكبر"¹⁰⁶.

كما أشاد الفرنسيون في أوائل الاحتلال بنظام الشرطة وفعاليته حيث كتب يقول: "لقد كانت الشرطة قبل الاحتلال نشيطة حازمة ومهابة، الشيء الذي جعل الناس لا يعرضون أنفسهم لتحمل مثل تلك العقوبات إلا نادرا"¹⁰⁷. على ضوء ما سبق عرضه يتبين أن السهر على السير الحسن للمدينة وتحقيق الأمن غير مقصور

على شخص واحد، إذ لا أحد له الإشراف المباشر على ذلك. فمهام الشرطة تقاسمها
مثلا مر بنا موظفون مدنيون وآخرون عسكريون.

وصفوة القول : لقد تميزت التنظيمات المركزية بدقة متناهية في تحديد المهام، كما
أن التأثيرات العثمانية تبدو حلوية ليس هذا فحسب بل نجدها أحيانا صورة مصغرة لما
كان ساريا في المركز. وإذا كانت الوظائف السامية على مستوى الإدارة المركزية
حكرا على العنصر التركي العثماني فقد فسخ المجال للعنصر المحلي للإسهام في تسيير
المؤسسات الحضرية.

الهوامش:

1. إن مصادر الإخباريين لا تتعرض إلا نادرا إلى التنظيمات الإدارية بوجه عام ما عدا مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار لكننا نتوفر على رصيد زاخر من الوثائق المحلية سيما سجلات المحاكم الشرعية التي وردت فيها إشارات عرضا إلى بعض الوظائف والمناصب.
2. DEVOULX, A, Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Imp du gouvernement, Alger, 1852.
3. ولسيم سبتسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق د. عبد القادر ربادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص53.
4. مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تحقيق وتقديم نور الدين عبد القادر للطبعة الثعالبية، 1934.
5. Diego de HAEDO, Topographie et histoire générale d'Alger, Bouchène, Paris, 1998, p228.
6. Le sieur de BREVES, Relation des voyages de Brèves tant en Grèce, Terre sainte, qu'aux Royaumes de Tunis et d'Alger, Grasse, Paris, 1682, pp374-375.
7. Carvalo Mascarenhas, Esclave à Alger 1621-1626, préface, traduction de Paul Teyssier, Paris, 1999, p 97.
8. Ibid.
9. Pierre BOYER, « Introduction à une histoire intérieure de régence d'Alger » Revue historique, 1966, p 301.
- Claude BONTEMS, Manuel des institutions Algériennes, de la domination turque à l'indépendance, Ed cujas, Paris, 1976, T1, p...
10. Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII siècle, mémoires et observations rassemblés par Joseph Cuoq, Sindbad, Paris, 1983, p216.
11. Lucien CHAILLOU, l'Algérie en 1781, Mémoire du consul C. ph. Vallière, Imp. nouvelle, Tonlon, p2.
12. Knight, A relation of seven years slavery under the turks of Argere suffered by an English captive merchant, London, 1646.
13. سبتسر، سبق ذكره، ص64.
14. Bontemps, Op.cit, p...
15. BOYER, Introduction, p 306.

16. حول الموضوع راجع :

Mohamed-Hédi CHERIF, Pouvoir et société dans la Tunisie de H'usayn bin Ali, 1750-1740, P.U.Tunis, 1984, 2Tomes.

17. Venture de Paradis, Op.cit p205.

18. نفسه.

19. من أبرز دايات الجزائر حكم الفترة الممتدة من 1710-1718.

20. LAUGIER DE TASSY, Histoire du royaume d'Alger .un diplomate français à Alger en 1724, Ed Loysel, Paris, 1992, p135.

21. أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب الأشراف، تحقيق وتقديم أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص51.

22. نفسه.

23. حول دايات الجزائر راجع:

Henri de GRAMMONT, Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830), présentation de Lemnouar Merrouche, Ed Bouchène, Paris, 2002.

- عزيز سامح إتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.

24. حكم الداوي مصطفى باشا في الفترة ما بين 1798 - 1805. وتشكل هذه الحقبة منعرجا خطيرا في تاريخ الجزائر الحديث .

25. الزهار، سبق ذكره، ص95 وغيرها.

26. حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، ص

27. لا بد من التنبيه إلى أن منصب الخزانة هو غير منصب "الخزنة دار". وقد ورد المصطلحان في كسل من دفتر التشریفات ومذكرات نقيب الأشراف ولكل منصب خصوصيته وسنتعرض إلى ذلك في عنصر موظفي القصر.

28. CHAILLOU. Op.cit p5.

29. LAUGIER DETASSY. Op.cit. p141.

- Thomas SHAW, Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'Anglais par Mac.carty, 2^e edition, Bouslama, Tunis, 1980, p167.

30. حول الموضوع راجع : ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

31. عزيز سامح إتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.

ناصر الدين سعيدوني "موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر" ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص220.

32. نفسه، ص220.

33. *Venture de Paradis Op.cit .p216.*

34. سعيدوني "موظفو الإيالة".

35. السبايهي وجمعها السبايحية أو الصبايحية، وهم الخيالة أو الفرسان في الجيش العثماني، راجع :

سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص132.

36. لابد من التنبيه إلى أن آغا المحلة، لا يقوم مقام آغا العسكر، وثمة دلالات عدة تؤكد ذلك، منها التسمية، إذ ورد مصطلح آغا العسكر في مختلف المصادر المحلية، سواء كانت وثائق أو كتب الإخباريين. وهو إحدى الدلالات على التمييز القائم بين المهيتين العسكرية والسياسية. كما أن ما ورد في نص أحمد الشريف الزهار يبرز ذلك بجلاء: "...ثم دعا الديوان وآغا العسكر والوزراء..." وواضح أنه كانت له من الناحية التشريعية الصدارة، لكنه لم يكن يعتبر ضمن الوزراء ويستنتج مما أورده "شاو" الطبيب الرحالة الإنكليزي- أن سلطة آغا العسكر وصلاحياته لا تتعدى الجند المقيمين بالثكنات والحاميات القائمة بمدينة الجزائر. ولا تدوم عهده سوى شهرين مما جعله يعرف بأغا القمرين أو آغا الخلالين. ويفسر قصر المدة بحرس الجند على تطبيق مبدأ التداول على المنصب. وهو أيضا الذي يقوم بمهمة قاضي العسكر. وخصص له محل للإقامة ولا يغادره سوى لحضور جلسات الديوان والإشراف على تسليم حرايات الجند.

37. *Shaw, Op.cit .pp158-159.*

- *Venture de Paradis, Op.cit p214.*

39. *Tachrifat, Op.cit p20.*

40. *Chailloux, Op.cit .p5.*

41. الزهار، سبق ذكره، ص 48-49.
42. Shaw, Op.cit .p162.
43. Venture de Paradis, Op.cit p214.
44. Tachrifat, Op.cit p20.
45. الزهار سبق ذكره، ص 49. للمزيد حول الموضوع راجع :
- Nacerdine SAIDOUNI, L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane 1791-1830 Dar el Gharb Alislami , Beyrouth , 2001.
46. الزهار سبق ذكره، ص 49. كما تحدث الدكتور "شاو" عن السراجة ويعرفهم على هذا النحو :
"Les Sagairds ou Sagairdis sont des turcs armés de lances" p 163.
47. نفسه، ص 141.
48. نفسه، ص 49.
49. الأرشيف الوطني الجزائري .ملسلة المحاكم الشرعية، علة 37.
50. نفسه، علة 25.
51. على خلاف المناصب المشار إليها أعلاه -والتي نفتقر حولها إلى المعطيات الواقية والدقيقة، بحيث من العسير على الباحث الوقوف عند الشخصيات التي تولتها، من جهة ومعرفة تاريخ ظهورها على نحو دقيق من جهة أخرى.
52. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية-اقتصادية - أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2002، الجزء الأول، ص 124.
53. حمدان خوجة، سبق ذكره، ص 134.
54. هذا ما توحى به العديد من الوثائق المحفوظة في سجلات المحاكم الشرعية وكذلك دفاتر التركات.
55. غطاس، الحرف، ص 127-128 و ص 334 و ص 139.
56. نفسه، ص 324. هامش 6.
57. Venture de Paradis, Op.cit pp216-217.
58. Knight, Op.cit .p142.
59. Tachrifat Op.cit. pp19-20.

60. Laugier DETASSY, Op.cit p141
61. Ibid .
62. Tachrifat Op.cit pp20-21
63. الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة بيت المال، دفتر رقم 74، 77.
64. نفسه. وكذلك سلسلة المحاكم الشرعية.
65. راجع دفتر التشريعات والمصادر الغربية المعتمدة في الدراسة.
66. Venture de Paradis, Op.cit, pp 212-213.
67. تختلف المصادر الغربية حول أصل الترجمان حيث يشير فانثور دي بارادي إلى أنه من العنصر الخلي، بينما ذكر لوجي دي تاسي بأنه من العنصر التركي.
68. Venture de Paradis, Op.cit, pp213-214
69. LAUGIER DETASSY, Op.cit, pp143-144.
70. وهو معلم الطباخين في القصر، صابان، المعجم الموسوعي، ص15.
71. لقد قمنا باستقراء أزيد من سبع دفاتر .
72. Tachrifat, Op.cit , p24
73. الزهار، سبق ذكره، ص39.
74. Venture de Paradis, Op.cit, p214
75. Ibid
76. LAUGIER DETASSY, Op.cit ., p 140.
77. SHAW, Op.cit, p171
78. Tachrifat. Op.cit
79. الزهار، سبق ذكره، ص39.
80. ابن عبلون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحاسب، اعتنى بتحقيقه ودراسته الأستاذ ليفي بروفنسال مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، 1955، القاهرة.
- ARIE, R « Traduction annotée et commentée des traités de Hisba d'In Abd al Rauf , Hesperis Tamuda, 1960 »
81. HAEDO, «Topographie et histoire» , p 468.

82. أنظر : Tachrifat . Op.cit.

- قانون على الأسواق. وسلسلة المحاكم الشرعية : العلب التالية، 40، 50، 129، وغيرها.

83. غير أن المصدر المحلي: دفتر التشريعات ذي أهمية البالغة لم يشر سوى إلى شيخ واحد كان تحت إشرافه ورقابته عددا من الجماعات الحرفية. وإنما نغزو غياب الإشارة على الشيخين معا إلى الترجمة الجزئية التي قام بها ألبير دي فو «DEVOUXX» في القرن الماضي.

84. جاء في إحدى الوثائق تخص إثبات ملكية عقارات خارج باب عزون مايلي : "... كان وقف عليها وكيل الحرمين المعظم السيد عمر بن المرحوم السيد محمد والسيد الصادق شيخ البلد في التاريخ بن السيد الحاج مسعود والسيد إبراهيم أمين الجيارين كان والسيد عبد الحق أمين الجيارين في التاريخ... 1208"، م، ش، ع 26.

85.

86. استنادا إلى عقد بيع دار وعلوي بين ورثة الحاج عاشر العطار ومحمد المقايسي صناعة بن الحاج محمد .

87. لقد مارست هذه العائلة التجارة الدولية على نطاق واسع سيما مع أوروبا حول الموضوع أنظر: عائشة غطاس "التجار الجزائريون من خلال سجلات القنصلية الفرنسية 1686-1830" أنظر : غطاس : الحرف والحرفيون، سبق ذكره .

- ابن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

88. Shaw , Op.cit, p167

89. م.ش، ع 32 و 42.

90. شالر، مذكرات سبق ذكره، ص 77.

91. نفسه، ص 77-78.

92. Tachrifat, Op.cit, p20.

93. م، ش، ع 1/45، 38.

94. إذ جاء في الوثيقة ما نصه : "...المعظم السيد حسين الانكشاري سباشي في التاريخ ابن بابا إبراهيم به عرف أو أيل شوال 1200هـ " لكن الوثيقة لم تشر إلى مهماته وصلحياته. م ش، ع 3 و 14

95. MONITEUR ALGERIEN.1844.

96. MARCAIS,G. « considération sur la ville Musulmane et le Muhtasib »
Recueil de la société Jean Bodin,vol.6,1954.p256.

97. GAUDEFROY-DEMOMBYNES, » Mélanges sur quelques ouvrages de la hisba », Journal Asiatique,1+938. p451

98. حول المحتسبة والمحتسب في بلاد المغرب انظر لقبال موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي،نشأتها وتطورها، الجزائر، ش،و،ن،ت،1971.

99. DEVOULX, Tachrifat,Op.cit, p22

100. PICHON , Le baron Alger sous la domination française, son état présent et son avenir, Paris Barroirs,1833, p168.

101. كان المزوار في العهد الموحدين يقوم مقام المحتسب، إذ كانت مهماته وثيقة الصلة بالحسبة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسهر على الجانب الأخلاقي.وعقب الهيار دولة الموحدين، ظل المنصب قائما حيث ورثة الحفصيون والمرينيون والزيانيون. غير أن وظيفته تغيرت مما إذا تحول المزوار إلى حاجب لكنه ظل يقوم بدور المنفذ للأوامر والقرارات الصادرة عن الأمير والقاضية بمعاينة المحلّين مما جعله يحافظ على جانب من مهام المحتسب التي كان يؤديها المزوار في العهد الموحد. لمزيد من التفاصيل انظر:

DHINA, A. Les états de l'occident musulman aux XIII-XIV siècles. Institution Gouvernementales et administratives Alger, O.P.U, ENAL, 1984.p 148-149.

102. HAEDO. « Topographie et histoire », Op.cit ,p 469.

103. DEVOULX,Tachrifat,op.cit, p22.

104. SHAW, voyage dans la régence, Op.cit,p175-176

105.VALLIERE,C.ph.Mémoire sur Alger 1781, publié par L.chaillou.Toulon,Impnouvele1974, p14.

106. شارل، مذكرات، سبق ذكره، ص77-78.

107. GENTY DEBUSSY, (M.P) de l'établissement des Français dans la Régence d'Alger, 2T, 2Ed,Paris, 1839.T2, p 404.

ROZET, M, Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique du Nord, 3T, Bertrand, 1833.T3, p11.

الفصل الرابع

النظم الإدارية المحلية

توطئة :

لا شك أن موضوع النظم الإدارية يكتسي أهمية بالغة حيث يسمح بالوقوف عند طبيعة الحكم العثماني وخصائصه كما يتيح فهم طبيعة العلاقة القائمة بين الحكام والمحكومين.

وتستدعي دراسة طبيعة الحكم العثماني بالجزائر إبداء جملة من الملاحظات : لقد دام الوجود العثماني بالجزائر أزيد من ثلاثة قرون 1519-1830. وإذا تمعنا في الإمكانيات العسكرية التي كانت في حوزتهم فإننا نندهش لقلة عددها، حيث لم تتجاوز عشرة آلاف. وهذه القوة وإن بدت ضئيلة، مقارنة بشساعة البلاد الجزائرية، إلا أنها كانت كافية، بل وناجعة حيث سمحت للعثمانيين بيسط نفوذهم وسلطانهم على مختلف أرجاء البلاد. ومرد ذلك أنهم عملوا على تدعيم نفوذهم بكل قوة في المدن، بينما عمدوا في حكم وإدارة الدواخل إلى الحكم غير المباشر. وقد أدى هذا الأمر بالبعض إلى القول بأن الحكم العثماني لم يتعد سدس البلاد، وأدى بالبعض الآخر إلى نفي أن تكون للعثمانيين سياسة إدارية واضحة المعالم في الدواخل، حينما روجوا فكرة "... لقد جاء العثمانيون من البحر وظلوا ينظرون إلى البحر..."

من إعرارو (الأستاذة سعيرة سرتين)

الإدارة بدار السلطان :

لم تكن البلاد مقسمة تقسيما متساويا ولا متميزا¹. -أقلم الأتراك نظامهم الإداري وفقا للظروف حيث أنشئت: إنما هو موجود ولم يحدثوا الجديد إلا ما فرضته عليهم الظروف وربطوا كل حدث اجتماعي خاصة بوصفة ملائمة² إذ كانوا يسيطرون على مدينة الجزائر وضواحيها بدون منازع مع التحكم في باقي المدن الأخرى³ وأدركوا أنه لا يمكن إدارة لأرياف والمدن⁴ بنفس الطريقة. هذا النوع من الإدارة كان مركزه مدينة الجزائر وبعض المدن إلى جانب هذه الأخيرة توجد أحيانا مناطق خاضعة تماما أنشئت فيها دوائر تسمى بالأوطان والتي يصعب علينا تحديدها، فنقول فقط أن الأوطن المثالي هو أوطن متيعة، وعرفت فيه القبائل تفككا، وقهرت إلى درجة أنها فقدت شخصيتها فأعجبت القبيلة وتركت مكانها لمجموعات صغيرة من السكان تخضع مباشرة للشيوخ وتعرف في العادة باسم الجماعة التي تعيش بالأحواش ومزارع متيعة والساحل، وقبلت أن تصف تحت زعيم واحد في دائرة مشتركة مع عناصر بعيدة عنها كل البعد تم المزج بشكل حتى أن الأوطن لم يعد يسمى باسم القبيلة الأكثر عددا وإنما باسم اليوم الذي ينعقد فيه السوق، مثلا أوطن السبت- ححوط- غرب البلدة إلا أنه المثل الوحيد الذي يمكن ذكره⁵ وحسب المؤرخ- بوديكور- يتكون الأوطن من عدة قبائل، يحمل اسم القبيلة الأهم أو اسم جبل أو واد أو ناحية وتتغير مساحتها وكثافته السكانية حسب الظروف⁵، في أغلب الأحيان لم يعد الأوطن إلا اقليم للقبيلة المعنية وفي هذه الحالة لم يتمكن من التطور بل بالعكس ألصق بالقبيلة التي لم تتغير، وهذا النموذج من الأوطان يوجد بمنطقة المدية حيث القبائل التي يشملها يحكمها قياد أترك⁶ وما استخدام مصطلح الأوطن إلا ليبدل ببساطة على القبائل في اللغة الإدارية لذلك العصر، وتشكل القبائل النمط

الحقيقي للمجتمع السكاني الذي كان يستخدم في كل إطار اداري، اجتماعي، مالي، وقضائي. الخ⁶.

إذا كانت القبيلة في الأصل تقسيم عرقي، حيث ينحدر جميع أعضاء القبيلة من سلف مشترك تحمل اسمه في أغلب الأحيان مثلاً بني كذاو كذا ولكن في الحقيقة مع مرور الزمن تطورت القبيلة نحو خليط من الفرق ذات أصل متنوع من طبقات اجتماعية غير متساوية إذا أن بعض القبائل كانت ذات تكوين حديث متعددة العناصر وتحمل اسم القبيلة الأهم أو اسم يذكر بموقعها الجغرافي مثل قبائل الظهرة في منطقة الظهرة أو تحمل اسم يذكرنا بوضعيتها الاجتماعية مثل العبيد- (العبيد السود) لوادي ساباو، دويرة التطري، زمول وادي شلف⁷.

كان ينظر للقبيلة من وجهة نظر معينة على أنها اطار مفتعل ومادام هذا الاطار هو الوحيد المعروف الذي أحتفظ به واستعمل كدائرة متعددة التكافؤ وفي الحالة العادية تحكم القبيلة من قبل الأسرة الأقوى التي تنتمي الى الجزء المسيطر، وفي بعض القبائل تنصارع عدة أسر من أجل الزعامة، كما حددت الزعامة منذ زمن بعيد في قبائل أخرى بأن يحمل زعيمها لقب شيخ أو شيخ الشيوخ وفي الميدان كان لقب القائد يستعمل في القبائل التي لها علاقة بالسلطة المركزية.

إذا كانت القبيلة خليط غريب مكون من فرق فان هذه الأخيرة تمثل بالعكس وحدنة حيوية مؤكدة كانت الفرق تشكل تجمعات متينة وكان التضامن العرقي يلعب دورا كبيرا، كما كانت الفرقة الخلية الاجتماعية الحقيقية لمجتمع الأهالي⁷. وقبل أن نشعر في تصنيف القبائل نتناول السياسة المتبعة من قبل الأتراك إزاء القبائل فقد اتبعوا السياسة المعروفة لدى الانسان منذ أن وجد على وجه الأرض أي سياسة فرق تسد اذ حاولوا دمج بعض القبائل مقدمين بعض الاغراءات وذلك لأمرين اما لقرب هذه القبائل من مركز السلطة أولقوتها وفي كلتا الحالتين تفاديا لمشاكل هم في غنا عنها، ولكي لا ينشغلوا بأمر ثانوية وهذا كله على حساب بعض القبائل الأخرى.

تصنيف القبائل :

لم يكن لأغلبية القبائل إلا علاقات متباعدة مع البايليك كما كانت هذه العلاقات مبنية على القوة. ويمكن تصنيفها إلى مجموعتين كبيرتين:

أ. القبائل الحليفة : وكانت تشغل عموما مناطق وعرة وهي قبائل المخزن المتعاونة مع الأتراك اعتمدوا عليها في نشاطاتهم العسكرية عندما فرض نظام دفاعي ووزعت على المواقع الاستراتيجية خاصة القرية من المناطق الجبلية وبلاد القبائل ومن أجل ذلك كله طوقت تلك المناطق بحزام أمني على شكل حصون وأبراج مثل برج منايل، برج ساباو، برج تيزي اوزو، برج بوغني، برج حمزة وبرج سور الغزلان. فأصبحت تشكل منطقة عازلة بين مناطق الرعية والقبائل المستقلة، كما وجد اتفاق بينها وبين البايليك مقابل بعض الاتاوات وادارة شؤونها بحرية⁸.

ومن المهام التي أوكلت لقبائل المخزن أيضا ابقاء قبائل الرعية تحت رحمة الأتراك والقيام بدور الجندرمة لحراسة الطرق والممرات و نقاط العبور ويكون قيادها أترাকা⁹.

ب. القبائل المستقلة: هذه الأخيرة المتمركزة في المناطق الجبلية كبلاد القبائل، الظهره، والونشريس، والتخوم الشبه الصحراوية تدين بالطاعة لزعمائها المحليين وإذا كان دايات الجزائر قد حاولوا استتباب الأمن بين القبائل المنظمة في الأوطان ومنع النزاعات أو الخلافات الداخلية فيما بينها والتي يمكن أن تعرقل سير عملية جباية الضرائب، فقد قاموا عكس ذلك مع القبائل المستقلة إذ سعوا إلى المحافظة على الخلافات فيما بينها من أجل أضعافها¹⁰ و منعها من التكتل قد يشكل خطرا. وكما وأن رأينا تشكل مناطق عازلة بين القبائل الخاضعة والقبائل المستقلة. إن القبائل الضعيفة أو الواقعة على مرمى القواعد التركية كانت خاضعة. أما القبائل الأقرب قد فككت ووضعت في الأوطان مثل قبائل الرعية التي كان يحكمها قياد إترك الدين تراكبوا على شيوخها، وكانت تتحمل الجزء الأكبر من عبء الضرائب¹¹.

علاقة القبائل بالسلطة العثمانية :

إن الأقلية التركية تمكنت من الإستحواد على السلطة في إيالة الجزائر وأنها تعمل لحسابها الخاص، رغم اعترافها بسلطة السلطان العثماني في القسطنطينية ويعود ذلك إلى فترة خير الدين أول بايلارباي الجزائر عندما سمح له بتجنيد المتطوعين من تركيا. كان نظامهم الإداري ذا طابع عسكري، احتكرت الأقلية التركية العمل العسكري والتسيير الإداري المركزي. وأتضح أن حضور هذه الأقلية التركية أقل من عشرة ألف نسمة¹²، وهذا العدد كان كافيا من أن يمكنها من التحكم في إدارة البلاد الجزائرية إذ ركزت سلطتها على بعض المدن وأدارت ما تبقى من البلاد بوسائل غير مباشرة وكان هذا الحضور كافيا لدرجة جعلها تحدد وتقلل من إشراك الأكرية الممثلة في السكان المحليين والتي لم تدعى للمساهمة في ممارسة السلطة إلا في المناطق الصعبة، والتي تعذر على الأتراك القيام بها، وكان احتقار الأتراك للعنصر المحلي كبيرا والدليل على ذلك عدم تشجيعهم الاختلاط بهم أو الزواج منهم وإن حدث فتكون العواقب والعقوبة كبيرة، إذ يفقد الفاعل كل الإمتيازات التي يتمتع بها عادة الأتراك في الجزائر، وأما عن خلفه أو ما يسمى بالكراغلة فهم غير معترف بهم ولا يمكنهم الارتقاء في مناصبهم العسكرية خاصة، كما لا يمكنهم الحصول حتى على الإمتيازات العادية للجنود الأتراك¹³. أما عن إهانات الأتراك إزاء السكان المحليين فكانت كبيرة إلى درجة أنهم كانوا حسب - لوجي دي تاسي - يقومون بثورات مثل تلك التي قاموا بها في عام 1590، 1610، 1644. قمعت كلها بالدم واضطر من بقي على قيد الحياة إلى الفرار إلى بلاد القبائل مكونين بذلك ما يعرف بقبائل الزواتنة¹⁴.

هذا وكما سبق وان أشرنا أن الأتراك لم يعرفوا نمط معين من الحكم¹⁵ وإنما أقلموا ما هو موجود وعالجوا الأحداث حين وقوعها¹⁶ وحاولوا التعاون مع الجماعات السكانية في موقعها وإمكاناتها وتوضح علاقة القبائل بالسلطة من خلال تعامل الجهاز الإداري مع واقع الأرياف إذا تعتبر مقاطعة دار السلطان مركز الإدارة

هذه لقرها من مدينة الجزائر عاصمة الولاية وعاصمة السلطنة العثمانية، كونها تابعة مباشرة لسلطة الادي وهذا ما يجعل منها نموذجا حيا متطورا للإدارة بالجزائر¹⁷، وكان انشغال الأتراك مزدوجا :

1. جباية الضرائب، وضمان الأمن : وذلك تفاديا لتحول التفاعات والتمردات وتفجرها وتحويلها الى ثورات عارمة، وتنتج التمردات عن القبائل بمختلف أصنافها عند أمتناعها وعدم امتثالها لمطالب الإدارة التركية المتزايدة خاصة تلك التي تنتج عن القبائل التي كان خضوعها كامل مثل قبائل الرعية التي كانت تتحمل الجزء الأكبر من عىء الضرائب¹⁸ إلى درجة انه تحول الكثير من أعضائها إما إلى عمال مستأجرين أو إلى ممارسة الرعي والترحال الموسمي، تاركين الأرض والديار كيف يفر المرء من موطنه وذويه وكل ذلك تفاديا للمضايقات والتعرض للحملات التأديبية الانتقامية المعروفة بالمحلات التي كانت تقوم بها قبائل المخزن وفرق اليولداس.

وليس هناك من هو أتعس من سكان السهول والجبال القريبة من مدينة الجزائر خاصة بعد تدمير وانخفاض مداخيل الغزو البحري والتفات السلطات نحو مداخيل الزراعة وما توفره من الخيرات التي لا ينعم بها أهلها، وهكذا حرموا من ثمره جهدهم وعرقهم¹⁹ وعلى من فضل البقاء على أرضه وممارسة الزراعة فما عليه الا الاسراع في تقديم ما عليه من واجبات ضريبية من جهة واشباع جشع الجند والمواضفين المحليين أو غيرهم، تلك الأطماع التي لا حدود لها، وهذا من طبع أصناف من البشر، خاصة اذا علمنا أن الدولة ليس من عادتها أن تدفع الأجر لموظفيها²⁰ وان فعلت فهذا لايسد طمعهم وكل من سمحت له نفسه بمخالفة هذه الاجراءات فمصيره معروف، وهل يوجد استغلال مثل ذلك الاستغلال الذي مارسه الموظفين الأتراك على الأهالي بصفة عامة، وعلى الفلاحين بصفة خاصة، وهل توجد عقوبة أشد من استظهار رؤوس رجال القبائل المعادية أمام كبارموظفي الدولة كأغا العرب كبرهان للحصول على مكافآت مقابل ما فعلوه²¹.

الدوائر لإدارية الكبرى :

كان إقليم إيالة الجزائر مقسما إلى أربعة أقسام كبرى : دار السلطان، بايليك التيطري، المدينة بايليك الشرق قسنطينة. بايليك الغرب وهران.

دار السلطان :

وتشمل في الأصل مدينة الجزائر، المتيجة، والساحل من تنس غربا الى دلس شرقا وتشكل جزء الايالة الخاضع لسلطة الداى المباشرة²² الذي يفوض موظفا ساميا أغا العرب للتصرف في شؤونها وإدارتها، وذلك أن اقليم دار السلطان يعتبر بحق المقاطعة المركزية في الجزائر، والتي خضعت لتنظيم محكم وهي تتكون من ثلاثة مناطق: فحص مدينة الجزائر الذي يشمل على العموم السفح الشرقي للساحل مكونا ريف مدينة الجزائر حيث يوجد أملاك أعيان الأتراك كبار أثرياء مدينة الجزائر، ومثلي الأمم الأوروبية. وهذه الأملاك متمثلة في المزارع والمنازل الريفية، وينقسم فحص الجزائر الى سبع دوائر على رأس كل منها شيخ وهي فحص بوزريعة، فحص بئر مراد رابيس، فحص زاوية، فحص عين زبوجة، فحص بئر الخادم، فحص القبة، فحص الحامة. يوزع الباقي على الأوطان²³ وفي هذه النقطة بالذات نجد أنفسنا أمام اشكالية حيث يجمع المؤرخون الغربيون من بينهم بويي، بوتون، وياكونو وغيرهم على تقسيم ما يتبقى من دار السلطان إلى أربعة أوطان مددوها شرقا وغربا بثلاثة مناطق عازلة لأسباب أمنية بين مدينة الجزائر وبايليك الغرب وهي كالتالي منطقة شرشال، قبيلة بني مناصر، وشرقا مددت بقائدات ساباو، وأوطان يسر، في حين يقسمها بوديكور الى سبعة أوطان²⁴.

أما سعيدوني فيقسمها الى ثمانية أوطان وهي كالتالي يسر، الخشنة، بني موسى، بني خليل، السبت، بني جعاد، بني خليفة وأخيرا أوطان بوحلوان.

أوطن يسر:

يحده شمالا البحر الأبيض المتوسط، وجنوبا أوطن حمزة، وشرقا أوطن ساباو، وغربا واد قورصو الذي يفصله عن أوطن الخشنة. إن وضعية هذا الأوطن وانفتاحه على الكتلة القبائلية جعلته مطوقا بسلسلة من الأبراج على كل نقاط العبور، برج ساباو، تيزي وزو، بوغني، أم نايل. وهذه الأبراج وضعت تحت حكم قياد ساباو وأغا العرب هذا الأوطن كان يشمل 42 زمام أو جماعات، 24 منهم يقعون في غرب واد يسر والثمانية عشر الباقية في شرقه²⁵.

يسر الغريبي:

- بني ضدام

- بني عزارية

- بني شكروح بن سوكار

- بني ختير

- بني خلفون

- بني مناد

- بني عقبة

- بني راشد

- بني تامنت

- بوراب باش

- شناك

- دوار بن سي يوسف

- الكيوس

- حجيل

- إبراهيم بن سعيد

- خليفة بن سولة

- معاوية

- أولاد بسام

- أولاد شمال

- أولاد لحك

- سالم بن رحمون

- زاوية أحمد بن إبراهيم

- زاوية أحمد بن إبراهيم

- زاوية سالم بن مخلوف

- زاوية سيدي عبد العزيز

يسر الشرقي :

- أحمد بن ضيف الله

- علي بن بونوة

- علي بن خاليفة

- عيسى بن أمبارك

- عيسى بن زاير

- بن جفال

- بن عقبة الشرفة

- بني ربيعة²⁶

- بن وزروال

- بويرق الكبير

- ربويرق الصغير

- الجحان

- الطعانة

- أولاد موسى

- أولاد رباب

- أولاد سمير

- زاوية سي سليمان

- بن عروس

2. أوطن الخشنة :

ويشمل الثنية، برج الكيفان أو بعارة أخرى بين واد قورصو، وواد سيدي أحمد وواد صنصالة، يحده شمالا البحر، وجنوبا أوطن بني جعاد وأوطان حمزة وشرقا أوطن بسر، وغربا أوطن بني موسى، ويجاوره فحص مدينة الجزائر عند مصب واد

الحراش، ومقاطعات هذا الوطن هي زروالة، حواب، المريجة، وحدادج، أولاد بسام،
أولاد سعاد، شعر بن حنان، عروش وتشير سجلات البايليك حسب سعيدوني الى
زمام أو جماعات هذه المقاطعات وهي كالتالي :

- عبد الرحمان الشريف

- عبد الرحمان بن مرهم

- أحمد بن سعيد

- أحمد بن سايمان وعلي

- بن حنان

- بن خرس

- بن عائشة

- بن فودة

- بن مستنة

- بن صبيح

- بو خنفرة²⁷

- شرفات كرومة

- الجواب العقبة

- الجواب راسوة

- الجبايل

- المنتصر بن كانون

- غريب بن عزوز
- حراوة
- حرسن
- إبراهيم بن دهاب
- خليفة بن عمار
- محللة مليكشن
- مالك يوسف بيك
- منصور بن طهول
- مصاورة
- أولاد عدي
- أولاد أيوب
- أولاد بسام
- أولاد غانم
- أولاد حداج
- أولاد ابراهيم
- عثمان بن خليفة
- رغاية
- سالم بن زهية

- سليمان بن أحمد تكبات

- تلو اقصان

- طالب علي أماليورث بن عائدة طالب

- زروالة²⁸

3. أوطن بني موسى :

يقع بين الحراش، وسيدي موسى بالأربعاء يحده غربا واد الحراش، الذي يفصله عن أوطن بني خليل، وشرقا واد صنصالة الذي يفصله عن واد الخشننة، ويمتد جنوبا إلى داخل الأطلس، إلى غاية أوطن بني سليمان، ويضيق شمالا بين الفحوص مدينة الجزائر، وأوطن الخشننة الذي يحيط فرجة مدينة الجزائر، وفي جزئه الجنوبي يشمل إقليم قائدة بني خليفة مشكلا حدود بايليك التيطري، ويتكون هذا الأوطن من الزمامات التالية.

- عبد الله بن عائد الصمات

- عيسى بن زيان بن مزوز

- أحمد بن يوسف بنني جليل

- علي بن عمار بن تشفين

- علي بن رمضان

- علي بن ثابت

- بلقاسم بن علي بن تشفين

- بلقاسم بن بوجاعة بني ملال

- بني عطية
- بن دياب
- بن جدي
- بن البحري
- بن فتيس
- بني مالك
- بني محمد
- بني راشد
- بني سرحان
- بني عوير
- الشيخ و إلي داد
- الشرايعية
- الخشاشنة
- المربعة
- حمدوش
- خليفة بن سليمان
- محللة مليكشن
- محمد بن عبد الله عرويتي

- محمد بن مسعود بني ملال

- أوخارس

- أولاد اعميرة

- أولاد ابراهيم بن جليلد

- أولاد جراد

- أولاد فليت

- أولاد اسلام

- أولاد تاقب

- تافت بن علي بني ملال

- يحيى بن موسى بن جليلد

- يحيى بن تافت

- يوسف بن أمبارك²⁹

4. أوطن بني خليل :

يحدده واد الحراش شرقا وواد الشفة غربا، وواد مزفران، فحوص البليدة وبني صالح الذي يفصله عن بايليك التيطري جنوبا، وفحوص مدينة الجزائر شمالا وضعت اقاليم بني صالح، بني مصارة، بني مسعود تحت سلطة أغا العرب بواسطة قياد بني خليل الذين يديروهم من البليدة بمساهمة شيوخهم ويتكون هذا الأوطن من 102 زمام مسجلين في سجلات البايليك.

- عبد الله ملك
- عبد الله بن خليفة
- عزيزة الهيل
- أغرورة
- عاقر اوملال
- اقلاي بن خليل
- اقلاي بن صالح
- عمار اوهة
- املة بن خليل
- امغار
- عمروسة 29
- انكاش
- عراوة
- عزيزة التوت
- عزرونة
- هلي
- بن علي اغبير
- بن علي قليسي سوسنة

- بن عزة

- بن بوا عربي

- بن بوانصير

- بن بوتامو

- بن حمامين

- بني مسوس

- بني خيلم

- بن كاكوش

- بن معمار

- بن مسعود الشيراقه

- بن مسعود الغرابه

- بن صبيح

- بن صالح سعوده

- بني شيان

- البلیده

- بو عامر عواس

- بودردون

- بوجفنة³⁰

- بو اسماعيل
- بومنھاج
- بويغلالن
- شدخني
- شفاعة
- شلة
- دشيو ة
- دوار الغرابة
- الشيراقة
- الدعالة
- الدكاكنة
- الدواودة
- الاحباب
- البرج الأحمر
- الفد
- الغرابة
- الحبشة
- الحاج خليفة

- الحفال

- الحسم أو اليهم

- الخطاعة

- الخرابطة

- المعاملة

- المدواعة

- الصفصاف

- السايح الفوكي

- السايح السوفي

- الصومعة³¹

- أتاعة

- فروحة

- حد أعنان

- حد الشريف

- عياد

- خادم

- كتوة

- ماسومة

- مشكوكة

- ملك المحروم خيدر باش

- ملوه

- مسعود بن معزوز

- مسلوغة

- مزكة

- مزهر

- اولاد عبد الكريم

- اولاد اكليل

- اولاد عمارة

- اولاد شبال

- اولاد معارك

- اولاد منديل

- اولاد محمد

- اولاد عمران

- ربيعة

- سدي يخلف

- تقاحة

- طفشهم

- تيجعارين³²

- توبعة

- يونسى (بن يونس)

- زاوية سديعايد

- زاوية بن سدي مجير

- زغاية

- زروال

- زماغة

5. أوطن السبت حجوط :

لقد عجنّت القبائل التي تسكن هذا الأوطن بطريقة جعلتها تسمى باسم اليوم الذي يعقد فيه السوق الأسبوعي، ويمتد هذا الأخير على طول البحر من القليعة إلى تيبازة شاملا بذلك ساحل القليعة والجزء الغربي من متيجة، ثم يمتد على طول واد شفة ويتطاول على إقليم موزاية سوماتا في الشرق وفي الغرب فوق أراضي بني مناد، شنوا بني مناصر وأدجت في هذا الأوطن قبائل جبلية لسوماتا، بني مناد، موزابا وأديرت من طرف أغا العرب ومساهمة قيادهم بينما كان قياد بني مناصر خاضعون لقائد شرشال.

ولهذه الأوطان الرئيسية أضيفت ثلاثة أوطان شاذة وهي بني جعاد، بني خلفا وبوحلوان.

6. أوطن بني جعاد :

فصل عن بايليك التيطري، وأدمج نهائيا إلى مقاطعة دار السلطان في نهاية العهد لعثماني للأسباب أمنية يحده غربا أوطن بني خليفة وشمالا أوطن الحشنة بينما يمتد جنوبا وشرقا إلى أقاليم بني سليمان، عريب، وبني خلقون.

حكم أوطن بني جعاد وأوطن عريب قياد تحت سلطة أغا العرب بعد انفصال إقليم حمزة عن بايليك قسنطينة في عام 1820 كانت قبيلة مخزن زواتنه أهم قبيلة في هذا الأوطن التي كانت تتمتع باستقلال إدري، حيث كان يخضع قائدها مباشرة لأغا العرب كما يمكننا ذكر قبيلة بني بن لحسن المتكونة من الزمامات التالية :

- بعاسم

- بن عردبة

- بني قلال

- بني يلمان

- شرفة صنهاجة

- دراعة

- ديبات

- المهدي³³

- فركوة

- مرزقلة

- مسمو لثة

- عمار بن العزلم

- عمار بن حشلاف

- اوعليان

- اولاد ثعالب

- سالم بن التومي

- سنكوة

- تالوكاة

- يحيي معالاوي

7. أوطن بني خليفة :

يقع جنوب أوطن بني موسى بين بايليك التيطرى وأوطن بني جعاد، ويمتد في الجنوب إلى غاية إقليم بني سليمان ويتكون من الزمامات التالية :

- بن علي نبي زاير

- بن بو عادم

- بن تادجت غيث

- بن بغلال

- بن بل العز

- بني بو بكر

- بني بوخليفة

قريظة ٤٤٤هـ -

رياح ٤٤٥هـ -

عمش ٤٤٦هـ -

تمصير ٤٤٧هـ -

السلط ٤٤٨هـ -

٤٤٩هـ -

٤٥٠هـ -

٤٥١هـ -

٤٥٢هـ -

٤٥٣هـ -

٤٥٤هـ -

٤٥٥هـ -

٤٥٦هـ -

٤٥٧هـ -

٤٥٨هـ -

٤٥٩هـ -

٤٦٠هـ -

٤٦١هـ -

٤٦٢هـ -

- بني حتوس

- بني لهف

- بني وثاس

- بني سليم

- بني سوكة

- بني تراتن

- بني زرمان³⁴

- دار الأوش

- البدرنا

- الهوده

- قوواوه

- كتارانان

- أولاد بني فرحات

- خوخذة

- ملوان الخلفة

- مرهم

- معامين

- أولاد عباد

- أولاد عمارة

- أولاد بويحي

- أولاد فاطمة

- أولاد اوحدة

- أولاد سلطان

- أولاد زعيم

- أولاد زيان

- سكلواه

- سمامة

- سراين الكسبية

- سليمان بن العزيز

- تاكمات اولاد بن عبدو

- يوسف بن علي³⁵

8. اوطن بوحلوان :

كان يوجد وسط عدة قبائل أهمها قبيلة ريعة، سوماتا، بني مناد، جندل، وفصل عن خليفليك مليانة و وضع تحت سلطة أغا العرب الذي عين لقيادة قبيلة المخزن التي كان يوجد مخيمها تحت برج بوحلوان، كما وضعت تحت سلطة القائد المكلف بمراقبة عبور واد جرالذي كان مسرحا لتوغلات جماعات سوماتا ويتكون هنا الأوطن من الزمامات التالية :

- عيلاشة
- بني يخلف
- بني جماعة
- بني محسن
- بني ميمون
- بني مويمن
- بني زعيم
- بوجامعة بن حدو
- الهوامي
- الصفارة
- كباية
- موسى بن زايد
- أولاد دتيس
- أولاد دياب
- أولاد هدى
- أولاد توك
- تاغة
- زغوة³⁶

وفي الأخير يقول سعيدوني أن هذا التنظيم الإداري لم يكن ناتجا عن تعليمات الباب العالي، وإنما جاء نتيجة ممارسات محلية وقوانين معروفة قبل الفترة العثمانية. وهذا لا يعني أنهم لم يؤثروا بل بقيت الكثير من هذه التنظيمات إلى يومنا هذا. حيث يقول بواي أن هذه التنظيمات اندمجت في تقاليد سكان الجزائر واحتفظ بالكثير منها³⁸.

مميزات الإدارة العثمانية في الريف :

يصعب علينا ذكر قائمة العملاء الإداريين التي تعتبر حسب المراحل ووفقا للتأثير المتزايد أو المتناقص لمختلف الأفواج الإجتماعية والسياسية، إن التوظيف يختلف حسب طبيعة المهام، فهناك مهام مخصصة للأتراك والكرافل وحدهم في حين هناك مهام مخصصة للعرب³⁹.

تعتبر دار السلطان نموذجا متطورا للإدارة الريفية، ومثلا حيا لذلك أن هذه المنطقة تعتبر المقاطعة المركزية في الجزائر والتي تطبق عليها تنظيما محكما، وذلك نظرا لمجاورتها لمدينة الجزائر عاصمة السلطة التركية⁴⁰ ولقد ركز الأتراك اهتمامهم في مجالين.

الأول : جباية الضرائب بصفة منتظمة وذلك لجلب أكبر قدر ممكن من المال في خزائن البايليك، والتحكم في المعاملات والنشاط الاقتصادي والاجتماعي بالأرياف.

الثاني : توفير الأمن وتفادي تطور الإنتفاضات، وتمرد القبائل، وتفجرها، وتحويلها الى ثورات عارمة عامة⁴¹.

وترجم هذا الاهتمام التركي المزدوج في التشكيلة الإدارية للمستخدمين نفسها، كما يجمع بعض المؤرخين بأن الإدارة تلتخص في مجالين. المالي، والعسكري، وفي أغلب الأحيان وجد موظفين متعددي التخصص أو يتمتعون على الأقل بكفاءات في كلا المجالين الآنف ذكرهما.

وكل الوظائف قابلة للبيع والشراء وبثمن غال. إن إدارة الأرياف في دار السلطان تعتمد على عدد كبير من الموظفين والمنظمين حسب الدوائر الإقليمية الناتجة عن الظروف الطبيعية، الاجتماعية، والاقتصادية فقد كان هذا الجهاز الإداري يقوم على مجموعة من الموظفين، يمكن أن نقسمهم الى قسمين :

- يتألف الأول أساسا من موظفين سامين الذين تحدد سلطتهم إقتصاد الأرياف، ولم تصرف غير مباشر في شؤونها⁴² يتمتعون بسلطات ذات طابع سياسي وعلى رأسهم الداى ويليه في الترتيب كل من آغا العرب، البيت الملحي، وأخيرا خوجة الخيل.

- أما الثاني يتكون من العملاء المحليين المنفذين⁴³ (ثانويين) يؤطرون سكان الريف وهم القياد الخاضعون للموظفين السامين. وهذا النمط من التنظيم يجنب الأتراك التوغل في التفاصيل الإدارية، كما يجنبهم متاعب هم في غنى عنها، كإختيار الزعماء المحليين، ولتحقيق ذلك لم يتأخروا في إستشارة كبار القوم، ونزولا عند رغبتهم لهؤلاء الموظفين علاقة مباشرة بأوضاع الأرياف و التصرف الحقيقي في قضايا سكانهم، كما جعلهم الدعامة الأساسية للإدارة العثمانية بأرياف دار السلطان وهم القياد، الخوجات، والشيوخ⁴⁴.

الصف الأول :

الداى : الذي يمكن اعتباره الحاكم الأعلى للجزائر، وهي أسمى وظيفة منذ 1710 بعين من قبل نظرائه الموظفين السامين، ومن طرف الأوجاق المجتمعين في الديوان، وكان يتصرف في مقاطعة دار السلطان، وباقي البايليكات، قسنطينة، و التيطري، ومران عن طريق آغا العرب القياد و البايات فإليه يعود أمر عزل أو تولية الموظفين الكبار، لكنه مع ذلك يوكل صلاحيته لهؤلاء الموظفين، ونادرا ما يتدخل شخصا في القضايا التي تم السكان أو تتصل بالإجراءات الإدارية على المستوى المحلي، لأنها حسب العادة كانت من اختصاص الموظفين الخاضعين له وتعد سلطة الداى شبه نطقة على شؤون الدولة.

ويقال أن الداى ملك مطلق بإمكانه أن يحرم من سلطته كما جاء عند جوان كانو دي سرقوب هكذا يعيش هذا الرجل، ثري بدون أن يكون سيد كنوزه، أب بدون أولاد، زوج بدون زوجة، طغي بدون حرية، ملك العبيد وعبد للعبيد" ⁴⁵.

أغا العرب أو أغا العسكر كان في الأصل يقود الوحدات العسكرية العربية وفي بداية القرن الثامن عشر تحصل على قيادة إدارة المنطقة التي تحيط بمدينة الجزائر، دار السلطان وذلك للحد من نفوذ الإنكشارية تخشاه و تحترمه المليشية هو حكم الظروف الصعبة كانت له اليد العليا في الأوطان والقبائل، كما كان مكلف لدى الداى بشؤون دار السلطان فتوسعت مهامه بصفة مذهلة ابتداء من القرن الثامن عشر ⁴⁶ مع ازدياد دورا لأرياف الاقتصادية، بالإضافة إلى وضعيته كمدير لدار السلطان وقائد الصابحية "السبايس" والحللة المرابطة حول مدينة الجزائر.

ومن مقره العام في حوش الأغا خارج باب عزون، كان يسهر على الحفاظ على الأمن وحرية التنقل، والمواصلات في متيجة والأطلس، وكان من مهامه أيضا جباية الضرائب المفروضة على القبائل. وبصفته رئيس خيالة الداى، كان يقود الحملان التأديبية ضد المناطق، والقبائل المتمردة، وغير الخاضعة كما كانت له اليد العليا في كافة الميادين، وحقا قضائيا لا حدود له على كل عملاء بايليك دار السلطان ابتداء من القائد إلى شيوخ الجماعات فهو المرجع الأول لكل الموظفين المتولين لشؤون أهالي الريف بدار السلطان، و المتصرف الفعلي في شؤون السكان في هذه المقاطعة. هذه المهام المتعددة تجعل من آغا العرب أحد الشخصيات المهمة في الأوجاق. فهي الشخصية الأهم بعد الداى. بينما يشبهه فانتوردي برادي إلي الداى قوله إنه عندما يخرج من باب الجزائر يتحول إلى مستبد مثل الداى ⁴⁷.

هناك بعض الأغاوات الذين تركوا بصامتهم فيما يخص الإدارة الضرايبية مثل ما أشار إليهم اسعيدوني، وهم : علي آغا، قصدرلي آغا، الحاجي آغا، حسان آغا

حزناحي آغا الحاج محمد آغا، حسان آغا، صالح آغا، عمار آغا، مصطفى بن يوسف، ميمش آغا، سليمان بن اعلي آغا شريف الميداني آغا مشن بن عثمان، يحيى آغا، و ابراهيم آغا. هناك من الأغوات ودائما حسب سعيدوني من تركوا بصماتهم وهم علي آغا 1789 1791 مصطفى آغا 1809 1814، ويحوي بن مصطفى آغا 1818 1827. وهنا ولقد ارتقى بعض الأغوات إلى أعلى المراتب في الايالة الجزائرية، أي منصب الباي وهم على التوالي كور عبيدي، 1724، بابا علي 1754، وعمار 1815 1817⁴⁸.

البيت المالجي :

هو الذي يشرف على الأملاك العائدة للبايليك مع أن العديد من هذه الأملاك توجد داخل مدينة الجزائر والبليدة، فإن قسما منها يوجد بالفحوص والأوطان وبعضها يعيش عليها الفلاحون ويقومون باستغلالها لفائدة الدولة، كما يدير الأملاك الشاغرة والتركات التي لا ورثة لها، واستخلاص ما يعود منها لخزينة البايليك أو البيت المال، حسب الشريعة الإسلامية ويساعده في مهامه هذه قاضي، وعملاء، ونواب، وعدادول، وبإمكان مهامه هذه أن تتوسع لتشمل الجوانب الاجتماعية في المدن والأرياف كإستقبال تبرعات المسلمين لصالح اليتامى، والغائبين، كما يراقب أيضا وعن كثب مصادرة أملاك الأعيان من طرف بيت المال، ومراقبة المقابر الواقعة خارج المدن، وتمويل دفن الأجانب والفقراء، وإقامة الحفلات الدينية، والتصدق على الفقراء.

كما ورد عند سعيدوني وحسب الأرشيف قائمة أواخر البيت المالجي الذين أناروا أملاك البايليك في دار السلطان.

محمد ابن العربي 1788، الحاج محمد بولكباشي بن رمضان التركي 1791، وسي مصطفى آغا 1797 علي بن حسان التركي 1798. الحاج حسين 1799، 1808 سليمان، 1817 إبراهيم 1818. خليفة شعبان 1826، 1830⁴⁹.

خوذة الخيل :

كاتب الخيل، وهو أمين الخيل الذي يدير أملاك البايليك بالأرياف في النتيجة وما تسببها بمساعدة الشاوش، كان في البداية مكلف بإحصاء الخيل المقدمة على أساس ضريبة عينية. وتوسعت كفاءته في القرن الثامن عشر لتشمل قضايا الإيجار، والبيع وتبادلات المواد الغذائية من محاصيل قطاعات، واستثمار أراضي البايليك وتركز حرصه على توفير الخيول، وحيوانات النقل لفرسان الدولة الصبائية. فهو يشرف على مخزن الخيول كما سبق وأن أشرنا. فهو بمثابة وزير التموين خاصة بعد ما تدهور اقتصاد مدينة الجزائر، والمناطق الخاضعة للسلطة الداى مباشرة بسبب تدهور الغزو البحري. وله قدرة تجويع أو إشباع السكان، توسعت سلطته واتسعت من 1798 الى غاية 1818 كما كان من مهامه قيادة فرق المشاة أو الفرسان عند الحاجة لتأديب القبائل المتمردة.

الصنف الثاني :

تكون من الموظفين التابعين للجهاز المركزي الخاضعين لصنف الموظفين السامين كأغا العرب، أو بعبارة أخرى العملاء المنفذين⁵⁰ المحليين الثانويين الذين يعملون في الأرياف ولهم علاقة مباشرة بأوضاع الأرياف ويتصرف في القضايا التي تم السكان فهم العملاء المحليين كما يسميهم بوايي، ويقول عنهم سعيدوني "أهم أساس الإدارة العثمانية بأرياف دار السلطان" ويقسمون إلى :

القياد :

تعني مساعد البايليك وهي رتبة شرفية، يتمتعون، بسلطات متنوعة مدنية عسكرية أمنية قضائية وجنائية⁵¹، كانوا أترাকা أو كراغلة ويقول البعض أنهم كانوا يختارون من العائلات الكبرى ذات النفوذ وهذا نظرا لكفائتهم وتجربتهم⁵².

القياد يحكمون في الأوطان يمثلون الأوجاق، والبايليك، لدى سكان الريف بأمر من آغا العرب، تختلف وضعيتهم حسب أماكن حكمهم في بعض المناطق ويسكنون في مدينة مجاورة أو في أبراج محصنة، ولا ينتقلون إلى أماكن تواجههم إلا تحت حراسة مشددة، ولم يستقر القياذ الأتراك إلا داخل قبائل الرعية⁵² هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن القياذ كانوا يعقدون إجتماعات دورية لتنسيق سياستهم⁵³.

ولقد كانت المناصب المرغوب فيها هي تلك المناصب الواقعة داخل القبائل العزل، التي كانت أراضيها تابعة للبايليك حيث يتمكن من إستغلالها إستغلالا كاملا، إلا أن الدايات كانوا يفضلون بشكل عام إدارة هذه الأخيرة مباشرة لكي يحتفظوا بأرباحها مثل تلك التي تقع في أوطن متيجة⁵⁴، وقد يتلقى القياذ برنوسا أحرأ عند تنصيبهم ومن حقهم أيضا إستعمال ختم⁵⁵.

ما هي أهم اختصاصات القياذ ؟

مراقبة القبائل، مراقبة الشيوخ، مراقبة رؤساء الفرق، الذين يديرون القبائل مباشرة، وكانوا يتمتعون بسلطات متنوعة مدينة عسكرية أمنية وحتى جنائية قضائية سياسية، ويفرضون الغرامات، ويجبرون الأهالي على القيام بأعمال الصخرة، كالعمل دون مقابل، وعلى حسابهم الخاص في أراضي البايليك ويلعبون دورا أساسيا في حباية الضرائب، يساعدهم الموظفون المختصون أن وجدوا أو يحلون محلهم في الحالات الأخرى. ولم يتلق هؤلاء القياذ مرتبات من الحكومة بل يأخذونها وبسخاء كبير من رسومات الجباية، ومن الغرامات⁵⁶ ويقول بوتون أن هذه المرتبات تمثل عشر الكميات التي يجلبونها بصفة عامة⁵⁷. وتشكل هذه النقطة أهم ما اسند إليهم، ويشرفون على الأمن والحد من المنازعات، والمشاجرات بين أفراد القبائل والشيوخ المتنافسين، مما يبين مساهمتهم في المجال القضائي والجنائي ونظرا لأهمية هذه المهام وتأثيرها على نفوذ الأوجاق بالأرياف فإن آغا العرب، كان يحرص على إعطاء

تعليمه شخصيا لهؤلاء القياد ويذكر سعيدوني اعتماد على وثائق الأرشيف الجزائري
أسماء بعض القياد. الحاج محمد بن مخلف، والقائد العراقي بوطن الخشنة، والقائد ابن
وشفون بأوطن بني موسى، والقائد ابن عزوز، والقائد عبد الرحمان ابن الغيرالي،
والقائد الحاج محمد باش بولكباشي، والقائد يوسف بن إبراهيم والقائد محمد
الشرقي، والقائد الحاج حمود بوطن بني خليل، والقائد الحاج محمد بن علي باشا،
والقائد أحمد بن شعبان بوطن بني جعاد⁵⁸.

ويتولى المصالح الاقتصادية والاجتماعية نوعا آخر من القياد، ويسمون عادة
خوجة، ويعملون بصفة خاصة في فحوص المدن وأهمهم.

قياد فحوص مدن الجزائر البلدية القليعة وشرشال والذين لهم إشراف فعلي على
المناطق المجاورة لتلك المدن والتي تعرف بالفحوص، وهم المسؤولون على ضمان
الأمن بها وتنفيذ أوامر الداى وقرارت آغا العرب المتصلة بسكانها وهم يشكلون
نقطة الوصل بين الإدارالحضرية بالمدينة والتجمعات الريفية المجاورة لها.

وهناك قياد يستخدمون في المدن وهم.

قيادة الفحوص الذين يتولون القضايا التي تخص ضواحي المدن وأكثرهم نفوذا قائد
فحص مدينةالجزائر الذي ينفذ الأحكام الصادرة عن الداى، ويتم ذلك خارج خارج باب
عزون ومن مهامه أيضا، الحراسة وخاصة حراسة الليل ويساعده في ذلك الشاوش.

قائد العشور : مهمته جباية ومراقبة الضرائب العينية في الأوطان.

قائد العيون : مهمته مصالح المياه تحت مراقبة شيخ البلد، وكذلك حراسة
القنوات، والسبالات بمساعدة وكيل الحرفين والشاوش.

قيادة مخزن الزرع أو مقتصد الغذاء : مهمته إحصاء الأراضي المزروعة، ونقوم
العشور بمساعدة قائد العشور هذا بالإضافة الى إشرافه المباشر على مخازن الحبوب،
التي تعود للدولة بمساعدة قائد العشور لكل أوطن.

فائد الرحبة : مهمته تكمن في سوق الحبوب وجباية حقوق البايليك المفروضة على الحبوب التي يؤتى بها لتباع في الأسواق.

فائد الجلد : مهمته التحكم في المصلحة التي تحتكر جلود البايليك.

فائد الفحم : مهمته جباية الحقوق المفروضة على كل حمولة فحم تدخل المدينة.

فائد التوت أو خوجة التوت : يتلقون سنويا الحقوق على أشجار التوت في الفحوص.

ولكي ينسق القياد نشاطتهم، كانوا يعقدون إجتماعات دورية لم يكن هؤلاء القياد في مأمن عن تعاطي الرشوة حيث تشتري بعض القبائل حمايتهم وسكوتهم فيما يخص الضرائب، ونظرا لقوة سلطتهم هذه كانوا يقومون ببعض التجاوزات⁵⁹.

الحكام يلعبون في الوسط الحضري الدور الذي يلعبه القائد في القبيلة (ويلقبون بلقب القياد، في مدن وفحوص البليدة القليعة وشرشال، ويقول بوايه أن حاكمي للبيدة، وشرشال كانا أقل شأنًا من حكام مليانة، وبالأخص حاكم مدينة المدينة الذي كان يتمتع بنوع من الاستقلال⁶⁰، في حين يرى سعيدوني أن حاكمي البليدة وشرشال كانا أكثر شهرة، ولهذا حاكم شرشال قد لقب بالقائد وكلف بقيادة قبيلة بني مناصر⁶¹.

مهام الحكام تتضمن مراقبة سكان المدن، جباية المكوس الحضرية، وكان السكان منظمين على شكل طوائف، وعلى رأسها الأمناء، أو الأمين، هناك طوائف مهنية وطوائف عرقية، تخص هذه الأخيرة الغرباء والأجانب..

ومن ضمن الحكام الوارد أسمائهم في الأرشيف ودائما حسب سعيدوني مايلي:
إسماعيل 1797 1801، حسين خوجة، 1824 1825 وسدي مصطفى شاوش
الانكشاري، 1827، حاكم البليدة علال بن محي الدين بعد 1830، حاكم القليعة،
رعيسى ومصطفى حكام شرشال.

يختار الشيوخ من بين أفراد القبيلة أو الفرقة كما يرتدي الشيوخ برنوسا من الصوف الأبيض فوق برنوسهم العادي⁶². ويتولون الإشراف على شؤون القبائل، هم مسؤولون لدى القائد بصفتهم وسطاء بين هذه الأخيرة

زعماء القبيلة تختارهم القبيلة وأعيانها وبالرجوع الى آغا العرب، في بعض الأحيان ويضيف سعيدوني قائلا. يرشح لمنصب الشيخ كل من كان متميزا برجاحة عقله وحتى أخلاقه حسب مكانته وانتسابه إلى العائلات ذات النفوذ وللقيام بمهامه هذه يعتمد كليا على إحدى فروع القبيلة التي ينتسب إليها أو التي ارتبطت معه بالولاء أو التبعية، والتي أصبح بعض أفرادها يشكلون مجموعة من الفرسان، أو الأعوان المسلحين المكاحلية الذين قد يستخدمون للحد من تحرشات المتنافسين، والوقوف بجانب الشيخ في كل صراع قبلي قد يكون مضرا بنفوذه⁶³.

كما سبق وأن أشرنا، تختلف مهام الشيخ حسب طابع القبيلة وحاجاتها ومنها تمثيل القبيلة، ترؤس مجلس الأعيان، أين يتم اتخاذ القرارات بالإجماع، مهام متداخلة ومتنوعة الجوانب، الاقتصادية الاجتماعية الأمنية، ففضائية، وتتمثل في تقسيم الأراضي المشاعة بين العائلات إذا كانت مشاعة، مراقبة الحرث والحصاد، توزيع الأعمال على العائلات، وكل ذلك تحت رعاية القيادة حيث كانت تشكل هذه العملية القاعدة الأساسية لجباية الضرائب⁶⁴ كما يمتد نفوذه الى مأخذ المياه المخصصة للري، تخصيص المراعى، ومن مهامه أيضا تنظيم، ومراقبة الأسواق السهر على الأمن، والوثام في قبيلته ابتداء من فرض الغرامات، ودفع الضرائب حسب قدرة أهالي القبيلة، وكل شيخ حريص على توجيه ما يتحصل عليه من جبايات لمخازن البايليك، ومقابل هذه الخدمات التي يقدمها الشيوخ يتمتع بحق في الحماية والدفاع عنهم، من طرف البايليك، مثلهم مثل القيادة، حيث كانت متابعهم مشتركة، كما كان بإمكان الشيخ ان يلقب بشيخ الشيوخ من طرف آغا العرب حيث يضل

سعيدوني أن بعض الشيوخ، اكتسبوا مع الزمن مكانه لا تقل عن القيادة وسمح لهم الاتصال مباشرة مع آغا العرب دون الرجوع إلى قياد الأوطان.

كانت قبضة الأتراك في المدن أقوى بكثير من الأرياف حيث نجد هنا ما يمكن اعتباره كبداية للإدارة بالمعنى الحديث للكلمة، والذي لم يكن الا تواسلا محرفا للنظام المسدي للفترة العربية الإسلامية⁶⁵، وبالتالي كل هذا ما هو إلا نتيجة ممارسات محلية وتنظيمات معروفة قبل الفترة العثمانية، التي يظهر تأثيرها في المجال العسكري المتكون من عناصر الأجواق القادمة من الاناضول، الذي يجدد عناصره بصفة دورية، وبالتالي لم يدخل الأتراك في تصورهم في الميدان البلدي الذي يمس التجمعات الريفية الذي بقي على حاله.

كان التنظيم العقلاني الإداري لدار السلطان معقولا وبسيطا حيث يفرض ترتيبا بسيطا وعمليا، يحكم آغا العرب بواسطة القيادة وهؤلاء يحكمون بواسطة شيوخ القبائل⁶⁶.

الهوامش :

1- P. BOYER, l'évolution de l'Algérie médiane (ancien département d'Alger) de 1830 à 1956, Paris, PA, Maisonneuve 1960 , p 11.

2- P. BOYER, Op. cit , p 15.

3- C. BONTEMS, manuel des institutions algériennes de la domination Turque à l'indépendance, Pariât ; Ed Cujas, voll p 27.

4- L. de BAUDICOURT, la colonisation de l'Algérie. Ses éléments, Paris, le coffre, 1856. pp. 267-271

4- N. E. SAIDOUNI, l'Algérois Rurale à la fin de l'époque ottomane (1791-1830) Dar-Al-Harb-Al-Islami, Beyrouit 2001, p.260.

5- L. de BAUDICOURT, Op cit, p. 272. et P. BOYER, Op. cit , pp.15-16.

6- L. de BAUDICOURT, ,. pp. 267-271.

7- P. BOYER, Op. cit , p 16. et L. De BAUDICOURT, Op. cit, p. 271.

8- P. BOYER, Op. cit , pp.17-18.

9. سعيدوني ناصر الدين المحلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، زغوان الجمهورية التونسية. 1992، ص 260.

10- L. de BAUDICOURT, op. cit, p. 278.

11- P. BOYER, Op. cit , p 17.

12- N. E. SAIDOUNI, Op cit,

13- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p 277. et P. BOYER, op. cit , pp. 13-14.

14- LAUGIER ,de TASSY, Histoire du Royaume d'Alger et du bombardement de cette ville en 1866, description de ce Ryan et des révolutions qui y sont arrivés. AMSTERDAM, 1725, Paris, Piltan 1851, pp. 195-196.

15- P. BOYER, Op. cit , p. 15.

16- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p.276.

17- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p.278.

18. سعيدوني، ناصر الدين، المحلة التاريخية للدراسات العثمانية. زغوان الجمهورية التونسية، 1992 ص 262.

19- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p.259.

20- C. BONTEMS, Op. cit 27.

21- N. E. SAIDOUNI, pp. 360-361.

- 22- P. BOYER, Op. cit , p 18.
- 23- N. E. SAIDOUNI, Op cit, p.136. et P. BOYER, Op. cit , p 18-19.
- 24- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p 271.
- 25- N. E. SAIDOUNI, Op cit, pp.136-137.
- 26-37- N. E. SAIDOUNI, l'Algérois Rural, Op cit, pp. 131-145.
- 38- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p 258.
- 39- C. BONTEMS, Op. cit, pp. 46-47.
- 40- C. BONTEMS, Op. cit, pp. 46-47.
- 41- P. BOYER, Op. cit , p.27.
- 42-P. BOYER, Op. cit , p.27.
- 43- N. E. SAIDOUNI, Op cit, pp.127-128.
- 44- N. E. SAIDOUNI, op cit, pp.127-128.
- 45- C. BONTEMS, op. cit, p.55.
- 46- C. BONTEMS, op. cit, p.
- 47- Venture de paradis, Revue Africaine 1896, p. 55.
- 48- N. E. SAIDOUNI, Op cit, pp.128-129.
- 49- N. E. SAIDOUNI, Op cit, pp.129-130.
- 50- P. BOYER, Op. cit , pp. 271-273.
- 51- P. BOYER, Op. cit , pp. 271-273.
- 52- N. E. SAIDOUNI, op cit, p. 131.
- 53- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p. 273.
- 54- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p.272.
- 55- P. BOYER, Op. cit , p. 34.
- 56- C. BONTEMS, Op. cit, p. 48.
- 57- P. BOYER, Op. cit , p. 35.
- 58- N. E. SAIDOUNI, Op cit, pp.131-132.
- 59- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p.272-273.
- 60- P. BOYER, Op. cit , p. 35. et N. E. SAIDOUNI, op cit, p.133.
- 61- P. BOYER, Op. cit , p. 35. et N. E. SAIDOUNI, op cit, p.133.
- 62- 63- E. SAIDOUNI, Op cit, p.134.
- 64- P. BOYER, Op. cit , p. 36.
- 65- L. de BAUDICOURT, Op. cit, p.259.

المبحث الثاني : بايليك التيطري

من إعرار الأستاوة : بومشوش نعيمة

I. موقع بايلك التيطري وحدوده :

إن الوجود العثماني بالجزائر امتاز منذ البداية بتقسيم الجزائر إداريا إلى مقاطعات حتى تسهل إدارتها، لأن ما كان يهيم النظام العثماني هو حفظ النظام الداخلي وضمان تحصيل الضرائب. لذا فقد قسّمت الجزائر إلى ثلاث مقاطعات إدارية، هي : بايلك الشرق، بايلك الغرب، بايلك التيطري، بالإضافة إلى دار السلطان مقر السلطة المركزية.

وكان أسبق هذه البايليكات وأقرها إلى دار السلطان هو بايلك التيطري. فمتى تشكّل؟ وما هي التقسيمات التي حصلت فيه؟ وما هي علاقته بالسلطة المركزية نظرا لقربه من مركز الحكم في الجزائر؟ من هم أهم البايات الذين حكموه؟ وما علاقتهم بالرعية؟

سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال تناول بايلك التيطري بالدراسة. بعد استقرار الأخوين عروج¹ وخير الدين² بالجزائر اقتسما المنطقة التابعة لهما إداريا، فكانت المنطقة الشرقية لخير الدين والغربية لعروج، ثم استقر خير الدين في مدينة دلس مع جماعة من غزاته، وعيّن على كل موضع من منطقتيه نائبا ينوب عنه في حكمها، فكان عدد نوابه أربعة³. وهذا ما شكل نواة للإدارة العثمانية فيما بعد. وعند التحاق الجزائر بالدولة العثمانية وتعيين خير الدين ببروس بايلر بايا، ومدّه بألفي جندي انكشاري. حصّن بعض المناطق الداخلية ثم قسّمت الجزائر إداريا إلى ثلاثة بياليك هي : بايلك الشرق، بايلك الغرب⁴، وبايلك التيطري، إضافة إلى المنطقة القريبة من مركز الحكم والتي سمّيت "بدار السلطان".

ويعتبر بايلك التيطري، الذي نحن بصدد دراسته، أصغر البياليك وأفقرها وأكثرها ارتباطا بالسلطة المركزية⁵. يحدّه من الشمال الجزائر، ومن الشرق الزاب، ومن الجنوب بلد الجريد، ومن الغرب معسكر. مساحته من الشمال إلى الجنوب 70 فرسخا⁶ ومن الشرق إلى الغرب 40 فرسخا⁷. وما يمكن ملاحظته حول هذا البياليك هو عدم وضوح حدوده الجنوبية، إذ توجد به من الشمال إلى الجنوب سلسلة من الجبال تحمل الأسماء التالية: زكار سحاري، زاغوس، تجتمع في الشمال في جبال الأطلس التلي، وفي الجنوب جبال الأغواط⁸. كما أن حدوده لم تكن ثابتة بل خضعت لتغيرات خلال فترة الثلاثة قرون.

نظّم بايلك التيطري تحت حكم حسن باشا بن خير الدين⁹، وحمل هذه التسمية¹⁰ منذ ذلك الوقت¹¹، وكانت حتى 1770 قبائل سباو ويسر ما تزال تتبع بايات التيطري الذين كانوا يقيمون بالتداول بين المدينة وبرج سباو، غير أنه ابتداء من 1775 تغيّر الوضع وأصبحت قبائل سباو التي تشمل يسر والحشنة تتبع مباشرة آغا الجزائر، وأصبح مقر باي التيطري هائيا هو المدينة¹²، ثم أنقص من هذا البياليك كذلك تابلاط والبويرة والأخضرية¹³.

II. النظام الإداري لبايلك التيطري:

كان بايلك التيطري ينقسم إلى أربع قيادات هي:

أ. قيادات تل الظهر اوي : ويشمل سبعة أوطان :

- حسين بن علي : وهي قبيلة ليست لها أصول متجانسة، نشأت من هجرات متتالية لأجزاء من مختلف القبائل، وتشكل هذه القبيلة ستة أجزاء هي : أولاد ملال، أولاد فرقان، أولاد طريف، أولاد براهيم، أولاد معيزة، والعزابة¹⁴.

- هوارة : وهي قبيلة تقع على 8 كلم إلى الجنوب من المدينة، وتشمل حوض الوطا، أولاد سعود، أولاد عمران، المناصرة¹⁵.

- وزرة : وتقع إلى الشمال من حسن بن علي، وامري، ريغة، حنانشة، بني بويعقوب، غريب¹⁶.

ب. قيادات تل القبلية : ويشمل قبائل:

- أولاد دايد العبيد والدواير وأولاد هلم وبني حسن وأولاد سيد أحمد بن يوسف والربعية وأولاد علان والطيّري والسواري وأولاد معرف، الدهيمات والمفاتحة وأولاد حمزة.

ج. قيادات الديرية : وتضم أولاد دريس، أولاد بركة، أولاد فريجة، أولاد بوعرّيف، أولاد مريم، عداورة، بني عقبة، أولاد سليم، أولاد عبد الله، أولاد علوش، مغراوة، أولاد علي بن داود، أولاد سيدي عيسى، أولاد موسى، أولاد سيدي عمر، جواب، أولاد نهار.

د. قيادات الجنوب : وتشمل: رحمان، الزناخرة، عبادلية، ميادات الشراقة والغزابة، أولاد مختار، عبايز، أولاد سيدي أحمد، رشيفة، أولاد سيدي عيسى (سواقي، الورك والهداب)، السحاري، أولاد شايب، بني بوعيش، عزيز، أولاد نايل، حرازية، لربعة¹⁷.

1. أنواع القبائل:

وكانت قبائل بايلك التيطري تنقسم إلى قبائل الرعية، قبائل المخزن، القبائل الحليفة والقبائل المستقلة.

أ. قبائل العزل أو الرعية : يبدو أن في بداية تنظيم البايك كانت كل القبائل تتبع مباشرة باي المدينة، غير أن حكام الجزائر بالإدارة المركزية وخشية منهم من

فكرة الاستقلالية لدى البايات نزعوا بعض قبائل البايك وجعلوا منها قبائل رعية¹⁸ وأصبح يحكمها شيخ العرب تحت سلطة خوجة الخيل، وكان على هذه القبائل عدد من الأعباء، فقد كانت تقدّم الخماسين لزراعة مزارع عين الدم، عمورية، وراس الواد، التي كانت تستغل لصالح الباشا، كما كان عليها نقل الحبوب المزروعة في هذه الأراضي إلى الجزائر، وكان على كل قبيلة من قبائل عزل التيطري تقديم حتى 25 جملا والرعاة الذين يهتمون بهم¹⁹.

وكانت قبائل عزل التيطري تتمثل فيما يلي:

- حسن بن علي وما تضمّه من أولاد فرقان، عزابة، أولاد ابراهيم، أولاد ملال، أولاد طريف، أولاد معيزة (مراشدة).

- وزرة بني عيش.

- هواره.

- ربيعة.

- حنانشة.

- وامري.

- مدالة وبني بوعقوب.

- أولاد سيدي ناجي وأولاد دايد.

- أولاد هلم.

- بني حسن.

- الربعية.

- أولاد معرف.

- 19 - أولاد حمزة.
- مفاتيح.
- تيطري - سوارى.
- أولاد علان زكري وأولاد علان بشيش.
- أولاد فرحة.
- أولاد بركة.
- أولاد بوعرىف.
- أولاد مريم.
- جواب.
- قصر الشلالة²⁰.

ب. قبائل المخزن :

كانت هذه القبائل همزة وصل بين الحاكم والمحكوم، وكانت تضطلع بمهام إدارية وأخرى عسكرية، فهي عبارة عن تجمعات سكانية اصطناعية متميزة في أصولها مختلفة في أعراقها، فمنها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجد عليها لتكون سندا لهم، ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة، لتؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية²¹. وتمثل بالنسبة لبايلك التيطري في :

- مخزن الدواير.
- زمول العبيد.

- صبايحية التيطري.

- معاقيف وأولاد سيدي عامر.

- أولاد بوعيش.

- أولاد شايب²².

ويمكن التعرف على القوة الاحتياطية لقبائل المخزن من خلال عدد الفرسان الذين يستطيع المخزن تقديمهم عند الحاجة. فقبيلتا الدواير والعييد للتيطري تستطيع أن تساهم بـ 1200 محارب، إضافة إلى 600 فارس، تشارك بهم القبيلتان في الأوقات العادية لحفظ الأمن وجمع الضرائب وحراسة الطرق ومعاينة الجناة²³. هذا بالنسبة للمخازنية المقاتلين، أما بالنسبة للذين يشكلون الذراع المساعدة للأتراك من جباة الضرائب، فيتمثلون في قبائل غريب وبني راشد التابعين لخوجة الخيل وبلاد معمورة، وهي إقطاع لخوجة الخيل والزناخرة، وهم كذلك مختصين في الزراعة ومواشي الداوي والأراضي التابعة لقبيلتي عزيز وسلامات²⁴.

ج. القبائل التابعة والحليفة :

وتعتبر مناطق حاجزة بين منطقة الرعية والقبائل المستقلة ومنها:

- زاوية أولاد سيدي أحمد بن يوسف وأولاد سيدي الحضرة، وكانت تابعة

مباشرة للجزائر.

- قصر وزاوية سيدي البخاري التابعة مباشرة للجزائر.

- مشيخة أولاد سيدي عبد الله.

- أولاد سيدي عيسى وهو موقع للمرابطين.

- أولاد سيدي هجرس.

- أولاد علي بن داود.
- أولاد سيدي عيسى أو مرابطي سور الجواب.
- أولاد سي عامر.
- أولاد سلامات.
- مشيخة أولاد مختار.
- أولاد سيدي عيسى (سواقي والورك).
- أولاد سيدي أحمد الرشايع أو أولاد أحمد بن عيسى²⁵.

د. القبائل المستقلة :

رغم هذا التنظيم الذي وضعته الإدارة التركية وحاولت تطبيقه بصرامة، إلا أن هناك قبائل بقيت خارجة عن السلطة التركية، وهي القبائل المستقلة التي لم تكن تتبع الإدارة التركية، غير أنها كانت بحيرة على دفع ضريبة لممارسة التجارة في المدن والأسواق التابعة للمخزن²⁶، وتمثل القبائل المستقلة بالنسبة لبابك التيطري في:

- أولاد دريس.
- لعذاورة.
- أولاد سيدي عيسى العذب.
- عزير.
- سحاري لعطايا.
- أولاد نايل.
- بني لغواط.

- مجموعة الأربعاء.
- مجموعة المزاب.
- مجموعة الشعانية.
- ورقلة.
- مخادمة أو سعيد مخادمة.
- ناقوسة وسعيد عتبة²⁷.

2. موظفو إدارة البايلك :

كان هدف السلطة التركية بالجزائر مزدوجا، يتمثل في جمع الضرائب وملء خزائن الدولة من جهة، ومن جهة أخرى تفادي وقوع الثورات أو حتى الصراعات بين القبائل، لأن ذلك قد يعصف بالوجود التركي. ولتحقيق هذه الأهداف اعتمد البايلك على جهاز إداري يقوم على مجموعة من الموظفين غايتهم تحقيق الأهداف المتوخاة، وهم :

أ. الباي : كان على رأس بايلك التيطري على غرار بقية البايلك باي يساعده في أداء مهامه مجموعة من الموظفين المحليين، يتكون منهم ديوان البايلك الذي هو صورة مصغرة لديوان الداى بدار السلطان من حيث تنظيماته الإدارية وصلاحياته المالية واختصاصاته الاقتصادية والاجتماعية، مع وجود اختلافات خاصة في كل بايلك²⁸. والباي غالبا ما يكون مقربا من بعض الموظفين الكبار ويحظى بسمعة في مجلس الديوان، أو يكون قد شغل منصب خليفة الباي الذي سبقه²⁹. ويمتاز الباي عادة بامتلاك سلطات مطلقة ضمن حدود البايلك الترابية بتفويض من الداى، وعليه في المقابل الالتزام بالحضور إلى دار السلطان مرة كل ثلاث سنوات لتقدم فروض الطاعة والهدايا والدنوش*، كما عليه أيضا استشارة أعضاء الديوان المحلي والقبول

بوجود قائد عسكري (آغا الدائرة) على رأس الحامية بالبايلك يتلقى الأوامر من داي الجزائر³⁰، غير أن الشيء الذي ينفرد به باي التيطري هو أن صلاحياته كانت محدّدة، إذ وضع له الداي من يتقاسم معه السلطة وهو الحاكم الذي يعينه الداي للإشراف على مدينة المدية. وقد أدى هذا إلى الإنقاص من سلطته والحد من نفوذه. وكان هذا الحاكم يتبع مباشرة الديوان، مركز الحكم بالجزائر³¹، ويقود جماعة الزبنتوط ويراقب فرض الضرائب على الأوطان المجاورة، وكان غالبا واسطة بين الداي والباي³²، وهذا ما أدى بـ "رين (Rinn)" إلى القول بأن باي التيطري أقل سلطة من بقية البايات رغم منصبه وعسكره وأعلامه السبعة³³، وقد يكون هذا التضييق على باي التيطري راجعا لحيوية هذا البايك وقربه من دار السلطان، وبالتالي فإن أي تمرد يشكل خطرا على السلطة المركزية.

أما عن مهام الباي فتتمثل في المحافظة على الأمن وإقرار الهدوء وتغادي عصيان القبائل بالأرياف، بعقد التحالفات مع القبائل والقياد وفرسان المخزن الموجودين بالمناطق الاستراتيجية، أو باستعمال القوة العسكرية³⁴. كما أن على الباي دفع أجور الحاميات العسكرية الموجودة بالبايلك والاهتمام بالمنشآت العمرانية: كترميم الأسوار وبناء الثكنات وتأمين المواصلات والاعتناء بالأبراج والحصون والمراكز الاستراتيجية³⁵. وكان الباي يعين لمدة ثلاث سنوات، لكن يمكن تمديد فترة حكمه إذا عرف البايك في عهده استقرارا وحصل على مردود جيد³⁶. ولعل أهم ما يشفع له لدى الداي هو قيمة الدنوش التي يقدمها. وقد كان هؤلاء البايات أترাকা غالبا وكراغلة استثناء³⁷، يساعدهم في مهامهم مجموعة من الموظفين يشكلون ديوان البايك، وهم:

ب. الخليفة: يساعد باي التيطري في مهامه، وهو يختاره بنفسه، غير أنه يعين من طرف الحكومة المركزية، وينوب عن الباي في الحضور إلى الجزائر لتقديم العوائد والدنوش الصغرى مرتين في السنة (في الربيع والخريف)³⁸. كما يخوّل له الاتصال بقياد البايك وبعض رؤساء العشائر مفوضا من قبل الباي لجمي الضرائب.

ومن صلاحياته إقرار الهدوء وفرض نفوذ السلطة خارج مراكز البايلك، وبالتالي كان عليه التصرف في شؤون الأوطان³⁹. وكان خليفة باي التيطري يملك عزل قبيلة الربعية، ويعود إليه ثلثا ضريبتها، إضافة إلى كل الغرامات التي كان يدفعها من تفرض عليه في البايلك⁴⁰.

ج. الخزناجي: كان يعين من طرف الباي، ومهمته حفظ خزينة الباي، وبذلك يتكفل بدخل البايلك والنفقات الناتجة عن النشاطات الاقتصادية والمالية⁴¹. ويساعده في عمله خوجة يرأس أمانته وثلاثة محاسبين أو سايحي يُختارون عادة من اليهود⁴².

د. خوجة الخيل: وهو قائد فرسان العرب التابعين لسلطات البايلك، ثم توسعت صلاحياته إلى أن أصبح يتحكم في كل الفرق العسكرية، فنعت بالباش آغا، وأوكل إليه أمر مراقبة الباي وكتابة تقارير عنه للداي، كما كان يشرف على تنصيب البايات وتنفيذ أوامر العزل الصادرة ضدهم، وكان عليه أن يتولى إدارة البايلك بصفة مؤقتة في انتظار وصول الباي الجديد إلى منصبه⁴³.

هـ. شيخ البلد: يهتم بأمور السكان ويحافظ على أملاك الدولة الواقعة داخل أسوار المدينة، كما يتصرف في مرتبات الجيش، ويخضع لأوامره قائد الباب المكلف بمراقبة عوائد ومداخيل حقوق الكراء داخل المدينة⁴⁴.

و. السباش كاتب: وهو مكلف بكتابة رسائل الباي ويحتفظ بمدخرات البايلك المالية وسجلاته العقارية، ويقوم بذلك عادة بطلب من الخزناجي.

ز. السباش سيار: وهو مكلف بمراقبة اصطبلات البايلك وتجهيز حصان الباي الخاص⁴⁵، ويساعده 2 سيارة يضمنون نقل الوسائل وينقلون الأخبار التي يأخذونها من وكلاء الباي الذين كانوا في الجزائر والذين كانوا يختبئون تحت مهمة صيانة أملاك الباي، لكنهم في الحقيقة يخبرون الباي عن مؤامرات الديوان⁴⁶.

ص. الباش مكاحلية : يتصرف في فرق مكاحلية الباي الخاصة أي كوكبة الجند المزودة بالبنادق.

إضافة إلى هؤلاء الموظفين الذين يشكلون أعضاء ديوان البايك هنالك موظفون آخرون مثل قياد البايك، وقياد المدن وجماعة الشواش وحاملي اللواء والموسيقين⁴⁷. كما أن هناك أعيانا آخرين لديهم مهام عسكرية مثل "المهور باشا" المشرف على النقل، "الصبايحية" الذين كانوا من أصل تركي ويشكلون في نفس الوقت قوة عسكرية قوية واحتياطي للموظفين الإداريين وعددهم خمسون فردا، والحرس الخاص للباي يدعون مكاحلية وعددهم خمسة عشر كانوا يستعملون لنقل الوسائل وللقيام بالاعتقالات⁴⁸. كما أن هناك قيادا مرتبطين بالخدمات الخاصة بمرکز البايك، مثل "قائد المقصورة" وهو حاجب الباي، "قائد الجبيرة" وهو حامل محفظة الباي، "قائد السبسي" وهو حامل غليون الباي، "قائد الطاسة" وهو مكلف بحمل آنية مشروبات الباي، "قائد الدريبة" وهو حارس باب القصر الرئيسي، والباش فراش والباش قهواجي⁴⁹.

ع. الحاكم: يتمتع باستقلال ذاتي، لم يكن تابعا إلا للجزائر، وكانت تستعمله الإدارة المركزية للحد من صلاحيات باي التيطري، وكان واسطة بين الداوي والباي، يقود جماعة "الزبنطوط"، يراقب سكان الحواضر ويحجي الضرائب في المدن⁵⁰.

بمذا الطاقم الإداري الهام تمكن بايات التيطري من حكم البايك بصرامة لما يقارب الثلاثة قرون، وتسيير شؤون الإدارة بما يخدم مصالح البايك. غير أن هذا لم يكن بدون توفر عامل هام لعب دورا أساسيا في حياة البايك ألا وهو العامل العسكري.

3. الجيش المعتمد :

كانت القوة العسكرية التي يملكها الباي تتشكل من الزبنطوط والمحازنية :

فالزبنطوط هم إنكشارية كانوا أترাকা، لكن عندما شحّ عدد القادمين من الأناضول أدخل الكراغلة، ويتراوح عددهم بين 120 و230 فردا، أما الكبار منهم والذين تزوجوا فكانوا يشكلون احتياطيا يصل إلى 400 فرد يقيمون في المدينة⁵¹.

أما المخازنية فهناك قبيلتين بالنسبة لبايك التيطري، وهما العبيد والدواير، وهم يشكلون قوة من 600 فارس دائمي الاستعداد لخدمة السلطة التي تستعملهم في ضمان أمن الطرقات وحماية الضرائب وقمع القبائل الثائرة.

وإضافة إلى كل هؤلاء كان يمكن للباي الاعتماد على القوة العسكرية لأولاد مختار الذين كانوا يقدمون كتيبة، كما كان الباي يأخذ من قبائل الرعية أثناء الحملات الكبرى كتائب مسلحة تدعى خطأ مخزن.

إذن فالقوة التي كان يستعملها باي التيطري لضمان الأمن وحماية الضرائب تتمثل في:

50 صبايحي.

15 مكاحلي.

120 زبنطوط.

7 علامة (حاملو الأعلام الذين يعملون كدليل).

600 فارس مخزني.

150 فارس من أولاد مختار.

كتيبة من الرعايا قلما تتجاوز 1000 رجل.

ويضاف إلى هؤلاء أثناء الحملات أو "المحلات" 270 زبنطوط من الجزائر،

إضافة إلى زبنطوط سابقين لحاكم المدينة عددهم 300 تقريبا.

إذن بواسطة 2000 رجل يتمكن الباي من فرض سيطرته على البايك⁵².

III. أهم البايات وعلاقتهم بالأهالي :

لم يتفق المؤرخون على عدد البايات الذين تداولوا على باييك التيطري منذ تنظيمه الأول في 1548 حتى تقسيمه وإعادة تنظيمه في 1775، ففي حين يذكر بعضهم ثمانية عشر بايا⁵³ يذكر آخرون ثلاثة وثلاثين بايا⁵⁴، ويبدو أنه لم يُعرف كل البايات، إذ نلاحظ حسب القائمة التي قدمها أوكايتان وفيدرمان (Aucapitaine et Federman) فجوات تصل إلى ما يقارب القرن، فمثلا بين رجب باي 1548 والباي شعبان 1633 هناك فجوة تصل إلى 85 سنة، لا نملك معلومات عن البايات الذين حكموا خلالها⁵⁵، غير أن فراعون (Pharaon) يملأ هذا الفراغ، لكنه لا يتفق تماما مع المؤرخين السابقين فيما يخص البايات الذين حكموا ابتداء من 1775، مما يصعب وضع قائمة لبايات التيطري. وقد حاولت ذلك بالاعتماد على المؤرخين المذكورين آنفا، إضافة إلى مؤلف مجهول عمل كاتباً عند باي التيطري في الفترة ما بين 1775 و1805 قام فيرو (Feraud) بترجمة عمله. وتما يلاحظ عليه ذكره لتواريخ دقيقة عن تولي البايات وعزلهم خلال الفترة المذكورة⁵⁶.

وفيما يلي القائمة :

- رجب باي 1548.

- يحي باي 1568.

- رمضان باشا 1575.

- مصطفى باي 1580.

- مراد باي 1583.

- محمود باي 1584. ⁵⁶ ١٥٤١ زيلا بالمتد -
- قايد الحسن 1585. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- جعفر باي 1591. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- قايد الجيش (كنا) 1593. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- فرحات باي 1615. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- القايد يوسف 1619. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- شعبان باي 1633. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- محمد باي 1650. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- فرحات باي 1663 ⁵⁷. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- إسماعيل باشا 1670. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- أبو محمد حسن باشا 1687. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- محمد باي 1692. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- حسين باي 1706. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- هو باي 1716. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- سليمان باي 1728. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- عثمان باي 1734. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- علي باي 1744. ١٥٤١ زيلا بهارا -
- محمد باي 1746 ⁵⁸. ١٥٤١ زيلا بهارا -

- عثمان باي 1757⁵⁹
- ابراهيم باي 1759
- الحاج علي باي 1760⁶⁰
- يحيى باي 1762
- عثمان باي 1763
- دارم باي
- علي باي الجنوي 1766
- إسماعيل باي 1767
- مامرلي
- صوفتا 1775
- مصطفى بن سليمان الوزناحي 1775
- محمد فريرة المدعو الدباح 1794⁶¹
- الحاج ابراهيم البورصالي 1794
- ابراهيم التلمساني 1799
- الباي حسن 1801⁶²
- محمد المدفعي 1801
- إسماعيل باي 1809
- جعفر باي 1813

- ابراهيم صهر بن الحاج خليل 1815.

- ابراهيم القسنطيني 1817.

- الباي مصطفى الملياني 1819.

- الباي مصطفى بومزراق 1819.

وتعتبر الفترة مائين تنظيم بايلك 1548 وإعادة تنظيمه في 1775 غامضة، إذ لا نعرف عن نشاطات البايات الذين حكموا خلالها أي شيء، ولا تتضح الأمور نسبيا إلا في عهد الباي عثمان الذي حكم في 1734 والباي صوفتا آخر البايات الذين أقاموا في برج سباو والمدينة. فقد كان الباي عثمان ضحية الحملة التي قادها ضد أولاد سيد أحمد أحد فروع أولاد نايل، إذ ألقى عليه القبض وقتل⁶³. أما الباي صوفتا ففي عهده ثارت قبائل أولاد نايل من جديد، وكانت أراضيها تمتد بين مسيلة، بوسعادة، الأغواط والخلفة. وقد تمكنت من إلحاق الهزيمة بالباي وقتله⁶⁴. واستمرت الثورة حتى اضطرت السلطة التركية لتخفيف الضرائب على الثوار⁶⁵.

وقد يكون هذان المثالان المتعلقان بفترة ما قبل 1775 خير دليل على الوضع الداخلي ببائلك التيطري، مما اضطرت الحكام على المستوى المركزي لتثبيت عاصمة الببايلك بصفة نهائية في المدينة، بعد أن كان البايات ينتقلون بين برج سباو والمدينة، فقد اشتعلت المنطقة بالثورات من جهة قبائل سباو⁶⁶، ومن جهة أخرى قبائل الجنوب، ما صعب على البايات الحكم، وحمل الحكومة المركزية على إنقاص قبائل سباو التي تضم يسر والخشنة من بايلك التيطري، ونظمت في قيادات تابعة مباشرة لأغا الجزائر.

بعد إعادة تنظيم بايلك التيطري كان الباي مصطفى سليمان الوزناحي هو أول البايات الذين أقاموا بصفة دائمة في المدينة، وقد اختير بعناية من طرف الداى نظرا

للفوضى الشائعة وتطاول الأهالي على الحكام الأتراك، إلى حد جعلهم يثورون ويمتنعون عن دفع الضرائب. حيث كان تعيينه عام 1775 ودام حكمه 19 سنة، تمكن خلالها من فرض سلطة الدولة على هذه المناطق⁶⁷.

وقد أعاد هذا الباي تنظيم مخزني التيطري (العبيد والدواير) باعتبارهما القوة التي يحتاجها لتثبيت سلطته، وزاد من عدد جنوده العادين، واتخذ من البرواقية قاعدة عسكرية لعملياته ضد قبائل الجنوب، نظرا لموقعها الاستراتيجي الهام، وذلك عوضا عن حوض عثمان الواقع في الشمال والبعيد عن منطقة العمليات⁶⁸. واعتمد تجاه الأهالي سياسة مكنته من إعادة نفوذ السلطة، إذ عمل على كسب ثقة الأجواد بالتقرب منهم بمنحهم الهدايا، وفي المقابل ساعده هؤلاء في حملاته ضد القبائل الثائرة كأولاد سيد أحمد وأولاد عامر ثم كل فروع أولاد نايل⁶⁹.

وصادفت فترة حكمه هجوم أوريللي⁷⁰ على الجزائر، فكانت مساهمته بمعوية عشرة آلاف جندي معترة، حيث أبلوا فيها بلاء حسنا⁷¹.

أما في المجال الداخلي فبعد أن حقق استقرارا نسبيا بالبايلك عين الوزناحي بايا لقسنطينة، فذهب مع وكيل الخرج "علي" وقتل صالح باي قسنطينة وتولى مكانه⁷².

عينت السلطة المركزية محمد فريرة المدعو بـ"الدباح" بايا حديدا لبايلك التيطري، وكان خليفة الوزناحي في سبأو. ويبدو من خلال اسمه أن تاريخه كان دمويا في إدارة البايلك، وقد انتهى حكمه بعزله وحبسه وتجريده من أملاكه⁷³، وخلفه ابراهيم بورصالي⁷⁴، الذي لم يطل بقاؤه في السلطة، وعوّض بالباي حسن في ظروف فوضى كبيرة، تمثلت في رفض قبيلة موزاية دفع الضريبة وقطعها للطريق الرابط بين الجزائر والمدينة، مما استوجب إيقاف هذا التمرد لإعادة الاتصال بين مركز السلطة في الجزائر والبايلك، وقد نجح في ذلك⁷⁵.

بجلول القرن التاسع عشر زادت الحساسية بين السلطة التركية الحاكمة والجزائريين في مختلف أرجاء الجزائر. ففي عهد الباي حسن ظهرت ثورة درقاوة بالمنطقة الغربية للجزائر. وقد امتدت قبائل دوي حسين، مطماطة، جندل وغيرها نحو المدينة لطرد الأتراك منها، غير أن الباي تمكن من القضاء عليها بمساعدة أهل المخزن⁷⁶، وتولى بعده محمد المدفعي⁷⁷ الذي لا نملك معلومات عن حكمه، ثم خلفه إسماعيل باي.

لقد صادف عهد الباي إسماعيل فترة فوضى كبيرة في البايك، بدأت بثورة أولاد نابل، وعندما سار إليهم الباي انسحبوا، مما اضطره للعودة بدون غنائم، وهذا ما أغضب أهل المخزن، وكاد الأمر يصبح خطيرا لولا مقابلة الباي للشيخ النعمي بن زيدان من أولاد خليف، والذي أشار عليه بمهاجمة بني لنن التابعين لبايالك الغرب، وقد وفق الباي إسماعيل وحليفه في حملته هذه وعاد بغنائم كثيرة، غير أنه تسبب في سوء العلاقة بينه وبين باي الغرب بوكابوس⁷⁸.

ومن الثورات التي كادت تعصف بالوجود العثماني بهذا البايك ثورة قبائل عريب بقيادة رابع بن طالب، فقد كانت قبائل قايدة الديرة التابعة لباي التيطري تتصارع مع عريب وبني سليمان التابعين لأغا الجزائر حول أراضي قرية من وادي حنان، ولما لم يفصل الديوان في هذا الأمر حاول الجميع حل المسألة بالقوة، فنشب صراع مسلح بين الجانبين على أراضي العداورة الذين انضم بعضهم لأحد المتصارعين وبعضهم للطرف الآخر، واضطرت عريب وبني سليمان للانسحاب من الأراضي المتنازع عليها.

ثم مرّت قبائل عريب إلى مرحلة خطيرة في تاريخ العلاقة بين الإدارة التركية والأهالي، تمثلت في اختيارهم رابع بن طالب قائدا عليهم، وانتقال صراعهم الذي كان سابقا صراع قبائل إلى حرب حقيقية اتخذت صبغة سياسية، فقد تمكن رابع بن

طالب من جمع قبائل متيجة والتل حتى الصحراء، وبواسطة أكثر من 8000 فارس هاجم قبائل الديرة، التي سحقها، ثم هاجم برج سور الغزلان ونهبه وطرد الحامية التركية⁷⁹.

هذا الأمر أقلق الإدارة التركية في الجزائر، مما جعل الداوي يأمر الباوي بوكابوس بمعاينة قبائل عريب، فسار ضدهم وهزمهم وقتل قائدهم⁸⁰.

وفي 1813 عين الباوي جعفر علي رأس بايلك التيطري، وفي عهده استمرت السياسة التركية الرامية لتغذية الصراعات القبلية ضمانا لبقاء النفوذ التركي. ففي قبيلة العمامرة كان صفان يتصارعان حول قيادة الأربعاء، أحدهما كان يمثل بن شهرة بن فرحات الذي كانت له القيادة مع الباوي الجديد، وسليمان بن أحمد صوفا طابرة⁸¹، كما قام هذا الباوي بحملة ضد أولاد ماضي التابعين لبايلك الشرق، غير أنه انهزم فيها شر هزيمة، وكلفه هذا التطاول حياته، إذ أرسلت إليه الإدارة المركزية الحاكم الذي أعدمه⁸².

ثم عين إبراهيم صهر الحاج خليل مكان الباوي المعدم، ودام حكمه سنتين، قام خلالها بحملة ضد أولاد نايل الثائرين، بمساعدة قبائل المخزن من عبيد ودواير وحلفائه من أولاد مختار، ثم خلفه في الفترة ما بين 1817 و1819 إبراهيم القسنطيني، الذي شن حملات متعددة على القبائل النائرة بالجنوب وقمعها بطريقة دموية، ثم عينت الحكومة المركزية الباوي مصطفى الذي ترك منصبه بعد ستة أشهر من شغله وانعزل في زاوية سيدي محمد بن عيسى⁸³.

ومن خلال قصر فترات حكم البايات يبرز لنا عدم استقرار الحكم التركي بهذا الباييلك، إذ الفوضى عارمة والحكومة المركزية تحاول الحصول على الهدوء في هذه المنطقة الحساسة القريبة من مقر السلطة المركزية، لذا كانت هذه الأخيرة تغير البايات عيسى أن يتمكن أحدهم من تهدئة الوضع، غير أن هذا لم يحصل إلى أن جاء الباوي بومزراق.

حكم السباي بومزراق بايلك التيطري من 1819 إلى 1830 وقد اتبع سياسة
حكيمة في كسب ثقة الأغلبية، فإلى جانب الحملات السريعة والمكثفة انتهج سياسة
رشيدة تمثلت في منح الهدايا، وهذا ما جعل فروعا عديدة من أولاد نايل وبوعيش
وأولاد شايب الذين لم تتمكن الحملات من إخضاعهم يجنحون للسلم ويخضعون له.
واعتبارا من هذه الفترة أصبح أولاد بوعيش وأولاد شايب وأولاد نايل تابعين مباشرة
لآغا الجزائر، ولم يعودوا تابعين لباي التيطري، وعين حسن القريتلي قائدا لأولاد
نايل مكلفا بتقديم الضرائب المفروضة على أولاد نايل مرتين في السنة⁸⁴.

الهوامش:

1. عروج : مجاهد بدأ حياته البحرية في الحوض الشرقي للمتوسط، حيث اتخذ من حلق الوادي قاعدة أساسية له، وجرية قاعدة ثانوية بالإتفاق مع الحاكم الحفصي مقابل خمس الغنائم. وقد ركز نشاطه في المتوسط الغربي وضد السواحل الإسبانية. حاول تحرير بجاية بطلب من أهلها مرتين غير أنه لم يفلح، فاستقر في حيحل القريبة منها، حيث وصله نداء أهل مدينة الجزائر لمساعدتهم في تحرير حصن البنيون، فالتحق بهم لكنه أخفق في ذلك. وقد استولى على مدن عديدة قبل أن يذهب إلى تلمسان التي ناداه أهلها لمساعدتهم ضد حاكمها المتعامل مع الإسبان، غير أنه لقي مصرعه هناك في 1518. أنظر لمعلومات أوفر :

مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تحقيق نور الدين عبد القادر، ط 1، الجزائر 1984،
كذلك Le tourneau. R, Arudj, E, 1.2, T1, P 698.

2. خير الدين (1466-1546) : بحار مشهور وأمير الأسطول العثماني، بدأ نشاطه بنقل البضائع على متن سفينة إلى صاروس، سالونيك ونيقرايون ثم التحق بالحوض الغربي للمتوسط مع أخيه عروج. وبعد وفاة هذا الأخير واجه خير الدين مع الجزائريين حملة إسبانية كبيرة قادها هيغو دو منكاد فانتصروا عليه، لكن تزايد الخطر الخارجي جعل الجزائريين ينضمون للدولة العثمانية. فعين السلطان خير الدين بايلر بايا على الجزائر. حيث سعى لتقوية بحريتها. وفي 1533 استدعاه السلطان العثماني إلى اسطنبول وكلفه بقيادة الأسطول العثماني، توفي في 1546. لمعلومات أوفر أنظر: الغزوات؛

Ekrem. R, la vie de Kheireddine Barbarousse, 2^{ème} edit, Gallimard, Paris 1931

3. الغزوات، ص 31.

4. يرجع بعض المؤرخين أن هذا البايك هو الأول الذي استحدث من طرف السلطة العثمانية أسوة بما كان موجودا لدى الزيانيين. أنظر:

Boyer. P, "Beys et Beyliks", in atti del I congresso internazionale de studi nord
africain, Cagliari, 1965, P 165.

5. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800 - 1830)، الجزائر، ش.و.
ن، 1979، ص 30.

6. الفرسخ : يبلغ 4 كيلومترات تقريبا، أنظر المنهل، ص 614.

7. Shaw. voyage dans la regence d'alger. Trad de langlais par J.Mac.Carthy. Tunis. ed Bouslama, s.d, P 316.

8. Ibidem.

9. حسن بن خير الدين : ابن خير الدين بربروس، من أم جزائرية، تقلد حكم الجزائر ثلاث مرات 1544 – 1547. عين بايلر بايا للجزائر، حكم لفترة ثانية من 1557 إلى 1561 ثم المرة الثالثة 1562 إلى 1567.

10. يبدو أن هذه التسمية تعود لقبيلة التيطري التي أخذ اسمها كل الأقاليم والتي تعني بارد أو محمّد. انظر:

Shaw, Op.cit, P 318.

11- Aucapitaine. B et Federmann,"notice sur l'histoire et l'administration du Beylak de Titter", in R.A, T9, 1865, P 282.

12- Ibid, PP 282- 283.

13- Boyer.P, evolution de l'Algerie mediane (Ancien departement d'Alger de 1830 a 1965). Paris, librairie d'Amerique et d'Orient, 1960. P 21

14- Pharaon. F, "Notice sur les tribus de la subdivision de Medea", in R.A, T2, 1857- 1858, P 47.

15- Pharaon. F, Op.cit, T1, 1856- 1857, PP 393-395.

16- Rinn. L, Le royaume d'Alger sous le dernier dey, in R.A, T41, 1897, PP 136- 137.

17- Aucapitaine. B et Federmann.H, op.cit, T11, 1867, PP 113- 114.

18- Ibid, P 144.

19- Ibid, P 115.

20- Rinn. L, Op.cit, PP 343-344.

21. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسية وأبحاث في تاريخ الجزائر. العهد العثماني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 97.

22. Rinn. L, Op.cit, PP 339-340.

23. سعيدوني ناصر الدين، سبق ذكره، ص 102.

24- Rinn. L, Op.cit, PP 341-342.

25- Ibid, P344-346.

26- Ibid, P 124.

27- Ibid, P 346-348.

28. سعيدوني ناصر الدين، سبق ذكره، ص 241.
29. سعيدوني ناصر الدين، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، الجزائر م. و. ك. 1984، ص 20.
30. سعيدوني ناصر الدين، ورقات، ص 241 – 241.
- 31- Rinn. L, Op.cit, P 135.
- 32- Boyer. P, evolution... Op.cit, P 36.
- 33- Rinn. L, Op.cit, P 135.
34. سعيدوني ن، ورقات، ص 242.
35. نفس المرجع.
- 36- Boyer. P, evolution... op.cit, P 27.
- 37- Ibidem.
- 38- Ibidem.
39. سعيدوني ن، ورقات، ص 243.
- 40- Boyer. P, evolution... Op.cit, P 27, Aucapitaine. B et Federmann. H, op.cit, P 294.
- 41- Boyer. P, evolution... Op.cit, P 28.
- 42- Ibidem.
43. سعيدوني ن، ورقات، ص 244.
44. نفس المرجع.
45. نفس المرجع، ص 245.
- 46- Boyer. P, evolution... Op.cit, P 29-30.
47. سعيدوني ن، ورقات، ص 245.
- 48- Boyer. P, evolution... Op.cit, P 30.
- 49- سعيدوني ن، ورقات، ص 246.
- 50- Boyer. P, evolution... Op.cit, P 36.
- 51- Ibid, P 30.
- 52- Ibid, PP 30-31.
- 53- Aucapitaine. B, et Federmann.H, Op.cit, T9, 1865, P 286.

54- Pharaon. F, Op.cit, T2, 1857- 1858, P 302.

55- Aucapitaine. B et Federmann.H, Op.cit, 1865, P 285.

56- Feraud. Ch, Ephémerides dun secretaire officiel sous la domination turque a Alger de 1775 a 1805 in R.A, T18, 1874.

57. يذكره أو كابتان وفيدرمان ولا يذكره فراعون.

58. بينما يذكر فيدرمان سنة توليه الحكم 1746 يذكر فراعون 1753

59. يذكره فراعون فقط، ولسنا ندري إن كان نفس الباي عثمان الذي ذكره في 1734 أو أنه

باي آخر.

60. بينما يذكر فراعون سنة 1766.

61. يذكر المؤلف المجهول الذي ترجم عمله فيرو أن الدباح تولى الحكم في أبريل 1792. أنظر:

Feraud. Ch, Op.cit, P 300.

62. يذكر كاتب الباي أن حسين باي عين في 11 جويلية 1796 أنظر:

Feraud. Ch, Op.cit, P 304.

63- Aucapitaine. B et Federmann. H, Op.cit, T9, 1865, P 285.

75- Aucapitaine. B et Federmann. H, Op.cit, T9, 1865, P 288- 289.

76- Ibid, P289- 290.

77- Feraud. CH, Op.cit, P307.

78- Aucapitaine. B et Federmann. H, Op.cit, T9, 1865, P 290.

79- Ibid, PP 290-291.

80- Ibid, PP 291-292.

81- Ibid, PP 293-294, 296.

82. الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 112.

83- Aucapitaine. B et Federmann. H, Op.cit, T9, 1865, PP 296- 297.

84- IBID, PP 297- 299.

المبحث الثالث : باييك قسنطينة

من إعداد الأستاذة : زكية زهرة

مقدمة :

إن الأوضاع السياسية التي عرفت الجزائر في مطلع القرن السادس عشر أدت إلى استحداث نظام إداري للدولة الجزائرية الفتية، على غرار ما هو متواجد في الدولة العثمانية والبلدان السائرة في فلكها¹.

ولقد جاء التنظيم الإداري للجزائر على مراحل منذ التحاق الجزائر بالدولة العثمانية عام 1519، بحيث ظهرت الخطوات الأولى للتنظيم الإداري للدولة الجزائرية في عهد خير الدين باشا (1519-1533) حين اتخذ مدينة الجزائر مقرا للحكم وعاصمة للدولة وعين نائبان له بدلس الواقعة شرق العاصمة وشرشال الواقعة غربها. ومع حلول عام 1565 وخلال العهدة الثالثة من حكم حسن باشا بن خير الدين (1562-1567)² عرفت الجزائر تنظيما إداريا أكثر شمولية ووضوح وهو التنظيم الذي يبقى ساري المفعول إلى غاية احتلال الفرنسي للجزائر عام 1830. بحيث قام الباييرباي (بكلربك) حسن باشا بن خير الدين بتقسيم الجزائر إلى ثلاث مقاطعات كل مقاطعة تحمل اسم باييك وهم : باييك الغرب وعاصمته مازونة³ وباييك التيطري وعاصمته المدينة، وباييك الشرق وعاصمته قسنطينة، زيادة على دار السلطان، ويحكم مقاطعة نائب عن الحاكم بدار السلطان في العاصمة يسمى باي "بك".

هذا وإن كانت قسنطينة قد تأخرت بستين في تعيين بايها نظرا للظروف التي عرفت المنطقة، فكان أول باي عين على مقاطعة قسنطينة هو رمضان تشولاق باي الذي بقي على رأس الباييك مدة سبع سنوات (1567-1574).

التحاق الجزائر بالباب العالي " 1519 " ⁴

إن الخطر الإسباني الذي كان يهدد سواحل الجزائر قد دفع سكان بجاية سنة 1512 إلى الاستنجاد بالأخوين خير الدين وعروج ⁵ المتواجدين بحرية وحلق الوادي بستونس، وكان صيتهما قد ذاع في غرب المتوسط في نجده ونصرة المسلمين بإسبانيا منذ بداية القرن 16 م.

لجى الأخوان بربروس نداء البحارين وتحركا نحو بجاية بأربعة سفن، وعند وصولهما إلى بجاية التحق بقواتهما حوالي 4 آلاف جندي من المنطقة إلا أن حصارهم لبجاية ومحاولتهم أخذها باءت بالفشل بعد أن فقد عروج ذراعه الأيسر هناك، فعادا نحو تونس ⁶.

ثم تتالت نداءات سكان الجزائر لعروج وخير الدين لمساعدتهم، فكان نداء سكان حيجل ⁷ لطرد الجنوبيين عام 1514، وسكان الجزائر عام 1516 لطرد الإسبان، وتلمسان عام 1517.

بعد مقتل أخويه وخاصة أخاه الأكبر عروج ⁸ وأمام الخطر الإسباني المترص لهم وتواطؤ بعض السكان المحليين مع العدو، كان على سكان الجزائر أن يتخذوا قرارا لأجل الوقوف في وجه الحملات الصليبية المتكررة على سواحل الجزائر بزعامة الإمبراطورية الإسبانية، ولما كانت الدولة العثمانية التي أصبحت تحمل اسم الخلافة الإسلامية ⁹ القوة الإسلامية الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجه الخطر الإسباني أرسل سكان الجزائر رسالة إلى السلطان العثماني سليم الأول مع وفد يرأسه أحد علماء الجزائر وهو أبو العباس أحمد بن علي بن محمد فيما بين 26 أكتوبر و3 نوفمبر من عام 1519 ¹⁰، وطلبوا منه إحقاق الجزائر بالخلافة العثمانية وتعيين خير الدين حاكما عليها السلطان العثماني بالطلب وقبله ونصب خير الدين حاكما على الجزائر بلقب بابلرباي وأرسل له مع قفطان التولية ألفي جندي وأسلحة ¹¹، وابتداء من هذه السنة 1519 التحقت الجزائر رسميا بالخلافة العثمانية، التي أصبحت إحدى ولاياتها الأساسية في غرب المتوسط.

بداية التنظيم الإداري للجزائر :

كان أول تنظيم إداري قام به خير الدين بعد توليه الحكم، إتخاذه لمدينة الجزائر مقرا له، وتعيين نائبين له، الأول بشرق مدينة الجزائر بدلس وهو أحمد بن القاضي، والثاني بغيرها بشرشال وهو محمد بن علي، إلا أن مشاكل نشبت بين خير الدين وابن القاضي أمير كوكو عام 1521، اضطرت خير الدين إلى مغادرة مدينة الجزائر نحو جيجل قاعدته الأولى بالجزائر¹².

تكوين الحاميات التركية بالشرق الجزائري :

من قاعدته بجيجل اتجه خير الدين شرقا، فأخذ القل عام 1521 ثم مدينتي عنابة وقسنطينة عام 1522، ووضع في كل مدينة حامية من الجيش الإنكشاري على رأسها ضابط يحمل لقب قائد العسكر، بلغ عدد حامية القل 200 جندي، وحامية قسنطينة 600 جندي، أما حامية عنابة فبلغ عدد جندها 1500.

أوصى خير الدين الضباط رؤساء الحاميات بحسن معاملة أهل المنطقة وكسب ودهم، وهو ما عمل به الضابط يوسف قائد العسكر بقسنطينة، خاصة وأن موقع مدينة قسنطينة البعيد عن البحر يجعلها في حاجة ماسة ودائمة إلى الأسواق المحلية لجلب المؤن للحامية¹³.

تقرب يوسف قائد العسكر من الشيخ الفقون¹⁴ شيخ البلد الذي ضمن له التعاون مع أحد القبائل الهلالية الشهيرة بالشرق وهي قبيلة أولا يعقود بن علي التي كانت تسيطر على رقعة جغرافية واسعة بالشرق تمتد من عنابة شرقا إلى سطيف غربا وإلى توقرت جنوبا وكان شرط قبيلة أولاد يعقوب بن علي¹⁵ في هذا التعاون، أن تزود هي الحامية التركية بالمؤن، مقابل حصولها على البارود وبعض المعتاد الحربي كلما إحتاجت القبيلة لذلك.

المشاكل التي تلقتها الحامية التركية بقسنطينة :

عاد خير الدين إلى الجزائر عام 1525 وطرد الإسبان من البانيون " Pénon " عام 1529، ولاحق ثم هزم أندري دوريا " André Doria " بشرشال عام 1531، ثم اتجه نحو تونس وأخذها عام 1533، إلا أن استنجد السلطان الحفصي بشارل العاشر " Charles-Quint " واحتلته لخلق الوادي، اضطر خير الدين إلى مغادرة تونس في 20 جويلية من عام 1534، إذ عاد إلى أرض الجزائر برا وفي مدينة عنابة ركب البحر مع 4000 رجل إلى الجزائر، وترك حسن آغا ساردو الذي كان معه ليوصل طريقه برا نحو جيجل مع 1500 رجل كانوا بعنابة 16.

عندما وصل حسن آغا ساردو ورجاله عند مشارف قسنطينة منعهم سكانها من دخول المدينة، ولتفادي المشاكل التي يمكن أن تنجم من جراء هذا الخلاف، تدخل يوسف قائد العسكر والشيخ الفقون شيخ البلد، وأقنعا حسن آغا ساردو بالتمركز مع رجاله خارج مدينة قسنطينة ووعداه بتلقي المؤن طيلة مدة استراحتهم بالمنطقة مع بعض التعويضات.

عرف العدد القليل الذي بقي من الحامية التركية بقسنطينة العديد من المشاكل، منها الصراع القبلي لقبيلة الحنانشة القادمة من شرق مدينة قسنطينة وفي إطار الصراع القائم بينها وبين قبيلة أولاد يعقوب، أرادت الاستفادة من نفس الإمتيازات التي تحصلت عليها القبيلة الهيلالية في تعاملها مع الحامية التركية وهو حصولها على البارود وبعض الأسلحة (مثل البنادق).

فقامت بمحاصرة مدينة قسنطينة لأجل منع وصول المؤن إلى الحامية التركية، وعندما عجز القايد يوسف من فك الحصار استنجد بأولاد يعقوب الذين كانوا بالجنوب، فهبوا إلى مساعدته متجهين نحو الشمال، فدارت بين القبيلتين مشابكات في سهول سطيف، انتهت بتدخل كبار القبيلتين الذين فصلوا في الأمر بينهما واقتسموا مناطق النفوذ بين القبيلتين، فاستقر الأمر على نأخذ قبيلة الحنانشة في شرق مدينة قسنطينة وقبيلة أولاد يعقوب (دواودة) في غرب المدينة وحواليها¹⁷.

إلا أننا لا نعلم ما دور شيخ الفقون في خضم هذا التطاحن القبلي. على إثر هذا الإتفاق بين القبيلتين، تمكن القايد يوسف من ضمان وصول المؤن إلى الحامية وبدون مشاكل ولو لفترة وجيزة.

تعزير إقليم قسنطينة بحاميات جديدة :

بعد تولي حسن قورصو منصب البابلرباي فيما بين 1540-1541، عزز إقليم قسنطينة بعدة حاميات وضعها في مناطق استراتيجية منها زمورة، برج بوعريرج، مسيلة والبويرة.

وفي إطار بسط النفوذ التركي على بقية مناطق الشرق الجزائري، وعندما رفض الداوودة دفع بعض المستحقات إلى علي بوعكاز، قام حسن قورصو بإعطاء علي بوعكاز لقب شيخ العرب مع السلطة الكاملة على قبيلة الرحل الداوودة، وفي نفس النهج، نصب عبد العزيز حاكم قلعة بني عباس خليفة علي بجانة عام 1542 الشيء الذي سمح له ببسط نفوذه على الزاب وبسكرة وأخضعها لسلطته بعد أن أصبح إقليم قسنطينة ينعم بنوع من الهدوء بفضل علي بوعكاز شيخ العرب وعبد العزيز خليفة بجانة، كان علي حسن بانشاء (1544-1554) ...الذي خلف حسن قورصو، أن يخضع ابن القاضي الذي بقي رافضا للحكم التركي بالوسط الجزائري

فحمل عبد العزيز خليفة بجانة بالمهمة وعزز رجاله... من الجيش الإنكشاري، فبسط عبد العزيز نفوذه على منطقة واسعة من الشرق الجزائري امتدت إلى البيان غربا وبسكرة بالزيان جنوبا، وجرجرة غربا، ومضايف جزاظة شمالا. وحتى يضمّن حسن باشا بن خير الدين حلفائه، ولا يثير مشاكل بينهم، وافق على الإتفاق التي عقده بوعكاز مع كل من الداوودة والأحرار الحنانشة، بحيث اقتسموا فيما بينهم مناطق النفوذ، فكان أن بسط الداوودة، وهم نزع من يعقوب بن علي بوعكاز

نفوذهم على المنطقة الممتدة بين قسنطينة والعلمة، والأحرار شيوخ الحنانشة على منطقة شرق قسنطينة، عائلة عبد العزيز خليفة مجانة فبسطت نفوذها على المنطقة الغربية لسطيف إلى غاية البويرة.

أما الأتراك فاحتفظوا بسلطتهم على المدين أين تقيم حامياتهم، كما احتفظوا بوصيهم على الجميع على أن تدفع كل قبيلة للخزينة ضريبة سنوية، وتستجيب لنداء الحكام الأتراك كلما احتاجوا إليها.

للعلم أن القبائل بقيت لها نفوذ كبير في منطقة الشرق الجزائري طيلة الحكم العثماني الجزائري، وقدمت خدمات كبيرة للحكام الأتراك، كما دخلت معهم في صراعات عديدة من أجل الحفاظ على امتيازاتها¹⁸.

إن التفاهم الذي كان بين حسن بن بخير الدين وشيخ العرب بوعكاز، ما فتئ وأن زال، بحيث عندما تولى الحكم صالح ريس 1552-1556 وشن حملة على الجنوب القسنطيني وأخذ ورقلة وتقرت، بمساعدة بوعكاز وعبد العزيز خليفة مجانة سنة 1552، وقع خلاف بين عبد العزيز وصالح ريس¹⁹، حول تقسيم الغنائم واقتسام المناطق التي أخذت، بحيث طلب عبد العزيز المناطق الأقرب إلى المناطق الخاضعة له، وهي المناطق الواقعة بين بسكرة ومسيلة، الشيء الذي رفضه صالح ريس، فأعلن عبد العزيز عصيانه وتمرده على صالح ريس، تحالف مع عدوهم أحمد ابن القاضي، كما قام بمحاصرة الحاميات التركية المتواجدة في زمورة وبرج برعيرج ومسيلة والبويرة، ودارت حرب بين عبد العزيز وصالح ريس وابنه الأغا محمد بن صالح ريس الذي جاء من الجزائر بـ 2000 رجل لنجدة الحاميات التركية المحاصرة، دامت هذه الحرب ثلاث سنوات. كانت بداية الحرب لصالح عبد العزيز خليفة مجانة، الذي ضيق الخناق على الحاميات التركية واضطر الأغا محمد بن صالح ريس إلى العودة إلى الجزائر وحاول مرة أخرى إعادة الهجوم لكنه فشل، فصار عبد العزيز

الحاكم الفعلي على الحضنة وإقليم البيان مما جعله يفرض على كل بما في ذلك الأتراك، من ينتقل من الجزائر (الوسط) إلى إقليم قسنطينة رخصة مرور.

لم يحتفظ عبد العزيز طويلا هيمنته على المناطق التي دخلت تحت نفوذه، بحيث عندما تولى الحكم حسن بن خير الدين (1557-1561)، عمل على تفكيك التحالف القديم المتواجد بين الشيوخ والقبائل، فبدأ بالتفاوض مع أحمد ابن القاضي أمير كوكو ثم تزوج بابنته للتقرب منه، ثم اتجه نحو عبد العزيز الحليف القديم له، بغية التفاوض معه²⁰ حول مناطق نفوذه الممتدة من مسيلة إلى الزيبان، فرفض عبد العزيز التفاوض في هذا الشأن فعادت الحرب بين الطرفين انتهت بمقتل عبد العزيز فتفاوض حسب بن خير الدين مع أخ عبد العزيز المدعو أمقران وقبل الصلح بشروط الحاكم حسن بإنشاء وتخلي أمقران على فكرة بسط نفوذ عائلته على الزيبان والضفة الغربية لوادي الساحل عام 1559.

بعد أن قضى على عبد العزيز وضمن ولاء أخاه أمقران الذي خلقه، وتصاهر مع ابن القاضي، عمل حسن بن خير الدين على إستمدات فرقة جديدة من الجيش من السكان المحليين وبعض الأندلسيين وهذا لوضع توازن في الجيش.

إلا أن استحداثه لهذه الفرقة قد أثارت غضب الجيش الإنكشاري الذي كان على رأسهم كرشة محمد، الذي اتهمه بمحاولته ضرب الإنكشارية بهذه الفرقة الجديدة، ومحاولة الاستقلال عن السلطة العثمانية فأطاحوا به وأرسلوه إلى استانبول، لكن الإطاحة بحسن بن خير الدين زاد في توسيع الهوة بين السكان المحليين والجيش الإنكشاري وصعب تهدئة الوضع، وربما يكون هو السبب الرئيسي الذي جعل السلطان العثماني يعيد تنصيب حسن بن خير الدين بالبربايا على الجزائر للمرة الثالثة (1562) لامتصاص غضب السكان والمادة السكنية للجزائر.

تكوين بايليك الشرق :

خلال فترة حكمه الثالثة عمل على استقرار الحكم بالجزائر، وقام بعد منشآت بالجزائر وخاصة قسنطينة، وقد ساعده كثيرا شيوخ إقليم قسنطينة في حروبه مع الإسبان بوهران وجربة ومالطة، نذكر هنا مساعدة أحمد أمقران في حملته على هران عام 1563، وفي 1565 تكون أسماء إقليم أوبابليك قسنطينة، وفي سنة 1567 عين على رأس السباي رمضان تشولاق (جولاق) çulak الذي بقي على رأس بايليك قسنطينة مدة سبع سنوات (1567-1574).

حدود البايليك :

يحد بايليك الشرق من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء الكبرى غير المأهولة، ومن الشرق الحدود التونسية، ابتداء من وادي سوف ومرورا بتبسة الواقعة غير الكاف ووصولاً عند طبرقة على ساحل البحر المتوسط ومن الغرب جبال البيان وقرى بني منصور ومن الجنوب الغربي القرى الصغيرة لسيدي هجرس وسيدي عيسى التي تفصله عن بايليك التيطري²¹.

الجهاز الإداري²² :

1. السباي : هو الحاكم الرئيسي للبايليك، يعين من قبل الباشا في الجزائر ويخضع كذلك من قبله²³، مهمته تسيير شؤون البايليك ويحيط بالباي الموظفون السامون للدولة أو المخزن.

2. المخزن : أو أعوان الباي وعددهم تسعة وهم :

1. الخليفة : وهو المسؤول عن شؤون الأوطان وإدارة أراضي البايليك، يخضع له القياد وكذا الفرق النظامية لأجل جباية الضرائب واستتباب الأمن كما كان تحت

تصرفه مباشرة تسع قبائل التي توفر له مائتين فارس كما يتولى الخليفة حمل الدنوش مرتين في العام في الربيع والخريف إلى الجزائر في حالة عدم قيام الباي بذلك²⁴.

ويلاحظ أن منصب الخليفة كان يشغله في معظم الأحيان أقارب الباي²⁵ هذا وإن ضعف بايات قسنطينة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني قد أدى بالخليفة إلى توسيع نفوذه على حساب مهام الباي وهو الشيء الذي قام به الحاج أحمد باي حين كان خليفة في عهد إبراهيم باي الغربي²⁶.

2. قايد الدار : كان مكلفا بإدارة وشرطة المدينة وبتأمين الجيش شهريا وبتجهيز الفرق العسكرية عند تحركاتها. كما كان يدير القسم الأكبر من الأملاك الريفية التابعة للبايليك والعقارات المصادرة بالمدينة²⁷. وكان يشرف على تخزين الحبوب الناتجة عن ضريبة العشور والعلاف والزيت والخشب وغيرها من المنتوجات والمحاصيل.

كما تمتد صلاحيات قايد الدار إلى توفير المعاش اليومي إلى القائمين على المساجد وبعض موظفي المدينة وهو المسؤول كذلك على إصدار الحكم في حق المتهمين بالمدينة ما عدا في حالة الإعدام فتعود الصلاحيات إلى الباي²⁸.

3. النقاد أو الخزناجي : له كل الصلاحيات المتعلقة بالأموار المالية، من مصاريف وجمع الضرائب والدنوش²⁹.

4. آغا الدائرة أو قايد الدائرة : هو أحد رؤساء فرسان المخزن، كان مسؤولا على فرق القوم (Goum) أي الفرق غير النظامية ويدير 39 قبيلة وكانت تعطى له في بعض الأحيان مهمة معاقبة القبائل المتمردة³⁰.

5. الباش كاتب : Baş katib فهو بمثابة الكاتب العام أو أمين سر الباي، له عدة صلاحيات، منها تحرير رسائل الباي ومراقبة الرسائل المحررة من قبل الكتاب الآخرين

ووضع طابع البايع عليها،³¹ يساعده في مهامه ثلاثة كتاب ثانويين يتولون تحضير محاضر الجلسات المتعلقة بأمر العدالة والموجهة إلى البايع، إلى جانب تحرير المراسلات العامة بين البايع والشيوخ والقياد.³²

6. الباش سيار : مهامه تشبه مهام ساعي البريد، بحيث يحمل بنفسه رسائل البايع إلى الحاكم بالجزائر ويعود برد هذا الأخير إلى البايع، كما يرافق الخليفة عندما يحمل الدنوش إلى العاصمة الجزائر.³³

7. الباش سايس : وهو المسؤول على خيول وحياد البايليك من حيث الاعتناء بها وتكاثرها.³⁴

8. شاوش الكرسسي: وهما إثنان من أصل تركي، يتوليان مهمة الجلد، ويصطحبان البايع عند خروجه حيث يمشيان أمامه ويلقون التحية باسم البايع³⁵، هذا وتجدر الإشارة إلى أن بعض الشواشين قد أصبحوا بايات منهم محمد تشاكور وأحمد طوبال وقارة مصطفى.³⁶

يطلق على المتولين لهذه الوظائف السامية التي تم ذكرها اسم المخازني أي رجل الدولة، بحيث كان لهم الحق في الاتصال بالبايع ومرافقته أثناء خروجه، وكانوا يشكلون مجلسه الخاص، وحضورهم ضروري عند إعلان البايع للأحكام المتعلقة بالعدالة.³⁷

هذا ويضاف إلى الموظفين السامين الثمانية من المخزن موظفين آخرين يمكن اعتبارهم تابعين للمخزن وهم :

1. قايد العواسي.
2. قايد الزمالة.
3. الباش حمبا.³⁸

3. موظفون مساعدون : يضاف إلى الموظفين السامين من المخزن الذين يديرون شؤون السبايلك مجموعة من الموظفين في صف أدنى لا يحق لهم حضور اجتماعات المجلس، ولا يتصلوا بهم الباي مباشرة إلا عند الضرورة وهؤلاء هم :

- آغا الصبايحية.
- شاوش محلة الشتاء.
- باش العلم.
- باش الطبل.
- باش المكاحلي.
- باش خزناجي.
- باش منقا.
- قايد موهر باشا أو خوجة الخيل.
- باش سراج³⁹.

4. موظفو القصر، وأهمهم :

1. قايد المقصورة : وهو مقتصد القصر.
2. الباش فراش : وهو رئيس الفراشين ومهمته الإهتمام بفراش القصر.
3. قايد الجبيرة : مكلف بالحقيبة التي تعلق ببردعة فرس الباي.
4. قايد السوانة : مكلف بحمل مضلة الباي.
5. قايد السبسي : مكلف بالإعتناء (بشيشة) الباي.
6. قايد الطاسة : مكلف بحمل كأس الباي خلال سفره.

7. الباش قهواحي : أي رئيس القهواجية ومكلف بتقدم القهوة في القصر.
8. قايد الدرية : وهو البواب الأول لباب الباي، عادة ما يكون خصيا وأسود⁴⁰.

5. إدارة المدينة :

تخضع إدارة المدينة إلى قايد الدار مباشرة، وكان تحت تصرفه أمناء الحرف والمهن مثل أمين الفضة وأمين الخبازين والمقدم أي مسؤول عن طائفة اليهود وعدد كبير من الموظفين ويمكن حصرهم فيما يلي :

1. قايد الباب : وهو مكلف بمراقبة الحبوب والسلع التي تجلب إلى المدينة، ويقبض من أصحابها الضرائب والنقوس يساعده خوجة أي كاتب وعشرة موظفين.
2. قايد السوق : وهو مفتش الأسواق.

3. قايد الزبل : ويسهر على نظافة الشوارع والأسواق.

4. قايد القصبة⁴¹ : وهو مسؤول عن شرطة المدينة، خاصة ليلا، ومن مهامه تنفيذ الأحكام الصادرة في حق المتهمين بالإجرام ومراقبة المومسات، ويسلم قايد الزبل تقريره عن ما صدر ليلا كل يوم صباحا إلى الباي.

5. السراح : يبلغ أوامر الباي أو قايد الدار في الأسواق، ويرافق الذين صدر في حقهم حكم الإعدام، ويخرج مع شواشي الباب عند خروج هذا الأخير.

6. الباش حمار أو رئيس الحمارين : هو مسؤول عن البغال وعليه توفيرها عند الحاجة إليها في الحملات.

7. وكيل بيت المال : من صلاحيته تقديم المساعدات للفقراء والتصرف في الموارد التي لا صاحب لها، وحفر القبور والإعتناء بالمقابر، ويوضع تحت تصرفه مبلغ من المال⁴² من الخزينة العمومية لمواجهة هذه المشاكل.

6. جهاز العدالة :

كان جهاز العدالة لبايليك الشرق يسير من قبل مفتي وقاضيين، واحد مالكي بأغلبية السكان، كون أغلبية سكان شمال إفريقيا على المذهب المالكي، والآخر حنفي للأتراك العثمانيين والكراغلة وبعض الأشخاص الذين هم على المذهب الحنفي، وعادلان وناظرا يشرف على الأوقاف، وهؤلاء جميعا هم الذين يشكلون مجلس العدالة الذي يجتمع كل يوم جمعة للنظر في مختلف القضايا المطروحة عليهم، ويرأس المجلس الباي أو قايد الدار في حالة غيابه.

وللمجلس صلاحية البث في الأمور الدينية والحياة اليومية كالزواج والطلاق، والميراث... إلخ، إلا أنه لا يحق البث عندما يتعلق الأمر بالحكم بالإعدام فالباي هنا هو صاحب الرأي الأول والأخير⁴³.

بايات قسنطينة من سنة 1767 إلى 1830* :

اسم الباي وفترة حكمه، الحاكم بالجزائر، السلطان العثماني.

1. رمضان جولاق باي 1567-1574

2. جعفر باي 1574-1588

3. محمد بن فرحات باي 1608 - 1588

4. حسن باي 1622-1608

5. مراد باي 1647

6. فرحات باي 1653-1647

7. محمد بن فرحات باي 1666-1653

8. رجب بن فرحات باي 1674 - 1666

9. خير الدين باي 1674 - 1676
10. عبد الرحمن دالي باي 1676 - 1679
11. عمر باي بن عبد الرحمن دالي باي (باش آغا باي) 1679 أوت 1688
11. شعبان باي 1688 - 1692
12. علي خوجة باي 1692 - 1700
13. علي خوجة باي 1692- 1700
14. أحمد خوجة بن فرحات (حفيد فرحات باي) 1700 - 1703
15. إبراهيم العليج باي 1703-1707
16. حمودة باي 1707
17. علي بن إبراهيم العليج 1707 - 1708
18. علي باي بن حمودة 1708
19. حسين شاوش باي 1708 - 1709
20. عبد الرحمن باي بن فرحات 1709
21. حسين دنقزلي باي 1710
22. علي باي بن صال ح 1710 - 1713
23. كليان حسين باي المدعو بوكمية 1713-1736
24. حسن باي بن حسين المدعو بوحنك 1736 - 1754
25. حين باي المدعو زرق عينو 1754-1756

26. أحمد بن علي المدعو القلي 1756-1771
27. صالح باي بن مصطفى 1771 - 1792
28. إبراهيم باي بوضع 17 أوت 1792
29. حسين بوحنك باي سبتمبر 1795 - جانفي 1795
30. حسين باي بن حسن بوحنك
31. مصطفى بن سليمان المدعو الوزناحي 15 فيفري 1795 - جانفي 1798
32. حاج مصطفى باي المدعو الإنكليزي جانفي 1798 - ماي 1803
33. عثمان باي ابن محمد الكبير ماي 1803 - نوفمبر 1804
34. عبد الله خوجة باي بن اسماعيل نوفمبر 1804 - ديسمبر 1806
35. حسين باي بن صالح باي نهاية 1806 جويلية 1807
36. علي باي بن يوسف 1807
37. أحمد شاوش القبائلي بوطرطورة سبتمبر 1807-1808.
38. أحمد طبال باي 1808-1811
39. محمد نعمان باي ماي 1811 - 1814
40. محمد شاكر باي جانفي 1814 - 1818
41. قارة مصطفى باي نهاية جانفي 1818
42. أحمد باي المملوك بضعة أشهر من عام 1818 (جانفي - جويلية)
43. محمد بن داود المليي باي أوت 1818 - ماي 1819

44. محمد خوجة الغربي جوان 1819 - جويلية 1820
45. أحمد باي المملوك (المرّة II) أوت 120 - جوان 1822
46. إبراهيم باي الكريتلي 1822 - 1824
47. محمد منامي باي بن خان ديسمبر 1824 - جويلية 1826
48. الحاج أحمد باي بن محمد الشريف جويلية 1826 - 1837 (توفي في 3 أوت 1850) عام (1850) سنة 1848 ترك الجهاد.

الهوامش :

1. عن النظام الإداري بالدولة العثمانية، أنظر : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تأليف مجموعة من الأساتذة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، إستانبول، 1999.
2. تولى الحكم ثلاث مرات (1546-1551)، (1557-1561)، (1562-1567).
3. إن لبابليك الغرب أوضاع خاصة نظرا للاحتلال الإسباني فلم تستقر العاصمة مازونة بل انتقلت إلى معسكر ثم وهران بعد تحريرها مخائبا من يد الإسبان.
4. عن كيفية إتحاق الجزائر بالباب العالي، أنظر غزوات عروج وخير الدين، إعتنى بتصحيحه وتعليق هوامثته نور الدين عبد القادر، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1934.
5. كاتب حلبي، تحفة الكبار في أسفار البحار، إستانبول، 1728.
- SANDER RANG et F. DENIS, Fondation de la Régence d'Alger, Paris, 1837, 2 t.
- ZAHRA. Z., et BOUHAMCHOUCHE. N., « Comment l'Algérie s'est-elle liée a l'Empire ottoman », in Studies in Ottoman Diplomatic History, 1989, p p., 17-25.
5. كان عدد الإخوة أربعة وهم : عروج وخير الدين الذي إسمه الحقيقي خضر، إلياس وإسحاق وأصلهم من جزيرة ميتلان. أنظر : كاتب حلبي، نفسه.
6. كاتب حلبي، ص 12.
7. هناك من يقول بأن عروج وخير الدين هما اللذان طلبا من الجليليين السماح لهما بالتمركز بمدنتهم الواقعة في مكان إستراتيجي قريب من بجاية، لإنطلاق عملياتهما العسكرية خاصة باتجاه بجاية التي بقيت في يد الإسبان.
8. قتل إسحاق في قلعة بني راشد في جانفي 1518، أما عروج فقتل في نفس العام بتلمسان. أنظر : كاتب حلبي، نفسه، ص 14.
- HAEDO, Histoire des rois d'Alger, traduit par H. DE GRAMMONT, Alger, Jourdan, 1881, pp . 32-34.
- DE GRAMMONT, Histoire d'Alger sous la domination Turque « 1515-1830 », Paris. E. Leroux, 1887, pp. 26-27.
9. أصبح السلطان العثماني يدعى بخليفة المسلمين بعد أخذ مصر عام 1517 ونقل مفاتيح الكعبة إلى إستانبول.

10. أنظر نص الرسالة في :

TEMIMI. A., « Lettre de la population Algéroise au Sultan Selim I en 1519 », in Revue de l'Histoire Maghrébine, n° 6, Juillet 1976, pp. 95-101.

11. كاتب حليبي، نفسه.

غزوات عروج وخير الدين، نفسه.

SANDER RANG, Op.cit.,

12. SANDER RANG, Op.cit., pp 139-207.

13. GAÏD.M., l'Algérie sous les Turcs, Alger, Mimouni, 1991.

محمد الصالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقليم وتعليق، د. يحي بوعزيز، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 27.

14. عن عائلة الفقون أنظر: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق، د. أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987.

15. عن القبائل المتواجدة بالشرق الجزائري أنظر :

FERAUD. Ch., Notices historiques sur les tribus de la province de Constantine, Constantine, Arnolet, 1869.

16. SANDER RANG, Op.cit., pp

VAYSETTES, « Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517-1837 », in Recueil des notices et Mémoires de Société Archéologiques de la Province de Constantine, t.11, 1867, pp 295-297.

17. VAYSETTES, Op.cit., pp 303-304.

GAÏD.M., Op.cit., pp 8-9.

العنتري نفسه، ص 28.

18. العنتري نفسه، ص 29.

GAÏD. M., Op.cit., pp. 65-67.

19. هو الذي حرز مدينة بجاية عام 1555 من يد الإسبان ووضع بها حامية تركية بلغ عددها 600

نفر. أنظر: العنتري، نفسه، ص 29.

GAÏD.M., Op.cit., p. 10

20. توجد ثلاث روايات حول هذه القصة. أنظر : العنتري نفسه، ص 29.

GAÏD. M., Op.cit., p. 11.

21. هي الحدود التي كان عليها بايليك قسنطينة عند الإحتلال الفرنسي له حسب ما ذكره فايسيت. أنظر :

VAYSETTES, Op.cit., pp. 264-265.

سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.

22. اعتمدنا بالدرجة الأولى في هذا الموضوع على فايسيت والتي اعتمد عليه معظم الباحثين اللذين تطرقوا لهذا الموضوع.

23. VAYSETTES, Op.cit.,pp. 247-248.

24. Ibid, pp. 249-250.

25. TEMIMI. A.,Op.cit., pp 67-68.

26. VAYSETTES, Op.cit.,p. 351.

سيساوي أحمد، النظام الإداري بباليك الشرق، رسالة ماجستير، قسنطينة، 1988 (غير منشورة)، ص 58.

27. VAYSETTES, Op.cit.,p. 250.

28. Ibidem.

29. Ibidem.

30. Ibid., p. 251.

31. هذا دليل كافي على المكانة التي يحتلها الباش كاتب.

32. VAYSETTES, Op.cit.,p. 251.

33. Ibidem.

34. Ibidem.

35. Ibid., pp. 251-252.

36. MERCIER. Op.cit., p 212.

37. VAYSETTES, Op.cit.,p. 252.

38. Ibidem.

39. Ibid., pp. 252-253.

40. Ibid., p. 254.

41. ويعرف بالجزائر بالموزار أو قايد الليل. أنظر : *سيرة سليمان، وغاية السيرة*

TACHRIFAT, Ou recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, publiée par A. Devoux, Alger, 1852, p. 22.

42. VAYSETTES, Op.cit.,pp. 255 – 256.

MERCIER. Op.cit., p 216.

43. Ibid., p. 256.

*. اعتمدنا في وضع هذا الجدول بالدرجة الأولى على : العتري، فايسيات.

المبحث الرابع : بايليك الغرب

(إعداد الأستاذة عائشة خطاس)

إن موضوع التنظيمات الإدارية المحلية إبان العهد العثماني يكتسي أهمية بالغة إذ يسمح بالوقوف عند طبيعة الحكم العثماني كما يتيح معرفة طبيعة العلاقة القائمة بين الحكام و المحكومين وأول سؤال يطرح هو: متى ظهرت التقسيمات الإدارية أو المقاطعات التي اصطلح على تسميتها "بالبايليك"، أي المقاطعة الخاضعة لنفوذ الباي ؟ استنادا إلى إسترهازي Esterhazy فإن بايليك ومخزن وهران أسسا عام 1563¹ على يد حسن باشا بن خير الدين². وحسب هذه الرأي دائما فإن هذا التنظيم اتخذ نموذجا للمقاطعتين الأخرين أي بايليك قسنطينة وبايليك التيطري. وكان أول باي عين على المقاطعة الغربية الباي " أبو خديجة " الذي اتخذ مدينة "مازونة" قاعدة لحكمه، وكان تحت تصرفه 84 خيمة أي سفرة تركية وكان من صلاحيات ومهامه: تعيين القيادة وحماية الضرائب³.

موظفو الإدارة المحلية :

الباي:

كانت المقاطعات عبارة عن شبه دويلات مستقلة، على رأسها الباي، الذي يعود إليه التصرف المطلق في شؤون البايليك. فكيف كان يتم اختياره وضمن أي الشرائح كان يتم ذلك ؟

كان اختيار الباي يتم من طرف الداوي وضمن الأقلية التركية العثمانية*. ويعتبر الباي ممثل سلطة الداوي في البايليك. وكان يساعده في مهامه، ديوان محلي يتألف بوجه خاص من الخليفة والآغا. كما كان يساعده أيضا خليفتان، الأول كان على اتصال دائم بالرعية وهو المكلف بحماية الضرائب، أما الثاني فكان ينوب الباي في

حالة غيابه أو مرضه مما جعله يعرف بخليفة الكرسي⁴.
ومن أبرز الموظفين المساعدين للباي نذكر الخزندار وهو بمثابة وزير المالية على
المستوى المحلي حيث أنيط به الإشراف على الشؤون المالية على مستوى البايليك.
ومن أبرز الذين تولوا هذا المنصب الأسير تيدينا Thédénat الذي ترك لنا مذكرات
عظيمة الفائدة عن المقاطعة الغربية⁵.

أهم البايات :

كان أول باي تولى السلطة على رأس المقاطعة الغربية الباي أبو خديجة مثلما
أسلفنا ذكره و جاء خلفا له عدد من البايات لا نعرف عنهم سوى الأسماء وهم
الباي "سواق" والباي "السايع" و الباي "سعد"⁶.. و بعد فترة يسودها الغموض
نتقل إلى عهد أو فترة الباي "شعبان الزناقي" وهي فترة تتوفر حولها على
معلومات أوفر.

ويمكن القول أنه ابتداء من عهد الباي شعبان الزناقي الذي استشهد أثناء محاربتة
للإسبان و تحديدا أثناء حصاره لمدينة وهران عام 1692م⁷ يصبح من اليسير رسم
لوحة عن الوضع السياسي الذي شهده بايليك الغرب. ثم جاء خلفا له الباي "مصطفى
أبو الشلاغم بن يوسف بن إسحاق المسراتي"⁸ الذي ينحدر من قبيلة المسارتية وهي
قبيلة كان لها نفوذ وسلطة منذ سنوات مديدة مثلما يخبرنا بذلك المازري :
..وكان للمسارتية رياسة وعزة كاملة بمسراتة والقلعة وانقطعت بموت محمد بن
إسحاق جد أبي الشلاغم..."⁹.

ويسبدو أن مؤسس الأسرة المسارتية انتقل إلى الجزائر و انخرط في الجيش. وإثر
ذلك عين خليفة على بايليك قسنطينية وبعد مدة قضاها هناك انتقل إلى مستغانم
و منها إلى القلعة حيث عين أيضا خليفة إلى أن وافته المنية و حلف ثمانية أولاد.

لكن ما يهمننا في هذا المقام مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف الذي كان له الفضل في إعادة إحياء نفوذ الأسرة، لقد كان هذا الأخير من رجال السرايا حيث عاش في قصر الداى محمد بكداش¹⁰. ونال حظوة خاصة لذا وقع عليه الاختيار ليخلف الباى.

ويظهر أن أول عمل أقدم عليه الرجل كان تغيير المقر من مازونة إلى معسكر¹¹ وكان يتوخى من وراء هذا التغيير إحكام قبضته على القبائل الواقعة بالجنوب والتي عرفت بتمردھا و عصيانھا. على أن أبرز إنجاز حققه الباى مصطفى أبو شلاغم كان فتح مدينة وهران¹² عام 1708 و لأول مرة منذ مطلع القرن السادس عشر امتدت سلطة الباى إلى كامل المقاطعة الغربية. - إذ بعد محاولات عديدة قبض الله فتح وهران على يده وأضحت عاصمة للمقاطعة الغربية¹³. لكن الإسبان عملوا على استرجاعها و كان لهم ذلك عام 1143 هـ/1730م. وأخفق الباى مصطفى أبو شلاغم في رد العدو و أرغم على الخروج من وهران و الاستقرار بمستغانم إلى أن وافته المنية. حيث خلفه أخوه ابن عودة يوسف بن محمد بن اسحاق عام 1738 لكن ولايته لم تدم أزيد من سنة واحدة إذ توفي بوباء الطاعون عام 1737. ثم تولى السلطة أخوه مصطفى الأحمر و لم يعمر طويلا في الحكم وتوفي مسموما بمستغانم، فآل الأمر إلى أخيه محمد أبو طالب المجاجي الذي حكم ما يربو من تسع سنوات وكانت نهايته الاغتيال. وخلفه أخوه مصطفى قائد الذهب المسراتي المعروف ببياى المحال ودامت ولايته نحو ست سنوات وبه يختم عهد المسارتية¹⁴.

وبعد عهد المسراتية تعاقب على السلطة عدد من البايات منهم عثمان باى بن ابراهيم 1747-1755 ومن أهم مآثره تشييده للجامع الأعظم بمدينة معسكر و الباى أبو اسحاق ابراهيم الملياني 1756-1771 والحاج خليل باى 1771-1778.

وجاء خلفا له الباي محمد الكبير 1780-1799¹⁵ و نظرا للمكانة التي تبوأها الباي محمد بن عثمان في تاريخ بايليك الغرب فلا بد من وقفة عند هذا الرجل العظيم.

لقد حظي الرجل بمؤلفات عديدة نثرية وشعرية¹⁶ خلدت مآثره وعلى وجه التحديد فتح وهران النهائي واسترجاعها من يد الإسبان.

... وفي هذا الشأن يقول ابن زرفة صاحب الرحلة القمرية ما يلي : " هذا ولو جمع ما قيل في هذا السيد من الشعر الملحون والموزون لضاقت بجمعه فسايح...الدواوين"¹⁷.

عرف الباي محمد الكبير بعدة كني منها أبو الفتوحات و أبو النصر والمجاهد وهو ينتسب إلى أسرة كردية، كان والده عثمان الكردي حاكما بمليانة ثم صار بايا على بايليك التيطري وبعد وفاة والده في إحدى الحملات ضد أولاد نايل تكفل برعايته الباي ابراهيم الذي تولى إدارة البايليك في أعقاب وفاة والده . وحينما تولى هذا الأخير أمر إدارة بايليك الغرب عينه قائدا على فليته عام 1765 ونظرا لما أظهره من قدرة وحنكة في تسيير الأمور وتدبيرها رفاه إلى منصب خليفة الباي وأوكل إليه تسيير وإدارة القسم الشرقي من البايليك¹⁸.

وقد نوهت شهادات عديدة بعظمة الرجل.

لقد وصفه محمد بن يوسف الزياني صاحب دليل الحيران و أنيس السهران قائلا¹⁹:

"..محباً للعلماء والفضلاء والأدباء... " وفي موضع آخر قال عنه : "مشيد الإسلام والإيمان وباسط مهد العدل والأمان راية الإسلام والإيمان وباسط مهد العدل والأمان"، كما وصفه : "من عاداته رحمه الله انه مهما أشار برأي إلا كان فيه الخير و السداد و غرضه بذلك رفع الضرر عن المسلمين....."²⁰

ولم ينوه بعظمه الرجل و بخصاله احميده المسلمون فحسب بل إن المسيحيين هم أيضا نوهوا بذلك. فالأسير تيدينا "Thédénat" الذي ارتقى إلى منصب وزير المالية- خزدار في عهده يصف هو الآخر خصاله بقوله :

*"Doué des deux qualités les plus estimées par les arabes, la générosité et la bravoure il sait se faire aimer, et craindre et établir déjà d'une manière solide les bases d'une réputation ..."*²¹

أما ابن سحنون الراشدي فكتب يقول : "كل هذا و هو يسوس الرعية أحسن سياسة ويدبر أمرها"²². وفتح فيها قاعدة أهل الصحراء وهي بني الأغواط ... ودخلت تحت طاعته جميع نواحي الصحراء مثل العمور والزناخرة والأرباع وغيرهم ممن لم يدينوا لغيره من الملوك وتمهدت له الصحراء حواضرها والبوادي وازداد بذلك شطر خراج الإيالة السابقة"²³

وعقب وفاته أسندت إدارة البايليك إلى ابنه عثمان لكنه لم يكن في مستوى والده ويظهر أنه انصرف إلى اللهو وتخلي عن شؤون البلاد والعباد..²⁴ : "و لم يلتفت لما كلفه الله به من أمور الرعية بل جعل ذلك نسيا منسيا بالكلية" ونتيجة لسوء سيرته عزل وتعرضت أملاكه للمصادرة ونفي إلى مدينة البليدة مثلما يذكره. .. و كله قيدا حديدا ونقله إلى البليدة وظل بها إلى أن عين على رأس بايليك قسنطينة".

وخلفه مصطفى بن عبد الله العجمي الذي دامت ولايته ثلاث سنوات وبعده آلت السلطة إلى أسرة الباي محمد الكبير حيث تولاه الباي محمد الملقب بالمثلث الذي واجه التمرد العنيف الذي تزعمه ابن الشريف الدرقاوي وكان هذا سببا في تنحيته حيث تولى السلطة للمرة الثانية الباي مصطفى العجمي لسنة واحدة ثم آلت من جديد إلى عائلة محمد الكبير حيث عين محمد بن عثمان أبو كابوس.

ثم خلفه الباي علي المعروف بالباي علي قارة بغلي عام 1813 وهو سابع بايات وهران وقد تخلى الرجل بصفات وخصال عديدة نوه بها المازري : " وكان موصوفا

بالعقل والرياسة والمعرفة والكياسة" ودامت ولايته أزيد من عقد مما يعكس استقرار الأوضاع السياسية ورغم ذلك تعرض لسخط الداي الذي عزله.

وكان آخر بايات وهران الباي حسن الذي عاصر أحداث الحملة الفرنسية عام 1830. ولعل أهم ما ميز سياسته العداء الشديد الذي ناصبه للعلماء ورجال الدين. إذ يخبرنا يوسف الزياتي أنه في عهده ساد العبث والظلم والاعتداء سيما على العلماء : "...كثير عبث هذا الباي وظلمه وتعديه واجتراؤه على العلماء والأولياء، فأكثر من سفك الدماء في العباد ²⁵"

ما رفقوش بالنفوس يخدموا غير النحوس

ماذا قتلوا من روؤس من ساداتي الصوفية

ويذهب بعضهم الى أن الثورة التجانية كانت بمثابة رد فعل عن العداء الذي ناصبه الحكام ضد العلماء والأولياء و على الرغم من أن مسلم بن عبد القادر الذي شغل منصب باش دفتر (أي رئيس الكتبة) قد أحجم عن الحديث عن موقف الباي حسن فاننا نستشف ذلك من القصيدة التي نظمها عقب سقوط وانحيار الحكم العثماني في الجزائر.

أدهم رهم لما طغوا عرفهم بغدرهم لما بغوا

فاشتغلوا بالظلم ليس من عدل فاتخنوا أحناء وبيلا ليس بالمهل ²⁶

ومما سبق يمكن القول أن السلطة كادت أن تتحول إلى حكم محلي وراثي حيث تداولت عليها عائلتان بارزتان : العائلة المسارتية من 1699-1748 بخمسة بايات وعائلة محمد بن عثمان الكردية ومنها تولى أربعة بايات وهم على التوالي : أبو عثمان المجاهد 1780-1799 و عثمان بن محمد عثمان 1799-1802 ثم محمد الملقب بالقلش 1805-1808 وأخيرا أبو كابوس محمد بن عثمان 1808-1813.

قائمة بأسماء البايات :

الفترة الزمنية	الاسم
فترة غموض	الباي أبو خديجة الباي سواق الباي أبو خديجة الباي ساعد
	الباي محمد عيسى
1696	الباي شعبان الزناقي (استشهد أثناء حصاره لمدينة وهران)
1733-1690	مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف
1734-1733	ابن عودة يوسف بن محمد بن اسحاق المسراقي
1735	مصطفى الأحمر المسراقي
1743-1735	محمد أبو طالب المجاحي
1748-1743	مصطفى قائد الذهب المسراقي المعروف بباي الخال
1755-1748	الحاج عثمان باي بن ابراهيم
1756	حسن باي (فر إلى إسطنبول)
1771-1756	أبو اسحاق ابراهيم الملياني
1779-1771	الحاج خليل باي
1799-1779	أبو عثمان المجاهد محمد بن عثمان الكبير
1802-1799	عثمان باي بن محمد عثمان
1805-1802	مصطفى بن عبد الله العجمي
1808-1805	الباي محمد الملقب بالقلش
1809-1808	الباي مصطفى العجمي (للمرة الثانية)
1813-1809	محمد بن عثمان ابو كابوس
1826-1813	الباي علي المعروف بقرة بغلي
1830-1826	الباي حسن بن موسى

الحاكم :

أما على المستوى الحضري أو على مستوى مجتمع المدينة فإن ابرز وظيفة هي وظيفة الحاكم الذي كانت له مهمات متعددة منها الإشراف على النظام الجبائي وضمان أمن المدينة وكذا النظام الإداري والإقتصادي²⁸.

وتتطرق فيما يلي إلى أهم الموظفين الذي كان لهم تأثير مباشر على الدواخل. لقد كان يتقاسم الإشراف على البايليك ثلاثة أعوان وهم :

آغا الدواير وآغا الزمالة وخليفة الباي، الذي كانت سلطته تنحصر في منطقة مليانة وجندل نظرا لبعدهما²⁹. وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الحكام تمتعوا بصلاحيات واسعة في المناطق الخاضعة لنفوذهم بيد أن السلطة العليا باليليك ترجع إلى الباي. هذا كما كان للباي إشراف مباشر على بعض القبائل مثل قبائل بني عامر وبجاهر³⁰، نظرا لما عرفت به هذه القبائل من شغب وإثارة للقلق في وجه العثمانيين بالمنطقة.

الأغوات :

وهم غالبا ما كانوا يختارون من العنصر المحلي على عكس البايات وكانوا يقومون بدور الوساطة بين الباي والأهالي إذ يستمعون إلى شكواهم ثم يعرضونها بدورهم على الباي³¹. وقد حظي أصحاب هذه المناصب بامتيازات مادية عديدة مما جعل منصب الأغاوية في أغلب الأحيان محل منافسة شديدة.

القائد :

كان القائد يختار من طرف الآغا الذي يرشحه، ثم يتم تعيينه من طرف الباي. وكان بمثابة همزة وصل بين القبيلة التي ينصب عليها والموظفين الكبار على مستوى البايليك فهو بذلك يحتل مركز الصدارة في سلم موظفي الإدارة المحلية بالدواخل.

ونظرا لأهمية منصب القائد، كان اختياره يقع من بين الأتراك، وأحيانا أخرى من بين الكراغلة، وذلك تفاديا للصراعات القبلية التي قد تحدث أحيانا³².

هذا وتمتد سلطة القائد لتشمل عدة قبائل وعروش تؤلف في مجموعها وحدة إدارية محلية تعرف "بالوطن". و تنحصر سلطته أحيانا على مستوى قبيلة كبيرة فقط. لتشكل وطنا خاصا بها. ويجدر الذكر أنه في هذه الحالة كثيرا ما كان شيخ القبيلة يجمع بين لقب شيخ القبيلة ولقب قائد "الوطن"³³.

هذا كما نجد الباي أيضا يختار القائد من القبيلة نفسها، و كانت هذه السياسة إحدى الوسائل الناجعة لضمان تعبئة أفراد القبيلة، ذلك أن القبيلة لا تشعر بضغط أجنبي عليها ما دام شيخ القبيلة نفسه يقوم بدور القائد، بل إنه في بعض الأحيان كان يحتفظ باسم "الشيخ"³⁴. هذه كانت السياسة الإدارية المعمول بها في المناطق الخاضعة.

أما في الجهات التي لم يصلها نفوذ السلطة المركزية حيث حافظت على استقلالها كان لشيوعها حق التصرف المطلق في شؤونها، وليس عليهم إزاء الحكام سوى تقديم ضريبة رمزية كلما اضطرتهم الظروف إلى ذلك. هذا وكان القائد يتمتع بصلاحيات متعددة، فهو يسهر على مراقبة شيوخ القبائل، ويقوم باستخلاص الضرائب المستحقة على مراقبة على الأمن وتعبئة السكان في حالة الحرب. وكانت للقائد أيضا وظيفة قضائية في الأسواق في كثير من الأحيان³⁵.

ونستخلص مما سلف ذكره أن للقائد مهام متعددة فوظيفته لها طابع سياسي واقتصادي وقضائي في آن واحد.

شيخ القبيلة :

يعد الشخصية الثانية بعد القائد التي تستدعي الاهتمام ويتم تعيينه من طرف القائد بعد استشارة رؤساء الدواوير وحرصا على الأمن وضمانا لطاعة أفراد القبائل، فإن شيخ القبيلة يختار من القبيلة ذاتها، وغالبا ما يكون من بين العائلات الكبيرة³⁶.

وتكمن أهميته في كونه يلعب دور الوسيط بين أفراد قبيلته الخاضعين للسلطة من جهة ورجال البايليك من جهة أخرى. ولهذا كان يتحتم عليه لأداء مهامه أن يحظى بنقطة الطرفين ³⁷.

كما توكل إلى شيخ القبيلة نفس المهام التي يقوم بها القائد وهي: جباية الضرائب والسهر على الأمن العام وإعداد الفرق العسكرية التي تساعد فرق الجيش الإنكشاري ³⁸. ولعل أهم الوظائف التي يقوم بها شيخ القبيلة هي تقسيم الأراضي والحرص على استغلالها، هذا كله تحت مراقبة مشددة من طرف القائد.

قائد الدوار :

يولي شيخ القبيلة، وهو كما يفهم من لقبه، له صلاحيات محدودة إذ لا تتجاوز نطاق الدوار ولا تتعدى السكان الذين ينتمون إليه ³⁹.

السلطة المحلية وعلاقتها بسكان الريف الوهراني :

لعل أحسن طريقة لتناول علاقة سكان الريف بالبايليك هي التعرض للتنظيم الاجتماعي الذي فرضته السلطات الحاكمة على السكان كي يتسنى للنظام الحاكم الهيمنة الفعلية على البلاد، قسم السكان إلى مجموعتين متميزتين بل متناقضتين في شتى المجالات وهي: قبائل الرعية ⁴⁰ وقبائل المخزن ⁴¹.

قبائل الرعية :

وهي القبائل التي كانت خاضعة للسلطة الفعلية مباشرة، وتكانت تتحمل وحدها : الضرر المخزني ⁴¹، وتسلط عليها مختلف أنواع الضرائب.

قبائل المخزن : وهي القبائل المحظوظة والمتحالفة مع السلطة، وكانت تتمتع بامتيازات عديدة مقابل التزامات وخدمات تؤديها للسلطة ⁴². ويعرفها سعيدوني بأنها قبائل اصطناعية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه القبائل كانت تتميز عن بعضها نظرا لتعدد وتنوع الخدمات ويمكن تمييز الجماعات التالية :

وهي جماعات منحت بعض الاقطاعات عرفت "جماعة الإقطاعيين" (les Apanagistes) والتي تسلمها بدورها إلى قبائل أخرى وهو ما يعرف بنظام الحماسة.

وضمن قبائل المخزن نجد مجموعة المخازنية، أو ما يمكن تسميته بالجيش الريفى وكانت تحظى بحق استغلال الأراضي مع إعفائها من الضرائب مقابل تأديتها للخدمات العسكرية.

ويضاف إلى المجموعتين السالفتي الذكر، عناصر أخرى كانت تتمتع بامتيازات محدودة. وعلى الرغم من الفروق التي نلاحظها بين فئات الصنف الواحد، فإن تصنيفها ضمن قبائل المخزن كان يضمن لها ثقة السلطة وجعلها في مأمن من الحملات العسكرية والضغط المتنوع التي كانت قبائل الرعية عرضة لها ⁴³.

وتبرز هذه الفروق بصفة جلية في بايليك الغرب، إذ نجد المخزن ينقسم إلى "مخزن أعلى" أو "المخزن الكبير" وإلى مخزن أسفل أو المخزن الصغير ⁴⁴. ويضم الصنف الأول، بوجه خاص قبائل "الدواير" و"الزمالة" وهي دون غيرها تتمتع بكامل الصلاحيات، بينما يضم الصنف الثاني عددا كبيرا من القبائل غير أنها ليست في خدمة السلطة بصفة دائمة، إذ لا تستدعى إلا عند الحاجة للقيام ببعض الخدمات العسكرية. ومن بين القبائل التي كان يتشكل منها المخزن الصغير نذكر قبائل الغرابة والبرجية وبنى شقران وسجراة والمكاحلية وعكرمة والحشم ⁴⁵.

وينبغي الإشارة في هذا الصدد، إلى أن عدد القبائل التي تشكل المخزن كان غير ثابت، بل كان يخضع لسياسة البايات من جهة ولموقف القبائل من جهة أخرى ولعل أحسن مثال على ذلك، قبيلة الحشم التي لم تصبح ضمن قبائل المخزن إلا منذ سنة 1790، أي

في عهد الباي محمد الكبير الذي ضمها إلى مخزنها كما فعل مع عدة قبائل كالبرجية وذلك للنفوذ والقوة التي كانت تتمتع بها⁴⁶. غير أن الذي يبدو أهم بكثير من تعريف هذه القبائل، والتعرض إلى تشكيلتها هو دورها، فما هو دور قبائل المخزن إذن؟

كانت الوظيفة الرئيسة لقبائل المخزن تتمثل في ضمان الأمن في البلاد، و يتضح هذا من نقاط تركزها إذ غالبا ما كانت تتواجد قرب الأسواق الجهوية وفي الطرق الثانوية منها والرئيسية، وهي الطرق السلطانية التي تربط مقر البايليك أي الجزائر بأهم المدن الأخرى مثل وهران وقسنطينة والمدية.

ففي الطريق السلطاني الرابط بين الجزائر وهران نجد قبائل المخزن مرابطة بنقاط عديدة. إذ تتمركز قبيلة بوحلوان بالقرب من مليانة وأولاد الصحاري قرب سد شلف، وقبيلة بني يحيى قرب وادي الروينة. أما قبيلة الزمالة فقد كانت تتواجد عند ملتقى وادي إسلى وتتمركز أيضا مع قبيلة العزارة عند ملتقى وادي رهيو⁴⁷.

أما في الطريق الثانوي الرابط بين وهران ومعسكر فإنها كانت موزعة على النحو التالي: ففي سهل التلاتة نجد قبيلة الخزناجية، بينما الأوكلة مرابطة في غابة مولاي اسماعيل، والفراقة على نهر سيق و وادي الحمام⁴⁸. أي أنها كانت تتواجد بصفة خاصة في المواقع الحساسة. ففي بايليك الغرب كانت تتمركز في المناطق المهتدة بمجموعات الاسبان وغارات المغاربة، ومن ثمة لقد استعملت أساسا لردع ومقاومة الخطر الأجنبي. أما بعد سنة 1792، تاريخ الانسحاب النهائي للاسبان فإن الدور الرئيسي لقبائل المخزن انحصر في مقاومة القبائل الثائرة والمستعصية وفي إخماد الثورات التي اشتدت وطأتها على الناحية الغربية بصفة خاصة والتي ترعمتها الطرق الصوفية⁴⁹.

و فيما يلي جدول توضيحي يبرز الطابع المخزني العسكري لبايليك الغرب⁵⁰

بايلىك قسنطينة	بايلىك الغرب	بايلىك التيطري	دار السلطان	طبيعة العلاقة
25	36	09	19	قبائل مخزنية محرابة
22	10	05		مخزنية غير محرابة
14	56	23	11	قبائل الرعية
25	29	12	20	قبائل حليفة ومتعاونة
138	26	13	23	قبائل مستقلة

إن قراءة بسيطة لهذا الجدول تبين الصيغة العسكرية لبايلىك الغرب إذ تركزت به ست وأربعون قبيلة مخزنية من بينها ست وثلاثون محرابة أي بنسبة 26، 78% بينما لم يتجاوز عدد القبائل المحاربة على سبيل المثال في بايلىك التيطري تسعا. ويستتج من نقاط تواجدها أنها كانت موزعة في كامل أنحاء البلاد⁵¹ بطريقة محكمة استهدفت إحكام قبضتها على سائر المناطق.

ومما لاشك فيه أن قبائل المخزن قد أدت دور الشرطة بكل يقظة وكانت أجمع الأساليب في تدعيم الحكم العثماني بالمنطقة. ولهذا اعتبر كثير من مؤرخي هذه الفترة أن قوة الوجود العثماني كانت تكمن في الاستناد إلى هذه المؤسسة⁵².

وتساءل بعد هذا حول الأسباب التي دفعت الحكام إلى انتهاج هذا الأسلوب في إدارة السكان. لقد استند العثمانيون على هذه المؤسسة لعوامل عدة لعل أهمها :
انعدام الدعم المادي من الباب العالي وقلة الدعم العسكري.

إن العدد الضئيل الذي لم يتجاوز في القرن السابع عشر ثلاثين ألفاً، لم يسمح بالسيطرة على كامل أنحاء البلاد.

ومما لا شك فيه أن اتخاذ هذا النوع من النظام لم يكن نتيجة ظروف مادية صعبة فحسب، بل هناك أبعاد أخرى نلمسها من طبيعة الوجود نفسه بالمنطقة، الذي تميز بالحكم غير المباشر.

عواصم البايليك :

لا شك أن إحدى الخصائص التي انفرد بها بايليك الغرب هي عدم ثبات واستقرار عاصمته، وهو أمر تحكمت فيه الأوضاع السياسية والعسكرية المرتبطة بالاحتلال الأسباني للموانئ الغربية وتحديدًا وهران و المرسي الكبير.

لقد أضحت مازونة عاصمة للبايليك ابتداءً من 1563 على ما يبدو وكان الاختيار استراتيجياً نظراً لموقعها الوسطي فهي تتوسط القبائل ما بين مستغانم وتنس وهي أيضاً على مقربة من الشلف لكنه مع مطلع القرن الثامن عشر اتخذ الباي مصطفى أبو الشلاغم مدينة معسكر عاصمة للبايليك. ويعود اختيارها، إلى أهميتها الاستراتيجية نظراً لتحكمها في المسالك التجارية من ناحية ولتمركز قبائل بني راشد، التي عرفت بتعاونها مع السلطة الحاكمة بالقرب منها، يضاف إلى هذا موقعها القريب من وهران و هو أمر يسر لباياتها محاصرة وهران.

وعقب الفتح الأول لمدينة وهران في عهد الباي مصطفى أبو الشلاغم المعاصر للداي محمد بكداش انتقل مركز السلطة إلى وهران (1708-1732) لكنه على أثر استرجاع الإسبان لها تحولت العاصمة إلى مستغانم لفترة وجيزة (1732-1737) ثم انتقلت قاعدة البايليك إلى معسكر (1737-1792) ".... و جعلها قاعدته لكونها وسطا بين مازونة و تلمسان...." وأخيرا انتقل مقر البايليك بصفة نهائية إلى مدينة وهران بعد الفتح النهائي الذي كان على يد الباي محمد الكبير أبرز بايات الناحية الغربية.

رحلة الدنوش⁵³ : بين البايات والدايات

لقد كان البايات يقومون مرة كل ثلاث سنوات برحلة الدنوش إلى مدينة الجزائر حيث مقر الإمارة. "إن البايات كانوا يندشون كل ثلاث سنين"⁵⁴. لقد كان حضور البايات شخصا مطلوبا لدفع محصول الضرائب ولتقديم فروض الولاء للأمر وبالمقابل لاستلام الخلعة ونيل تجديد التعيين " فهي رحلة الولاء والتزكية "⁵⁵. لكن أصول هذه الممارسة ليست معروفة على وجه التحديد. فالمصادر المحلية منها والأجنبية العائدة إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر تخلو من أية إشارة إلى الدنوش رغم تعرض بعضها إلى مصادر دخل الخزينة وإلى طبيعة الضرائب وأنواعها فالأسير الاسباني هايدو الذي تعرض إلى الضرائب التي كان يقوم بجبايتها شيوخ القبائل عن طريق نظام الالتزام والى جانب ذلك أشار إلى ما كان يقدمه القياد وحكام المقاطعات (البايات) سنويا إلى الخزينة لم يذكر مصطلح الدنوش⁵⁶.

وفي العشرينات من القرن السابع عشر أشار مصدر برتغالي إلى الضرائب نفسها ورغم تسجيله لملاحظتين : أولهما تخص تبعية القياد والحكام للباشا وثانيهما تخص لجوء الحكام، في جباية الضرائب وتحويلها، إلى قوة عسكرية قوامها 700 تركي، فإنه هو الآخر لم يتحدث عن رحلة الدنوش⁵⁷. إلا أنه ثمة إشارة إلى مؤسسة المحلة، والمحلة كمؤسسة عسكرية، سابقة للعثمانيين مثلما أكدته دراسات عديدة⁵⁸.

ويمكن القول أن رحلة الدنوش كظاهرة سياسية واجتماعية على النحو التي وصفها الزهار في أواخر القرن الثامن عشر لم تكن سائدة قبل منتصف القرن الثامن عشر مما يحملنا إلى الاعتقاد بأنها ليست تقليدا محليا موروثا.

لقد كانت الرحلة مناسبة للباي لإظهار القوة وعظمة السلطة، فمنذ انطلاق الموكب تبدأ عملية استعراض "بجة الملك والسلطة" مثلما يبدو جليا في الطقوس والمراسيم التي كانت تصاحب انطلاق الموكب، بل وكانت ترافقه عبر مسار الرحلة ومختلف محطاتها. وفي هذا الشأن يقول الزهار واصفا دنوش الباي محمد الكبير: " ... خرج من معسكر وقومه يلعبون بالسلاح بين يديه ويضربون البارود والصناجق ترفرف والطبول تدق حوله ... " ⁵⁹

كما كانت الرحلة فرصة للبايات للقيام بجولات في كامل المجال الخاضع لهم، قصد حماية الضرائب والاتصال بالرعية. وكانت أيضا فرصة لمد النفوذ وتعزيزه، وإحضار القبائل المستعصية. فحيثما كان الباي يحل كانت تقام له خيمة وتُحاط بمالة من الفرسان وهي نفسها مطوقة بدائرة من المشاة ⁶⁰.

خضعت رحلة الدنوش لمراسيم وتشريفات في غاية الدقة شملت جل المراحل من بداية جمع محاصيل الضريبة وتجهيز للموكب إلى غاية دخول دار السلطان، بل دخول دار الإمارة حيث يتم اللقاء بين الداوي "الأمير الحاكم" و"الباي التابع" فحينما يصل الباي إلى مجال الأمير يستقبله الآغا بموضع قبل بوفاريك يقال له "عيون الشعر" ويسلمه هدية الأمير ⁶¹. وهي هدية ترمز إلى السلطة وهيبتها وقوتها، إذ تشتمل على فرس وسرج ومسدسين من الذهب وسيف وبنديقية. ثم تليها مرحلة عين الربيط وهي آخر مرحلة قبل دخول المدينة وهنا يتلقى الإذن بالدخول إلى المدينة بواسطة وفد يتشكل من الآغا والخزناجي والخزندار ⁶².

وكان يوم دخول البايات، إلى مدينة الجزائر لملاقاة الأمير، يوما مشهودا حيث يقوم البايات بتوزيع الأموال على سكان المدينة المحتشدين سيما الفقراء منهم :
" ... وهو يرمي الدراهم في الزقاق يمينا وشمالا للفقراء وغيرهم ... " ⁶³
وكان البايات يأتون محملين بكنوز ثمينة مصطحبين معهم جيشهم وحاشيتهم، ويخبرنا الزهار أن الباي محمد الكبير حمل معه هدايا ضخمة وفاخرة : " ... وجاء معه بستحف وأموال وهدايا كثيرة من الخيل العتاق والعبيد والمصوغ والأثاث الفاخر ... " ويضيف الزهار : " أربعين بغلة على كل بغلة ألف ريال ، وأربعين فرسا من الحيل الموسومة الموسومة وأقفاصا فيها السباع والنمرة ؟ كلها للبايليك " ⁶⁴ .
فمكونات الدنوش تشتمل على الهدايا والضرائب التي كانت تشكل أساسا من الزكاة والزرمة. وكانت الهدايا والعطاءات والعوائد توزع على الأمير " وحاشيته من وزراء ووجهاء وعلى قادة الجيش وعلى موظفي القصر من كتاب وشواش وغيرهم " ⁶⁵ وتنتهي رحلة الدنوش التي كانت تستغرق ثمانية أيام بلقاء أخير بين الداوي والباي في الليلة السابعة حيث " يوصيه الأمير بالرعية خيرا ويوصيه على أمور بيت مال المسلمين " ⁶⁶
ولاشك أن هذا اللقاء الذي يبدو حاسما لم يكن في أهمية لقاء تبادل الهدايا بين الأمير والباي.

لقد كانت رحلة الدنوش في غاية الأهمية والخطورة ففيها كان يتم دفع محصول الضرائب وتقديم الهدايا ومن خلالها تقدم الولاء للأمير وكان يقابل ذلك بتجديد الباي في سلطته ومنصبه إذا حظي برضا الأمير حيث تسلم له الخلعة السلطانية في بداية اللقاء وتسلم له قنضورة من الذهب عند نهايته. وأما إذا لم ينل ذلك فانه يتعرض للسخط والعزل والتنحية مثلما حدث في عهد الداوي حسن باشا ...

الهوامش :

1- Boyer (P) : Beys et beyliks, essai sur les origines de l'administration provinciale dans la régence d'Alger, p166.

2. حسن بن خير الدين أحد بيلربايات الجزائر حكم ثلاث مرات.

3- Boyer : Beys et beyliks, Op. cit , p166.

*. في العهد الأول تم فسح المجال إلى الكراغلة لكن على نطاق ضيق.

4- Bontems, Manuel des institutions algériennes, p54.

5- EMERIT M, Les Aventures de thédénat esclave et mninistre d'un Bey d'Afrique, Revue Africaine, 1948, p25.

6. مسلم بن عبد القادر، خاتمة أنيس الغريب و المسافر، تحقيق و تقديم رابع بونار، الجزائر 1976، ص 18.

7. نفسه.

8. نفسه.

9. المزابي طلوع سعد السعود، تحقيق و تقديم يحي بو عزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الجزء الأول، ص 277.

10. حول الموضوع، انظر: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكدرية في بلاد الجزائر الحمية، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، الجزائر 1972.

11. نفسه.

12. نفسه.

13. نفسه.

14. أنظر مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب، سبق ذكره، ص 20.

15. انظر :

GORGUOS A , Notice sur le Bey d'Oran Mohamed Elkebir , Revue Africaine, 1857.

16. من بينها دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران و الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، الرحلة القمرية في السيرة الحمديّة و عجائب الأسفار و لطائف الأخبار.

17. مصطفى بن عبد الله بن زرفة الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية.
19. أحمد بن يوسف الزياتي : دليل الحيران وأينس السهران في أحبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر، شركة النشر والتوزيع، 1979، ص190.
20. نفسه
- 21- EMERIT M, Les Aventures de thédénat Op. cit p 25.
22. ابن سحنون : الثغر الجماني، ص 135.
23. مصطفى بن عبد الله بن زرفة الرحلة القمرية، سبق ذكره.
24. أنظر مسلم بن عبد القادر والمزاري.
25. أحمد بن يوسف الزياتي : دليل الحيران، سبق ذكره، ص 239.
26. نفسه.
27. نفسه.
28. Bontems, Op cit, p 57-58.
29. نفسه.
30. نفسه.
- 31- Boudicourt, la guerre et le gouvernement, Op. cit, p276.
32. Rinn L Le royaume d'Alger sous le dernier Dey, Revue Africaine, 1898
33. نفسه.
34. Bodin (M) : la breve chronique du bey Hassan extraite et traduite de Tal'at – Sâd isso'oud de Mazari BSGAO T44, 1924.p30
35. Boudicourt (L) : la guerre et le gouvernement de l'Algerie, p274.
36. Ibid
37. Ibid, p272.
38. Bontems : Op.cit, p60.
39. ibidem.
40. أحمد بن يوسف الزياتي، سبق ذكره.

41. Rinn : Op.cit, p 127.
42. Ibid
- 43-Emerit (M) : les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX^e siècle-Boutems, op.cit.p54. Annales, E.S.C, Jan-fev1966.n° 1p49.
44. لقد تعرض لهذه الفترة أيضا : بوديكور، ومحمد بن يوسف الزياتي... الخ
- 45- Dejardins(V) : "la commune de dublineau" in B.S.G.A.O.T 73. 1950-20. pp42- 43.
- 46 - Notice sur la division territoriale de l'Algérie, in T.E.F.21 1844-45, p390
- 47- Ibid, p391.
48. سعيدوني ناصر الدين، دور قبائل المخرن في تدعيم سلطة البايليك بالجزائر، ورفقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
49. الثورات المحلية التي تزعمتها الطريقة الدرقاوية، ففي بايليك الغرب ثار محمد بن الشريف الزرقاوي، وفي بايليك الشرق ثار ابن الأحرش. حول الموضوع راجع :
- الغربي الغالي، الانتفاضات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني، ماحستير، دمشق، 1984.
- سعيدوني ناصر الدين، ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية، ورفقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
50. أعد هذا الجدول بناء على المعطيات التي أوردها "رين" في المجلة الإفريقية.
51. سعيدوني، ورفقات جزائرية، سبق ذكره، ص268.
52. من هؤلاء بود يكور، رين و غيرهم.
53. الدنوش كلمة تركية وتعني العودة.
54. أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب الأشراف، تحقيق وتقديم أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 63.
55. فاطمة الزهراء قنشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص 99
56. HAEDO, FD, Topographie, p 94.

⁵⁷ MASCARENAS, J, Récit de captivité de Jao Mascarenas 1621-1626, Traduit du portugais et présenté par Paul Tessier, Chandeigne, Paris, 1993, p 94.

⁵⁸ حظي موضوع المحلة في بلاد المغرب بدراسات عديدة نذكر منها :

CHATER, K Insurrection et repression dans la Tunisie du XIX siècle, La Mahalla de Zarrouk au sahel, Université de Tunis, 1978.

DAKHLIA, J . « La symbolique du pouvoir itinérant au Maghreb » A.E.S.C, 1988. pp735 - 760.

- الباحث التونسي محمد الحبيب العزيمي بصدد إعداد أطروحة في موضوع المحلة : ظاهرة الحكم المتحوّل في بلاد المغرب العربي الحديث : المحلة التونسية نموذجاً.

⁵⁹ الزهار، مذكرات، سبق ذكره ، ص36.

⁶⁰ خوجة، حمدان بن عثمان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزهيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 102.

⁶¹ الزهار، مذكرات، سبق ذكره ، ص 36.

⁶² المرجع السابق، ص 38

⁶³ المرجع السابق، ص38

⁶⁴ المرجع السابق، ص 36.

⁶⁵ المرجع السابق، ص 39-40 وما بعدها.

⁶⁶ الزهار، مذكرات، سبق ذكره، ص 46.

الفصل الخامس

الأوقاف

المبحث الأول : أوقاف الحرمين الشريفين

إعزاز الأستاذة عائشة خطاس

يعود تأسيس الأوقاف لصالح الحرمين الشريفين في الجزائر إلى العهد الإسلامي الأول، بيد أننا لا نعرف أهميتها ولا كيفية تسييرها وإذا كنا نفتقر إلى معطيات دقيقة حول الأوقاف التي خصصت في الجزائر للحرمين الشريفين في الفترة السابقة للوجود العثماني فإنه من المؤكد أنها وجدت. وعن أصولها كتبت هو كستر Hoexter ما نصه :

*"Indeed, endowments for the poor of the Haramayn- Mecca and Médina may have been as old as Islam in Algiers However we have no knowledge about their nature, their quantity or the way they were run in those early days"*¹

أما في الفترة الحديثة وهي الفترة التي تزامنت مع الوجود العثماني فقد تكاثرت الأوقاف بشكل مثير للانتباه. وأضحت مؤسسة الأوقاف بوجه عام إحدى المؤسسات الهامة من حيث إسهامها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بل والإدارية أيضا، وأضحى تسيير المدن الكبرى مرتبطا أشد الارتباط بها².

إن تنظيم الأوقاف الخاصة بمرجع الحرمين الشريفين بالجزائر ليس معروفا على وجه التحديد بحيث لا نعرف مثلا متى أضحت المدينتان مكة المكرمة والمدينة المنورة ، تنتفعان بعائدات الأوقاف المخصصة لهما. ورغم هذه الملاحظة إلا أنه يمكن القول - بالاستناد إلى أحد أقدم الدفاتر المتعلقة بحسابات كراء الأوقاف المخصصة لمرجع الحرمين الشريفين يعود إلى عامي 1648 - 1649 - أن تأسيسها سابق لمطلع القرن السابع عشر³.

مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين : أهم مؤسسة

احتلت مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين الصدارة على باقي مؤسسات الأوقاف القائمة بالجزائر وقتئذ كمؤسسة الجامع الأعظم ومؤسسة سبل الخيرات، ومؤسسة العيون وغيرها. ويظهر ذلك جليا من الهائل من الوثائق العائدة إلى تلك الفترة. إذ تفيض عقود سجلات المحاكم الشرعية لمدينة الجزائر على سبيل المثال، بعقود التجبيس الذرية أو الأهلية "أي الحبس على العقب" التي حددت مرجعها الأخير لمؤسسة الحرمين الشريفين. كما تضم سلسلة سجلات البايليك، عددا هائلا من الدفاتر الخاصة بأوقاف الحرمين الشريفين مما يسمح بالقول أن مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين فازت بأهم قسط من العقارات الموقوفة⁴.

هذا وقد لاحظ "فيليب فالير" -قنصل فرنسا بالجزائر أواخر القرن الثامن عشر- مدى اتساع وانتشار أوقاف الحرمين الشريفين حيث كتب ما نصه : "..... إن أوقاف الحرمين واسعة الانتشار بمدينة الجزائر وسيأتي اليوم الذي ستستحوذ فيه مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين على جميع العقارات ..."

وأضاف : " ... و تكاد تكون جميع دور المدينة و البساتين المنتشرة بضواحيها تابعة لمرجع الحرمين ... " ⁵. وقد ذكر دوفو DEVOULX الذي اشتغل لسنوات طوال في الوثائق الجزائرية أن مؤسسة الحرمين الشريفين استحوذت على ثلاثة أرباع الأملاك الموقوفة في الجزائر⁶. ولم تكن تلك الممارسة مقصورة على مدينة دون أخرى، فالظاهرة نفسها شهدتها معظم المدن كشرشال والبيدة ومليانة والمدينة وتلمسان وقسنطينة ومستغانم ووهران وغيرها من المدن .

وفي الواقع لقد عرفت ممارسة الوقف ابتداء من القرن الثامن عشر انتشارا واسعا وانعكس ذلك على مختلف مؤسسات الأوقاف القائمة بالجزائر فأوقاف الجامع الأعظم هي الأخرى شهدت تكاثرا واضحا وهو ما سجله التميمي حيث كتب ما

الأعظم هي الأخرى شهدت تكاثرا واضحا وهو ما سجله التميمي حيث كتب ما نصه : " ... إن هناك خطأ تصاعديا لعملية التحجيس ففي حين تم تسجيل 159 عقدا باسم الجامع الأعظم خلال 210 سنوات التالية : من 1540 إلى 1750 نلاحظ من جهة أخرى تأسيس 384 وقفية خلال الفترة الممتدة من 1750 إلى 1841 وعلى الخصوص تأسيس 227 وقفية خلال أواخر حكم الدايات... " ⁷ وإنه لمن الأهمية بما كان الإشارة إلى أن ظاهرة الوقف شهدت تطورا ملحوظا إبان القرن الثامن عشر في الفضاء العثماني بوجه عام ⁸.

وبالإضافة إلى الإقبال الواسع على عملية التحجيس أو الوقف فإن المشرفين على مؤسسات الأوقاف عملوا على تطويرها، من خلال إضافة عقارات عن طريق الشراء. وقد صادفتنا في هذا الشأن عدة حالات في سجلات المحاكم الشرعية⁹ وفي دفاتر البايليك ونذكر على سبيل المثال لا الحصر شراء وكلاء الحرمين عام 1613 م كوشة بسويقة سيدي محمد الشريف. كما اشترى الوكلاء أيضا عام 1673 م كوشة بحومة باب الوادي وجاء في نص العقد مايلي : "... اشترى الكرام وكلاء الحرمين الشريفين جميع الكوشة المعدة لطبخ خبز الأبخشائية للصيقة بالحمام المسماة لباب الوادي الشهيرة بكوشة القبطان محمد جلبي ودفعوا ثمنها من المال المتحصل عليه من ريع الأوقاف واشهدوا أن ابتياعهم إنما هو لجانب الحرمين الشريفين ولاحق لهم لا في ثمن ولا في مثمون و وقع ذلك بتاريخ أواخر صفر 1084 ... " ¹⁰. ويظهر من هذين المثالين أن وكلاء أوقاف الحرمين حرصوا على شراء المحلات التجارية التي توفر الربح الوفير.

المساهمون في أوقاف الحرمين الشريفين :

لم يكن مجال الوقف مقصورا على شريحة دون الأخرى إذ أسهمت فيه جميع شرائح المجتمع من الخاصة إلى العامة على حد سواء ¹¹. ولأخذ فكرة أكثر شمولية عن المساهمين في أوقاف الحرمين استندنا إلى دفتر يعود إلى أوائل الاحتلال، وهو

عبارة عن جرد وإحصاء للعقارات الموقوفة و التي حددت مرجعها مؤسسة الحرمين الشريفين. يشتمل الدفتر على واحد وخمسين وستمائة عقد توزعت على سبع عشرة حومة وهي : حومة قاع السور وحومة جامع صفر وحومة حمام المالح وحومة باب السوق وحومة الرحبة القديمة وحومة حوانيت بن رابحة وحومة سوقة عمور وحومة القصبة وحومة سيدي محمد الشريف وحومة بن جاور علي، وحومة مسيد الغولة ومدفع جربة وحومة كوشة بولعبة وحومة جامع البلاط وحومة عين مراد قورصو وحومة كوشة اسكندر وحومة كوشة علي¹².

تبرز دراسة الدفتر أن المساهمين في مجال الوقف كانوا من شرائح مختلفة فهناك الحكام والموظفون السامون وموظفو الإدارة المحلية. ومن بين الحكام نشير إلى الحاج محمد الدولاتي بن محمود¹³ الذي أوقف دارا وعلويا 1677 والداي حسن باشا¹⁴ عام 1085 والداي علي باشا عام 1716¹⁵ والداي عبدي باشا¹⁶ عام 1729 والداي إبراهيم باشا بن رمضان¹⁷ عام 1740 والداي مصطفى باشا¹⁸ عام 1800 وفيما يلي جدول يلخص ما أوقفته الحكام لصالح الحرمين الشريفين¹⁹.

السنة	الاسم	طبيعة الوقف	الموقع
1674	حسن باشا	دار	باب السوق
1675	الحاج محمد التريكي	دار + مصرية	باب السوق
1678	الحاج محمد التريكي	علوي وإسطنبول	باب السوق
1717	علي باشا	دار + مخزن	باب السوق
1730	عبدي باشا	علوي	سوقة عمور
1741	إبراهيم باشا	دار	حوانيت بن رابحة
1760	علي باشا	دار	كوشة علي
1765	علي باشا	دار	كوشة علي
1800	مصطفى باشا	دويرة	باب السوق
1800	مصطفى باشا	دار + مخزن	باب السوق

يبدو من الجدول أن ما أوقفه الحكام لا يعكس ثروة عقارية هامة إذ اقتصر معظم الوقفيات على عقار واحد وفي الواقع لا يعد ما ورد في الجدول حصرا شاملا لأوقاف الحكام. كما أسهم في ذلك أيضا الموظفون سواء على مستوى الإدارة المركزية أو المحلية ونشير على سبيل المثال لا الحصر إلى علي آغا الصبايحية عام 1760 و ابراهيم بلكباشي الخزناحي عام 1730 وعمر خوجة الخيل عام 1805. كما نجد عددا من البايات مثل الباي ابراهيم عام 1768 وأحمد باي قسنطينة عام 1767.

هذا وتطلعنا عقود المحاكم الشرعية بأسماء بايات آخرين كبايات التيطري مثل مصطفى باي 1781 وجعفر باي 1820²⁰ ...

كما أسهمت في أوقاف الحرمين الشريفين مختلف شرائح المجتمع من حضر وأتراك وكراغلة وغيرهم مثلما توحى به الأسماء والألقاب المهنية أحيانا حيث نقرأ مثلا محمد خوجة التركي بن مصطفى ومصطفى الانكشاري بن محمد متزول آغا وحسين الخزناحي بن علي ومحمد الصابونجي بن مخلوف والرايس حميدو بن علي²¹.

ومن النساء اللواتي أسهمن في تأسيس الأوقاف لصالح الحرمين في وقت مبكر، استنادا إلى الدفتر السالف الذكر نشير إلى فاطمة بنت محمد الشنسوني عام 1622 وفاطمة بنت محمد الفهري عام 1645 وآمنة زوجة علي بن محمد 1645 وعائشة بنت حسن رئيس عام 1656 وفاطمة بنت محمد الأندلسي عام 1666. ويلاحظ أن السيدة عائشة بنت حسن رئيس أسست عام 1658 وقفا خيريا منذ البداية لصالح مرجع الحرمين. واشتمل الوقف على ما ناهما من الميراث مثلما جاء في الوثيقة: " ... حبست الولية ... جميع الربع الواحد من الدار الكاينة بباب السوق مع الربع أيضا من جميع العلوي والإسطليل المستخرجين منها ... حبست جميع ما ذكر على فقراء الحرمين ... وأذنت لهم في حوز ما ذكر إذنا تما فحازه وكيل أوقاف المذكورين حوزا تاما بتاريخ أواخر حجة 1067 ... " ²²

ولإبراز إسهام النساء في أوقاف الحرمين الشريفين قمنا باستقراء عقود الأوقاف الخاصة بثلاث حومات.

الحومة	مجموع الوقفيات	عدد وقفيات الرجال	عدد وقفيات النساء	النسبة المئوية
سويقة عمور	62	50	12	19.35%
جامع صفر	34	19	15	44.11%
كوشة اسكندر	17	14	03	17.64%

أما عن طبيعة الأوقاف التابعة لمؤسسة الحرمين فيمكن الحديث عن الأملاك العقارية بالمدن من دور محلات سكن و من حوانيت وأفران وحمامات وفنادق أي محلات تجارية وغيرها. وأما خارج المدن فنجد الضيعات والحدائق الجنائز والمساحات الزراعية.

ولقد أعدت عدة تقديرات تخص العقارات الموقوفة بمدينة الجزائر لصالح الحرمين إذ أورد بلونديل " Blondel " في تقرير مؤرخ في 22 أوت 1831 عدد 1400،²³ أما تقارير اللجنة الإفريقية فقد قدرتها بـ 2101 عام 1834²⁴.

تسيير مؤسسة أوقاف الحرمين وإدارتها :

إن مؤسسات الأوقاف كانت عبارة عن أجهزة إدارية قائمة بذاتها ولكل مؤسسة إدارتها الخاصة وتمتع باستقلال عن الأخرى. وكانت تحتل موقعا إداريا واقتصاديا واجتماعيا هاما²⁵. فمؤسسة أوقاف الجامع الأعظم لها إدارتها، ومؤسسة سبل الخيرات لها إدارتها ومؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين لها إدارتها. ويظهر أن الجانب

التنظيمي لهذه المؤسسات لم تكتمل صورته إلا بمرور الوقت ونتيجة تطور وتزايد الأوقاف المخصصة لكل مرجع. ففيما يتعلق بأوقاف الحرمين الشريفين تعود أقدم الإشارات إلى الهيئة المشرفة عليها إلى سنتي 1635 و 1636، إذ تشير الوثائق إلى هيئة مكلفة بشؤون مكة وكانت تضم وقتئذ أربعة أعضاء: اثنان من الجند برتبة آغا، هما: الحاج ناصف آغا بن عيواز و خليل آغا بن علي التركي، واثنان آخران وهما الحاج حمودة بن مروان الشريف والحاج بن علي ووقع تعيينهم من قبل الديوان الذي تنعته الوثيقة "بالديوان المنصور" ²⁶.

وابتداء من النصف الثاني من القرن السابع عشر أضحى تسيير مؤسسة الحرمين أكثر تنظيماً ودقة مما كان الحال عليه في السالف.

ويمكن القول أن الأوقاف المخصصة للحرمين الشريفين منذ بداية تأسيسها إلى غاية العشرينات من القرن الثامن عشر كانت تشرف عليها هيئة تراوح عدد أعضائها ما بين أربعة إلى ستة أعضاء. وكانت المهمة التي أنيطت بها هي الإشراف على شؤون مكة. وعلى الرغم من وجود منصب "الوكيل"، فإنه يبدو من الوثائق سيما من محاضر توزيع حصص الصدقة بهيئة المجلس العلمي أن إدارة و تسيير مؤسسة أوقاف الحرمين كانت جماعية بحيث يرد في الوثائق عدد من النظائر دون أي تمييز بينهم ²⁷. وكانت الهيئة المشرفة على إدارة و تسيير أوقاف الحرمين تضم عددا كبيرا من الموظفين. يتصدرهم الوكلاء، يليهم اثنان من العدول يعينهم القاضي لمساعدة الوكلاء والنظار. أما المشرف على الحسابات فيدعي الصايحي أو العداد. وبالإضافة إلى ذلك هناك عدد من الشواش يتصدرهم باش شواش. وكان الشواش يسهرون على مراقبة الممتلكات الموقوفة لصالح الحرمين، ومراقبة المداخل ²⁸.

وابتداء من النصف الأول من القرن الثامن عشر أضحى وكيل أوقاف الحرمين الشريفين يحظى بمكانة مميزة نظرا لاتساع مجال الوقف لصالح المرجع المذكور

وتكاثرت عائداته. وكانت للوكيل مهمات عديدة و متنوعة أهمها التكفل بحماية ورعاية الممتلكات العائدة للمؤسسة. إذ تعود إليه مراقبة عائدات الأوقاف ودفاتر الحسابات والإشراف على وجوه الإنفاق²⁹. ويتبين من دراسة دفاتر الأوقاف، أن مؤسسة الحرمين كانت بمثابة مؤسسة إدارية مستقلة لها صلاحياتها فهناك ضبط ودقة في إحصاء العقارات وفي ضبط الواردات والنفقات واستغلال أموال الأوقاف وتنميتها بهدف صيانة الأوقاف.

ومن بين العائلات التي تولت النظارة على المؤسسة : عائلة كلاطو وعائلة ابن فاضيل وابن المرابط وعائلة بن المقفولجي وابن المحوز وابن عمر وبوضربة وهي من العائلات الأندلسية المنفذة³⁰.

ونظرا لانتشار أوقاف الحرمين عبر مختلف المدن الجزائرية، منها المدية والبليدة وشرشال وعنابة، وقسنطينة، ووهران، ومازونة، ومستغانم، وتلمسان، وغيرها، فقد أحدثت هيئة لإدارة ورعاية الأملاك الموقوفة لصالحهما على مستوى كل مدينة.

وكان تعيين النظار أو الوكلاء على مستوى المدن من صلاحيات وكيل أوقاف الحرمين الشريفين - بمدينة الجزائر - مثلما تثبتته وثيقة تعيين السيد حسان الإنكشاري العنابي المدعو الخراط في شهر ذي القعدة من عام 1212هـ الموافق لأفريل -ماي 1798 وكيلا لأوقاف مدينة عنابة و خارجها³¹.

ونظرا لإشراف مؤسسة الحرمين بمدينة الجزائر على جل الأوقاف العائدة لها. فقد كان النظار أو الوكلاء بمختلف أنحاء البلاد، ملزمين بتقديم الحسابات والعائدات إلى الإدارة المركزية على مستوى مدينة الجزائر.

وكانت مؤسسة الحرمين الشريفين تشرف أولا على الأوقاف العائدة إلى المدينتين المقدستين : مكة المكرمة والمدينة المنورة. كما احتفظت بحق الإشراف على العائدات التي كانت مشتركة بينها وبين مؤسسات أخرى كأوقاف الجامع الأعظم أو أوقاف الأندلسيين أو أوقاف سبل الخيرات³².

كما كان مسيرو أوقاف الحرمين بالجزائر يديرون و يشرفون على عدد من الأوقاف لصالح مساجد ولأغراض دينية أخرى لقد أناط بعض الحكام بمؤسسة الحرمين النظارة على أوقاف المساجد التي شيدها أو جددوا بناءها مثل : " جامع حسين باشا ميزومورتو" و "جامع عبدي باشا" و "جامع علي باشا نقسيس". كما أضحى جامع خيضر باشا تحت إشراف مؤسسة الحرمين ابتداء من عام 1756م إلى أواخر العهد العثماني حينما آل إلى إدارة أوقاف سبل الخيرات³³. فضلا عن التكفل بخمسة وعشرين خرابا، أو قراء القرآن بالمساجد نفسها حيث كانت تصرف لهم رواتب شهريا.

ومما كان يجنى من مداخيل أو عائدات تلك الأوقاف كان يوجه جزءا هاما منه سنويا كصدقة إلى فقراء الحرمين الشريفين وهو ما اصطلح على تسميته بالصرة. لكن توجيه الصرة بشكل منتظم خضع للظروف المحيطة بحركة التنقل، كالأوضاع الأمنية والصحية وما إلى ذلك. مما جعل توجيهها يتأخر أحيانا لبضع سنوات. وكانت حصص الصدقة تقسم بمدينة الجزائر على مستوى هيئة المجلس العلمي بحضور النظار على الأوقاف وشيخ البلد وأمين الأمناء وعدد من أعضاء المؤسسة العسكرية ويتم ذلك تحت رعاية الباشا أو الداى . كما كان يحضر المجلس عدد من أعيان ووجهاء المدينة ممن يتأهبون للرحلة إلى البقاع المقدسة³⁴.

وقد روعيت عناية فائقة في إعداد قوائم المنتفعين من الصدقة. حيث ترد الأسماء مرفوقة بالمبالغ المالية المخصصة لها. و تختتم القوائم أو محاضر تقسيم حصص الصدقة بذكر المبلغ الإجمالي مع جملة من التوصيات ثم بذكر التاريخ.

و كانت هذه القوائم ترفق بالصرة وركب الحج. وكان الحكام يعينون "أمين بيت المال" لحمل الصرة إذ تشير وثائق المحلية إلى أمين الركب. ومن الأسماء التي صادفناها نشير إلى الشيخ الموهوب عام 1707. والسيد بوطيبة اللمداني الذي ترأس الركب في فترة سابقة لعام 1758³⁵ والحاج محمد بن الواحد بن سيدي الخلافي عام 1761، و هو أحد أحفاد سيدي أحمد بن يوسف الملياني³⁶.

و لم يكن ما يجني من كراء الأملاك الموقوفة لصالح الحرمين الشريفين مقصورا على المرجع وحده، بل كان يصرف على مجالات خيرية هنا بالجزائر. فقد خصص جزء منها لمفاداة الأرقاء المسلمين الذين كانوا يقعون في الأسر، و جزء كان يوزع صدقة على فقراء مدينة الجزائر كل يوم خمسين و جزء آخر يستفيد منه المكاويون القاطنون بمدينة الجزائر العابرون بها³⁷.

مؤسسة أوقاف الحرمين بعد 1830 :

ما إن استولت القوات الفرنسية الغازية على مدينة الجزائر، حتى أصدرت السلطات الاستعمارية مرسوما مؤرخا في 08 سبتمبر 1830 حول لها حق احتلال واستغلال عدد من الأملاك الموقوفة. ثم تلاه مرسوم آخر مؤرخ بـ 7 ديسمبر عام 1830 منح للأوروبيين حق التمتع بالأملاك الموقوفة التي حولت إلى مصلحة "الدومين" أو مصلحة الأملاك العامة³⁸. وقد انعكس ذلك بشكل واضح على مؤسسة أوقاف الحرمين إذ فقدت في السنوات الأولى التي أعقبت الاحتلال 188 ملكية كان مالها إما التدمير أو التحويل لأغراض ومتطلبات المستعمر. وواجه عدد

من علماء و وجهاء مدينة الجزائر تلك القرارات بالرفض والتنديد ومن أبرزهم المفتي الحنفي ابن العنابي والمفتي المالكي ابن الكبايطي الذي تعرض للنفي بسبب موقفه السياسية المناهضة للإجراءات الفرنسية التعسفية. وفي 23 مارس 1843 أصدر "بيجو" قرارا يقضي باستحواذ السلطات الاستعمارية على الأوقاف.

لقد كانت لمؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين الصدارة على مؤسسات الوقف الأخرى القائمة بمدينة الجزائر وكانت لها مكانة روحية مميزة وكانت أحد أبرز مظاهر التواصل بين الجزائر وبلاد الحجاز.

الهوامش :

¹ M. Hoexter , Endowments , rulers and community, Waqf al-Haramayn in ottoman Algiers. Brill, Leiden , 1998 , p 66

حول أوقاف الحرمين الشريفين بوجه عام راجع :

B. Lewis, El Haramayn , Encyclopédie de l'Islam , T III , Ed , 1990. P179.

² وهو ما بينته عدة دراسات حول الأوقاف في الفضاء الإسلامي.

³ شهاب الدين يلس، الفهرس التحليلي للوثائق العثمانية، مركز الأرشيف الوطني، بئر الحادام،

الجزائر. وانظر أيضا :

- عائشة عطاس ، «حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر» ، أعمال ندوة الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دراسات إنسانية، عدد خاص 2002 ، ص 146.

- Devoulx, Notice sur les corporations religieuses, Alger, 1912 .

⁴ تزخر سلسلة البايليك بالدفاتر الخاصة بأوقاف الحرمين نشير على سبيل المثال لا الحصر إلى

سجل رقم 122: سجل خاص بالأمولاك المحبسة بمدينة الجزائر وضواحيها 1655-1818. سجل رقم

98 : سجل خاص بالأمولاك الموقوفة لصالح الحرمين الشريفين 1678-1683

⁵ Ph .Vallière, L'Algérie en 1781 – Mémoire – publié par le père lucien Chaillou, Toulon, s.d , p 28 et 31.

⁶ Devoulx, Notice sur les corporations .p15

⁷ عبد الجليل التميمي : وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، 1980 ، ص 19.

⁸ حول الوقف في الفضاء الإسلامي راجع :

-R.Deguilhem, Le waqf dans l'Espace Islamique – outil de pouvoir socio-politique, IFD, Damas, 1995.

⁹ الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية علب عديدة راجع على سبيل المثال،

لعلب التالية : 10 ، 45 ، 88.

¹⁰ Archives d'Outre-Mer, 1MI Z 60.

¹¹ هذا يعود إلى طبيعة وخصائص الوقف .

- 12 نفسه .
- 13 الداي الحاج محمد التريكي 1671-1682.
- 14 الداي بابا حسن 1682-1683
- 15 الداي علي شاوش 1710-1718.
- 16 الداي كرد عبدي باشا 1724-1732
- 17 الداي ابراهيم باشا 1732-1745.
- 18 الداي مصطفى باشا 1798-1805
- 19 أعد الجدول استنادا إلى الدفتر رقم 60 IMI Z
- 20 الأرشيف الوطني الجزائري ، سلسلة المحاكم الشرعية ، علة 43.
- 21 CAOM , MI Z 60.
- 22 نفسه.
- 23 نقلا عن سعيدوني :
- N.Saidouni, «Les liens de l'Algérie ottomane avec les lieux saints de l'Islam à travers le rôle de la fondatoin de waqf des harramayn» Les fondations pieuses waqf en Méditerranée. Enjeux de société et enjeux de pouvoir. Cordonné par R.Deguilhem et A.Hénia. Koweit, 2004, p 23.
- 24 Procès verbaux et rapports de la commission d'Afrique, Paris, 1834.T1 pp. 413-416.
- 25 راجع :
- R.Deguilhem, Le waqf dans l'Espace Islamique - outil de pouvoir socio-politique, IFD, Damas, 1995.
- 26 Hoexter, Waqf al-Haramayn, p 66.
- 27 الأرشيف الوطني الجزائري ، سلسلة المحاكم الشرعية، علة 30
- 28 هذا ما نستشفه من الوثائق، وحول الموضوع انظر أيضا : ناصر الدين، سعيدوني «موقف مؤسسة الأوقاف بالجزائر أواخر العهد العثماني»، دراسات في الملكية والوقف والحماية الفترة الحديثة دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001. ص 211.

29 نفسه.

30 لمزيد من الأخبار راجع :

- F.Khiari, « Une communauté résurgente : Les Andalous à Alger de 1570-1670 » Revue d'histoire Maghrébine, 69.70, 1993, pp119-132.

31 Devoulx, Notice sur les corporations, p 27.

32 حول أوقاف سبل الخيرات راجع :

- A.Devoulx , Les édifices religieux de l'Ancien Alger, Alger, 1870.

-زهرة زكية ، «حول الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر من خلال ثلاثة نماذج من الوثائق»، أعمال ندوة الوقف، سبق ذكره .

33 Hoexter, Waqf al-Haramayn. p 66.

34 الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علة 29.

35 الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علة 07.

36 وهو أحد أقطاب الطريقة الشاذلية وكان يتمتع بنفوذ واسع عشية ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية. حول الموضوع راجع :

M.Bodin, Notes et questions sur sidi Ahmed Benyoucef, Revue Africaine, 1925, pp180-182.

37 Etablissements de piété et de bienfaisance avant l'occupation. Tableau des établissements français .1830-1837.p 221.

38.Saidouni, «Les liens de l'Algérie, p 23.

Procès verbaux et rapports de la commission d'Afrique, Paris, 1834.T1 pp 413-416.

Etablissements de piété, Op.cit. p 222.

-P.Genty de Bussy, De l'établissement des français dans la régence d'Alger et des moyens d'en assurer la prospérité, Paris , 2vol .

المبحث الثاني : أوقاف مؤسسة سبل الخيرات

إعداد الأستاذة زكية زهرة

مقدمة :

يقوم الوقف الإسلامي على الوازع الديني فهو صدقة جارية، الهدف منه التقرب من الخالق عز وجل، وهو ما تبينه بوضوح نصوص واثاق الوقف¹.

"الحمد لله بعد أن استقر على ملك السيد الأجل الخير الشامل الأكمل السيد أحمد بن المرحوم بكرم الله الحي القيوم السيد إبراهيم شيخ البلد كان... جميع شطر الرقعة الكائنة بفحص الحراش خارج باب عزون أحد أبواب محروسة الجزائر... أنه حبس ووقف الله تعالى جميع شطر الرقعة المذكورة... قصد بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم إن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين..."².

وينسب البعض الوقف إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حديث له "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"⁴ وإلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) عندما أراد التقرب إلى الله بأرض له قال : "إن شئت حبست أصلها وتصدقت بثمرها" أي تحبب الأصل أو العين والتصديق بالريع أو المردود⁴.

ولقد تطور نظام الوقف من حيث التشريعات الخاصة به والمعاملات المتعلقة باستغلاله وأصبح محل اجتهاد الفقهاء والعلماء وانتشر في البلاد الإسلامية انتشارا واسعا حتى أضحى ظاهرة اجتماعية واقتصادية وثقافية ذات أثر بالغ في حركية المجتمعات الإسلامية.

فعرفت الجزائر كغيرها من البلدان الإسلامية نظام الوقف غير أننا لا نملك إلا التردد القليل من النصوص حول وضعية الأوقاف بما قبل التحاق الجزائر بالدولة العثمانية، نذكر ما وصل إلينا منها ويتعلق ببعض أوقاف تلمسان والتي يعود تاريخها

إلى عهد الملك أبي الحسن المريني (1331-1351) وما حبسه على المسجد الذي شيده وهو المسجد الجامع المعروف بجامع العباد وعلى المدرسة والزاوية المتصلين به.

"...أمر ببناء هذا الجامع المبارك مع المدرسة المتصلة بغربية مولانا السلطان... وحبس المدرسة المذكورة على طلبة العلم الشريف وتدرسه... يرسم إطعام الطعام بزاوية العباد عمرها لله للفقراء والحجاج والمقيمين والواردين عليها"⁵.

هذا ما يسمح لنا بالقول بأن الوقوف كتنظيم له إجراءاته الخاصة وهياكله المنظمة ومؤسساته المتميزة ارتبطت الجزائر بالحقبة العثمانية التي عرفت فيها المدن الجزائرية العديد من مؤسسات الأوقاف نذكر منها ما كان موجودا في مدينة الجزائر وهي : أوقاف الحرمين الشريفين⁶ وأوقاف الجامع الأعظم⁷ وأوقاف سبل الخيرات وأوقاف الأندلسيين⁸ وأوقاف المساجد وأوقاف الزوايا والأضرحة والأشرف⁹ وأوقاف الجيش والثكنات وأوقاف العيون والساقيات وأوقاف الأسرى وأوقاف الطلبة... الخ كما تنوعت أثناء الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر أصناف الوقف فاشتملت على الأراضي والبساتين والجنات والبحاير والرقع والديار والبيوت والغرف والعلويات والخوانيت والمخازن والكوشات والأفران والحمامات والكتب والماشية والحلي والأواني... الخ ولا نكاد نجد شيئا ملموسا لم يدخل حيز الوقف.

ولم يقتصر الوقف على الرجال فقط بل شمل النساء أيضا¹⁰ ، كما ضم الأغنياء ومتوسطي الحال. فكل واحد كان يوقف حسب إمكانيته الخاصة. فأصبح الوقف ظاهرة عامة غير مظاهر الحياة بالجزائر، مما جعل القنصل الفرنسي فاليار *valliere* يقول : "إن مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين تملك حل مساكن مدينة الجزائر واغلب البساتين المجاورة لها"¹¹ و الجدير بالذكر أن مؤسسة الحرمين الشريفين من أهم مؤسسات الوقف في الجزائر من حيث عدد المحسنين عليها والأوقاف التابعة لها ومدخلها، إذ أصبحت بمثابة "وجه الجزائر في العالم الإسلامي"¹².

1. مؤسسة سبل الخيرات وجوامعها :

لقد اكتسبت هذه المؤسسة أهمية خاصة في مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني منذ تأسيسها والذي يرجعه بعض المؤرخين إلى عام 999هـ / 1584م¹³، فاختصت بأوقاف أتباع المذهب الحنفي بمدينة الجزائر، المحبسة على المؤسسة مباشرة أو على الجوامع الحنفية التسعة التابعة لها بمدينة الجزائر¹⁴ وهي :

1. جامع القايد صفر (940 هـ / 1534م).
2. جامع السيدة (720 هـ / 1564م).
3. الجامع الجديد (1070 هـ / 1660م).
4. جامع شعبان خوجة (1106 هـ / 1693-1694م).
5. جامع كنتاوة (1106 هـ / 1694م).
6. جامع الشبارلية وزاويته (1201 هـ / 1787م).
7. جامع دار القاضي (1209 هـ / 1795م).
8. جامع القصبية.

أ- الجامع الداخلي (جامع الداوي حسين) (1235 هـ / 1653-1654م)¹⁵

ب- الجامع الخارجي (1064 هـ / 1653-1654م)¹⁵

2. مسير و مؤسسة سبل الخيرات :

أما من حيث تنظيم سبل الخيرات فقد كان يشرف عليها جهاز إداري يتكون من :

1. المفتي والقاضي الحنفيان : ويمثلان الهيئة التشريعية، يعتبران عضوان همان في المجلس العالمي الذي يعقد جلساته كل يوم خميس في الجامع الأعظم، لدراسة مختلف

القضايا المطروحة عليه، ومنها ما يتعلق بالوقف ومنها ما يتعلق بأمر أخرى كالطلاق والميراث إلى غير ذلك من الأمور التي تحتاج معالجتها العودة إلى المجلس العلمي¹⁶.

2. الوكيل : يعين من قبل الداي¹⁷ ويعتبر موظفا أساسيا في مؤسسة سبل الخيرات فهو بمثابة الناظر أو الهيئة التنفيذية، إذ يطبق ما جاء في نص وثيقة حسب رغبة الواقف، وينفذ ما قد ينجم من توصيات المجلس العلمي وهو بذلك مسؤول إمام المفتي والقاضي الحنفيين. يتولى الوكيل الأمور الخاصة بمردود الأوقاف، سواء كان نقدا أو عينا ويتصرف في نفقاته من دفع أجور المستخدمين وصيانة أوقاف المؤسسة والتكفل بالصدقات وغيرها من الأعمال الخيرية. و يقدم الوكيل عرضا عاما يقوم به "من إجراءات وخدمات خيرية وثقافية واجتماعية" إلى المجلس العلمي¹⁸. ويؤخذ برأيه في هذا المجلس في أمور الاستبدال (المعاوضة) والعناء وفي قضايا النزاعات القائمة حول الوقف¹⁹.

3. الخوجة : وهو الكاتب.

4. الصايحي : مهمته ضبط الحسابات وحفظ الأوراق.

5. الشواش : من مهامهم حراسة الأوقاف وصيانتها²⁰.

يضاف إلى هؤلاء مجموعة أخرى من موظفي الجوامع الحنفية التابعة لسبل الخيرات، ويختلف عددهم حسب أهمية الجامع ونذكر فيما يأتي ما يخص جوامع الخطبة :

1. الخطيب : مكلف بخطبة يوم الجمعة²¹

2. الإمام : مكلف بالصلاة في الأوقات الخمسة.

3. المؤذن : وعلى رأسهم باش مؤذن²² مهمته الأذان.

4. الحزابون : وعلى رأسهم باش حزاب²³ مهمتهم قراءة القرآن.

5. الدوال : يحمل عصي الخطيب.

6. القائمون على شؤون النظافة والإنارة : وهم الشاعل، والفراش، والكناس، والغسال²⁴.

7. الطلبة: مكلفون بقراءة في أوقات معينة كتب دينية مثل صحيح البخاري وتبنيه الأنام²⁵.

3. أوقاف مؤسسة سبل الخيرات :

إن العلاقة الوطيدة المتواجدة بين مؤسسة سبل الخيرات وأتباع المذهب الحنفي قد جعلتها مرتبطة بالعناصر التركيبية والمتعاملين معهم من كراغل وحضر فكان لهم تأثير على وضعية هذه المؤسسة كون معظم المحبوسين من الطبقة الحاكمة ومن أفراد الجيش والطبقة الميسورة من مجتمع مدينة الجزائر²⁶. مما جعل من هذه المؤسسة إحدى أغنى مؤسسات الوقف في مدينة الجزائر. وقد صنفت في المرتبة الثالثة بعد مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين ومؤسسة أوقاف الجامع الأعظم²⁷. وتعطينا وثائق الوقف الموجودة في السجلات البابليلك ولفافات المحاكم الشرعية صورة واضحة عن قيمة أوقاف مؤسسة سبل الخيرات وبالتالي الثروة التي كانت بيد المحبسين عليها وعلى جوامعها. ويبين لنا الجدول الآتي بعض أفراد المحبسة على أربعة جوامع تابعة لسبل الخيرات وهي : الجامع الجديد وجامع القايد صفر وجامع كتشاوة وجامع شعبان خوجة.

الجامع الجديد

السنة	مكان الحبس	نوع الحبس	المحبس
1067هـ/1656م	قرب باب البحر	زندانة	القايد محمد العداد بن عبد الله
1069هـ/1658م	كوشة علي	دار	محمد الإنكشاري بن نابي
1070هـ/1659م	زنقة بوزة	بيت	حسن أغا
1074هـ/1663م	قهوة الحمام	حانوت	الحاج محمد أغا تركي
1088هـ/1677م	زنقة الدار الحمراء	حانوت	و كيل الجامع الجديد
1088هـ/1677م	مقابل العين ؟	علوي	و كيل الجامع الجديد
1089هـ/1678م	باب الوادي	علوي	و كيل الحرمين الشريفين
1090هـ/1679م	حومة الغرارة فوق كوشة علي	نصف دار	مريم بنت محمد
1102هـ/1690م	الخضارين باب عزون	اسطبل	مبارك العطار

1110هـ/1698م	قاع السور	2/12+ دار بيت	وكيل الجامع الجديد
1126هـ/1714م	زنقة البوزة	علوى	صاري مصطفى بن الحاج محمد
1137هـ/1724م	فندق المحتسب	غرفة	عبدى أغا بن الحاج محمد تركي
1137هـ/1724م	حومة جامع علي بجنين	دار	الحاج بكير بن محمد التركي
1143هـ/1730م	ومة تبارن	1/4 دار	مصطفى بلوك باشي بن علي
1169هـ/1755م	فندق الدروج	فندق (المعروف بفندق الدروج) + مقهيان	علي باشا
1174هـ/1760م	صباط العرص	دار	علي باشا بن محمد
1177هـ/1763م	فندق الغرارة	حانوت	حسن الخزناسي
1181هـ/1767م	قرب ضريح الشيخ بوقدور	دار	مصطفى خوجة بن احمد تركي

1214هـ/1799م	فحص السد	حنة	محمد بن عثمان
1220هـ/1805م	قرب القهوة الكبيرة	حانوت	
1228هـ/1813م ²⁹	سوق اللوح	حانوت	الحاج محمد الخرزنجي
جامع القايد صفر			
950هـ/1543م	قرب جامع الصفر	بيت	يوسف بن سعود
1031هـ/1621م	مقابل زاوية سيدي محمد الشريف	حانوت + 1/2 حانوت	نقيسة بنت محمد الباي
1035هـ/1625م	التماقين	حانوت	و كيل الجامع
1041هـ/1631م	؟	1/4 دار + حوش	علي بن كيوان (وصية)
1061هـ/1650م	؟	حانوت	إمام الجامع
1180هـ/1669م	؟	رحاء	محمد خوجة بن والي

1086هـ/1675م	مقابل جامع الصفر	حانوت	الحاج محمد بن العالي
1094هـ/1682م	زاوية محمد شريف	حانوت	فاطمة بنت محمد الصباغ
1110هـ/1689م	قرب ضريح محمد الشريف الزهار	حانوتان	مريم بنت علي
1118هـ/1706م	قرب الجنينة مقابلة لحمام خضر باشا	دار	وكيل الجامع
1138هـ/1725م	حومة جامع صفر	نصف دار	ياسمينه بنت محمد
1146هـ/1733م	قرب جامع الصفر	علوي	الحاج المستغامي
1152هـ/1739م	قرب الدرب القصير قرب كوشة الوقيد	مخزن علوي	محمد البناء بن عبد الله
1171هـ/1757م	؟	بيت	محمد الانكشاري

1193هـ/1779م	بني مسوس	بلاد	إمام المسجد
1204هـ/1789م	قرب ضريح سيدي بوقدور	حانوت	عائشة معتقة الحاج محمد معزول أغا
1230هـ/1814م	قرب جامع صفر	حانوت	حسين الانكشاري القرزاز
1231هـ/1815م	قرب الدرب القصير	دار	إبراهيم رئيس التركي
1242هـ/1826م	سوق الحاشية	حانوت	ميمي بنت السيد حميدة زوجة السيد حسين باشا
1243هـ/1827م	سوق الذكير	حانوت	مباركة معتقة السيد حسين باشا
1243هـ/ 1827م ³⁰	خارج باب الوادي	حنة ورقعة	حسين باشا

جامع كجاوة			
1050هـ/1640م	سوق الشبارلية	1/2 حانوت	السيد احمد الشريف
1208هـ/1791م	قرب والي داده	حانوت	حسن باشا
1208هـ/1793م	كجاوة	3 حوانات	حسن باشا
1208هـ/1793م	كجاوة	داران	حسن باشا
1208هـ/1793م	قرب قهوة العريش	حانوتان	حسن باشا
1208هـ/1793م	حومة القادوس وبن جاور	داران	حسن باشا
1209هـ/1794م	قرب الوالي داده	حانوت	حسين باشا
1210هـ/1795م	سويقة عمور	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	سوق اللوح	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	قرب الحمام المالح	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	فوق الجامع	قهوة	حسن باشا
1210هـ/1795م	كوشة النصارى	حانوتان	حسن باشا
1210هـ/1795م	فندق الزيت	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	باب عزون	حانوتان	حسن باشا

1210هـ/1795م	حومة مسيد الدالية	دار	حسن باشا
1210هـ/1795م	فوق الجامع	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	؟	حانوت وعلي	حسن باشا
1210هـ/1795م	الشبارلية	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	قرب الحاكورة	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	تبارن ابن الأغا	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	سوق السمن	حانوتان	حسن باشا
1210هـ/1795م	كتشاوة	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	؟	1/4 حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	قرب حمام كتشاوة النصاري	حانوت	حسن باشا
1210هـ/1795م	درب الحلاب	دار ومخزن	حسن باشا
1212هـ/1797م	قرب الجامع الجديد	حانوت	حسن باشا
1222هـ/1808م ³¹	قرب دار اللحم	حانوت	أحمد باشا

جامع شعبان خوجة			
1104هـ/1692م	قرب باب الدزيرة	دار	الداي شعبان بن السيد أحمد
1105هـ/1693م	الفندق الجديد	حانوت	الداي شعبان بن السيد أحمد
1106هـ/1694م	سويقة عمور	دار	محمد بن عبد الله
1106هـ/1694م	قرب الرحبة القديمة	علوي + حانوتان + مخزنان	الحاج شعبان أفندي
1209هـ/1794م ³²	قرب باب الجزيرة	حانوتان + مخزن + دويرة	حسن باشا

ويتضح لنا من خلال الجدول أن معظم المحسين من فئة الأتراك، فقد بلغ عددهم 26 تركيا من مجموع 47 أي بنسبة 55,31% من المجموع الكلي للمحسين. من هؤلاء الأتراك يوجد 4 دايات و 7 من أفراد الجيش الانكشاري³³. أما أكبر نسبة من العقارات المحبسة فكانت من تحبيس الدايات، فمن مجموع 101 عقارا محبسا. 62 عقارا حبس من قبل الدايات الأربعة أي بنسبة 61,38%.

كما نلاحظ من هذا الجدول أن النساء قد أسهمن في أوقاف جوامع مؤسسة سبل الخيرات المذكورة، ويبدو أنهن كن من الفئات الميسورة من مجتمع مدينة الجزائر، زوجة الداى و بنت الداى ونساء وبنات الحضر إضافة إلى معتقات، فبالنسبة للفئة الأخيرة أي المعتقات فقد كن يتمتعن بكامل حريتهن بعد العتق ويملكن ويتصرفن في ممتلكاتهن تحبس عليهن من قبل معتقهن³⁴.

وإذا كان بعض الأفراد يحبذون التحسيس على الجوامع التابعة لسبل الخيرات فهناك من كان يجس مباشرة على المؤسسة دون ذكر جوامعها، وهنا نذكر ما حبسه محمد باشا على مؤسسة سبل الخيرات عام 1198-1199هـ/1783-1784م، وكان بمجمو حبسه 21 خانوتا³⁵ قدر مرددها سنويا بـ 884 ريالاً³⁶.

واستنادا إلى دفتر وقف يعود إلى عام 1212 هـ / 1797-1798م³⁷ فإن عدد العقارات المحبسة على مؤسسة سبل الخيرات قد بلغ 412 عقارا توزعت كالتالي :

النسبة المئوية	العدد			نوع الوقف
	ربع	نصف	كامل	
78,15%	1	12	309	خانوت
07,52%		2	29	علوي
3,15%			13	مخزن
2,66%	2	2	7	دار
2,42%			10	بيت
1,54%			6	غرفة
0,97%	1	1	2	كوشة
0,72%	3/4		2	حمام
0,48%			2	بحيرة
0,24%			1	رقعة
0,24%			1	فرن

وتتواجد العقارات المذكورة والموقوفة لصالح مؤسسة سبل الخيرات في 36 مكانا
توزعت على النحو التالي :

مكان الوقف	العدد	مكان الوقف
الدوامس	39	العلوي الصغير
باب الجزيرة	30	فندق الزيت
سوق اليهود	27	القيصرية
الغرارة	22	السوق الكبير
البشماقية	21	سوق التماقين
قرب بيت الملحي	21	العلوي الكبير
المسجد الأعظم	21	خارج باب الوادي
المقفولجية	21	سوق السمن
خارج باب عزون	19	الشماعين
يكريجي القديمة	18	دار الإمارة
عين الجديدة	16	كتشاوة
باب عزون	16	المحكمة المالكية

الديوان	12	بئر الجباح
الصاغة	12	القصبة
باب البحر	12	صاحب الطريق
القوة الكبيرة	11	سويقة عمور
الصباغين	11	الحامة
الرحبة القديمة	10	عين الأزرق

ومما يلاحظ أن 93,93% من العقارات الموقوفة كانت بداخل مدينة الجزائر.

4. استغلال أوقاف سبل الخيرات :

لجأت مؤسسة سبل الخيرات إلى الإيجار المعروف محليا بالكراء، لأجل استغلال أملاكها المحبسة، وهو أسلوب اقتصادي ناجح مكن المؤسسة من أن تحني أرباحا معتبرة، ويسمح الكراء للمستأجر والمعروف محليا بالكارري ان يستغل العقار المحبس دون ان يملكه فيستعملها للسكن أو يسخره لنشاط اقتصادي منتج³⁸، مقابل أجرة أو كراء، قد يكون مبلغ من المال أو قسط يدفع من المنتوج أو الغلة عن تعلق الأمر بالمساقاة أو المزرعة³⁹، وتحدد مدة الكراء في عقد الكراء⁴⁰ وفق أحكام الوقف.

لقد سمحت مؤسسة سبل الخيرات لجميع العناصر المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر وضواحيها باستغلال أملاكها الموقفة عن طريق الكراء، وهذا دون تمييز من حيث الأصل أو المركز الاجتماعي، فوفرت للبعض مكانا للإيواء والسكن وأعطت للبعض الآخر فرصة للقيام بعمل ومجالا للكسب أيضا، فأدت بذلك دورا اجتماعيا واقتصاديا في آن واحد.

واستنادا إلى دفتر البايليك رقم 312 المذكور آنفا فإن عدد الأشخاص المستغلين لأوقاف المؤسسة عن طريق الكراء قدر بـ 354 فردا موزعين كالتالي :

- الحضر أو البلدية : بلغ عددهم 269 شخصا بنسبة 75.98% من العدد الإجمالي.

- اليهود : بلغ عددهم 39 شخصا بنسبة 11.01% من العدد الإجمالي.

- الأتراك : بلغ عددهم 27 شخصا بنسبة 7.62% من العدد الإجمالي.

- الكراغلة : بلغ عددهم 7 أشخاص بنسبة 1.97% من العدد الإجمالي.

5. الجماعات البرانية : بلغ عددهم 7 أشخاص توزعوا كالتالي : 4 مزايين و2 بساكرة وجيجليا وواحد ومثلوا 1.97% من العدد الإجمالي.

6. ويتضح لنا من نفس الدفتر أن مجموعة أخرى كانت تستغل أوقاف سبل الخيرات عن طريق الكراء وهي موزعة كالتالي : مغربيا واحد، شاميا واحد، طرابلسيا واحد، مسيحيا واحدا، (لم تذكر الوثيقة بلده) وإغريقيا واحدا.

ومما يلاحظ أن هذه العناصر المذكورة كانت تشكل في مجملها العناصر الفاعلة والمحركة ليس فقط لمؤسسة سبل الخيرات وإنما لمدينة الجزائر، إذ كانت محور الحياة الاجتماعية بها وأساس مجتمع مدينة الجزائر وضواحيها ولعل هذه التعددية في تركيبة مجتمع مدينة الجزائر تؤكد الطابع "الكوسموبولوتي" لعاصمة الجزائر أثناء العهد العثماني.

ومما سبق يمكن لنا القول بأن مؤسسة سبل الخيرات باعتبارها مؤسسة خيرية كان لها دورا بارزا في مجتمع مدينة الجزائر. فقد ساهمت بفعالية في الحياة العلمية⁴¹ والدينية والاجتماعية والاقتصادية وهذا ما يظهر من منشآتها العديدة وفي مقدمتها المساجد والزوايا والكتاتيب (المسايد)، كما تؤكد رعايتها وصيانتها وإنفاقها على تلك المنشآت وكذلك توليها دفع المنح للطلبة وأحور المدرسين والقائمين على

شؤون العبادة وفي مقدمتهم الخطباء والأئمة والحزابين والمؤذنين وكذلك أjour
القائمين على أمور الصيانة والتنظيف، وتقديمها لها لهم إمكانيات الإيواء والإقامة.
إضافة إلى ذلك مد يد العون لعابري السبيل والمعوزين وإيجادها لفئات عديدة من
مجتمع مدينة الجزائر وضواحيها مجملا للعمل والكسب والعيش الكريم. قبل أن
تعرض هذه المؤسسة للتصفية على يد الإدارة الاستعمارية منذ 1830 و تصفى نهائيا
سنة 1873 وبذلك فقد المجتمع الجزائري مجالا حيويا ميز الجزائر في العهد العثماني.

الهوامش :

1. نقصد هنا الوقف الخيري وليس الأهلي.
2. الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علية 18/1
3. صحيح مسلم، كتاب الوصايا، باب ما يلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته، الجزء الثالث، رقم الحديث 1631، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، ص 425.
4. صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب، الجزء الثاني، رقم الحديث 2772، لبنان، المكتبة العصرية 1979، ص 855.
5. السيو عبد لي المهدي، "مراكز الثقافة وخزائن الكتب الجزائر عبر التاريخ : نشأتها، تطورها، آثارها" الأصاله، عدد 11، 1971، ص 88-89.
6. عن أوقاف الحرمين الشريفين انظر :

Hoxter.m.; Endowment rulers and community .Waqf al Haramayn in ottoman Algiers, lienden-boston-koln, Brill, 1988.

SAIDOUNI nacerddine, " les liens de l'Algérie ottomane avec les lieux saints de l'islam à travers le rôle du waqf du Haramayn », in les fondations pieuses (waqf) en méditerranée : enjeux de société, enjeux de pouvoir, coordonné par randi DEGUILHEM et abdelhamid HENIA, Koweït, fondation publique des awqaf du Koweït, 2004,pp.17-64.

NOMIER Akael, les fondations pieuses à Alger au XVIII siècle (une étude comparative de waqf), thèse de doctorat de l'université d'aix- Marseille I , juin 2002, t.1,pp80-401.

غطاس عائشة "حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر " دراسات إنسانية عدد خاص، 2001-2002، ص 140-151.

7. عن أوقاف الجامع الأعظم أنظر : التميمي عبد الجليل، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، تونس، منشورات المجلة التاريخية المغربية، عدد 5، 1980.

NOMIER AKAEL, Op.cit,t2, pp.402-504.

8. عن أوقاف الأندلسيين أنظر، سعيدوني نصر الدين، أوقاف الأندلسيين بمدينة الجزائر من خلال وثائق الأرشيف الجزائري، دراسات أندلسية. مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، بيروت دار الغرب الإسلامي، 2003 ص 75-101.

NOMIER AKAEI, Op.cit, t2, pp.402-504.

9. حول أوقاف الأضرحة والزوايا والأرشيف والمساجد انظر :

Devoulx .a, les édifices religieux de l'ancien Alger, typographie bastide, 1870.

10. عن مساهمة المرأة في الوقف في مدينة الجزائر أنظر عطاس عائشة "إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني" المحلة التاريخية المغاربية، العددان 85-86، 1997، ص 99-130.

11. سعيدوني نصر الدين، "الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر (أواخر العهد العثماني ووائل الاحتلال الفرنسي)" دراسات تاريخية في الملكية والوقف والحياة، الفترة الحديثة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001، ص 235.

12. سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج 1، ص 239.

13- BUSSON DE JANSSENS Gérard, contribution à l'étude des habous public algériens, thèse de doctorat en droit, Alger décembre 1950, p.33.(texte dactylographie, B.U d'Alger)

14. يبلغ عدد المساجد الحنفية بمدينة الجزائر 14 مسجدا، 9 منها تابعة لسبل الخيرات.

15. عن هذه الجوامع انظر :

DEVOULX .A., Op.cit ;

Ibid notes historique sur les mosquées religieux d'Alger. Alger, Jourdan 1912

WAILE.V. « autour des mosquées d'Alger » in revue africaine, 1899, pp.5-13.

DOKALIR ., les mosquées de la période turque à Alger , Alger, S.N.E.D .,1974.

سور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، الجزائر، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1975.

16. سعيدوني نصر الدين "موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر أواخر العهد العثماني"، دراسات تاريخية في الملكية والوقف، ص211-212.
- 17- DEVOULX ., les édifices religieux... op. cit ., p.2.
18. سعيدوني نصر الدين "موظفو مؤسسة الأوقاف. .."، مرجع سبق ذكره، ص211.
19. تزخر وثائق المحاكم الشرعية بمثل هذه الأمثلة.
20. سعيدوني نصر الدين "موظفو مؤسسة الأوقاف. .."، مرجع سبق ذكره، ص 19212
21. يكون الخطيب في بعض الأحيان هو المدرس والقاضي ووكيل الخزانة. أنظر الأرشيف الوطني الجزائري، البايليك، دفتر 326 و 336.
22. يشار إليه في الوثائق بابش مؤذن وجماعته.
23. يشار إليه في الوثائق بابش حزاب وجماعته.
24. الأرشيف الوطني الجزائري، البايليك، دفتر 328 و 329 و 336.
- 25- DEVOULX ., les édifices religieux... op .cit., p.7.
26. إلا أن معظم المحبسین عليها من الأتراك.
27. سعيدوني نصر الدين "موظفو مؤسسة الأوقاف. .."، مرجع سبق ذكره، ص208.
28. تنازل عن الرندانة لتضم الرقعة المخصصة لبناء جامع الجديد على انقاض المدرسة العنانية.
29. NOMIER AKAEL , Op.cit,t2,pp.533-536.
- 30- ibid., pp.537-541.
- 31- ibid., pp.547-551.
- 32- ibid., pp.545-546.
33. عن تروة الانكشارية في مدينة الجزائر أواخر القرن 18 م انظر :
- SHUVAL.T.,La ville d'Alger à la fin du XVIII^{eme} siècle .population et cadre urbain , paris, C.N.R.S., 1998 .
34. تزخر وثائق المحاكم الشرعية بقضايا العتق والتحبس لصالح المعتقين، انظر إلى سبيل المثال الأرشيف الوطني، المحاكم الشرعية، علبة 48 وثيقة 45، وعلبة 51 وثيقة 79.

35. الأرشيف الوطني الجزائري، البايليك، دفتر 316.

36. نمير عقيل "حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، أوقاف مؤسسة سبيل الخيرات من خلال المساجد الحنفية"، دراسات إنسانية، عدد خاص، 2001-2002، ص 123.

37. الأرشيف الوطني الجزائري، البايليك، دفتر 312.

38- DEGUILHEM.R, « approche méthodologique d'un fonds de waqf. deux registre de sari 'a du XIX eme siècle à damas », in le waqf dans l'espace islamique. Outil de pouvoir sociopolitiques. Organisé par Randi DEGUILHEM , préfacé par André RAYMOND, damas, institut français d'études arabes de damas 1995, p66.

39- ABRIBAT. j., essai sur les contrats de quasi aliénation et de location perpétuelles auxquels l'institution de habous a donné naissance , Alger, a. Jourdan, 1902,p.10 ;

VAN DENBERG.L.W.G, Principe du droit musulman selon les rites d'abou hanifa et de chafi'i traduit du hollandais par R. de France Tersant avec la collaboration de M Danienes, Alger. A Jourdan, 1896, p.31.

40- LUCCIONI .les habous ou waqf ; rite malékite et hanéfite, Casablanca, s/d, p.79 ;

WORMS .M « recherche sur la propriété territoriale dans les pays musulmans », in revue de législation et jurisprudence, janvier-avril 1884, p.391 ;

MERCIER.E., habous ou ouakof, ses règles et sa jurisprudence, Alger, A. Jourdan, 1895, p.31 ;

Abribat.j., Op.cit, p10 ;

Deguilhem.r., Op.cit,p.66.

41. أنظر عن التعليم في الجزائر في المعهد العثماني.

- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 311-384.

-نفسه، "بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)"، بحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني، استانبول 12-15 أبريل 1999، استانبول، يلديز يانجيليك، 2000، ص 79-112.

- زهرة زكية، "الموسسة التعليمية بمدينة الجزائر أثناء الفترة العثمانية"، استانبول 12-15-1999، ص 113-134.

EMERIT.M., «l'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830», in revue des travaux de l'académie des sciences morales et politiques, 1954,pp.1-14 ; FOCIN.P

«l'instruction des indigènes en Algérie», in revue international de l'enseignements , n° 6 ? 1883, PP.817-847.

المبحث الثالث : مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر

إعداد الأستاذة نعيمة بومشوش

1. نبذة تاريخية عن الجامع الأعظم بمدينة الجزائر :

يُعدّ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر من أقدم جوامع المدينة، إذ يعود تاريخه إلى القرن الحادي عشر¹. وتدل الكتابة الموجودة على منبره أنه كان موجودا في رجب 409 هـ / 1018م².

تبلغ مساحته 2000 متر مربع، وتشتمل إضافة إل المسجد على ملحقة تسمى الجنيّة، وبها فناء وعدد من الغرف يشغلها المفتي والعاملون بالمسجد. كما يوجد مصلى يستعمل للصلاة على الموتى وغرف للمؤذنين ودورات مياه مع عيون، وساحة كبيرة نصبت فيها بطارية من أربعة مدافع³.

يبلغ عدد أبواب الجامع الأعظم تسعة، تتوزع كما يلي: في اتجاه الميناء، وينفتح على خمسة أبواب : باب الجنيّة، باب البواقل، وذلك لوجود جدار من طين مملوءة بالمياه ليرتوي العطشان، باب الفوارة تؤدي إلى المحراب وباب الصومعة، إضافة إلى باب غير محفور وضعته السلطة الاستعمارية، وكان هذا الجزء من البناء قد أنشئ فوق مخزن كبير يستعمل لاحتياجات البحرية.

أما الناحية الشمالية الشرقية للجامع فتفتح بباين: باب الجنائز وباب الطحطاحة، ويقابلها بابان في الجهة الجنوبية الغربية للجامع⁴.

ويبدو أن الجامع الأعظم قد تعرّض لأضرار عند تعرض المدينة للقصف من قبل السفن الأوروبية، وذلك نظرا لقربه من البحر. من هذه الأضرار تلك التي لحقت به

خلال القرن السابع عشر أثناء قنبلة بوارج فرنسية لمدينة الجزائر، وقد اضطر القائمون عليه لترحيل مكتبته حفاظا عليها.⁵

كانت مدينة الجزائر تشتمل على عدد كبير من المساجد بلغ عددها سنة 1830م 106 مسجدا منها 92 على المذهب المالكي و14 على المذهب الحنفي⁶، ورغم ذلك فقد امتاز عنها الجامع الأعظم بدوره الديني والاقتصادي والاجتماعي، فقد كان يديره ثلاثة وكلاء تحت إشراف مفتي⁷، عكس بقية المساجد التي كان يديرها وكيل واحد⁸.

كان الوكيل الأوّل يدير أوقاف المسجد، والوكيل الثاني يدير الأوقاف المخصصة للمؤذنين والثالث يدير الأوقاف الخاصة بالحزّابين⁹.

وقد لعب هذا الجامع دورا رائدا خلال كل الفترة العثمانية، إذ احتضن المجلس العلمي وغطى على أنشطة كل الجوامع الأخرى حتى التي أنشأها الأتراك أنفسهم، وكثيرا ما كانت فيه الأسبقية للمفتي المالكي على المفتي الحنفي في مختلف القضايا¹⁰. وبحلول الاستعمار الفرنسي بالجزائر تحوّل إلى منبر للمقاومة، إذ وقف مفتيه مصطفى بن الكبايطي مؤيدا من أهل البلاد ضد قرارين رسميين فرنسيين يرميان إلى الاستيلاء على الأوقاف وإدخال اللغة الفرنسية إلى المدارس القرآنية. وقد رأت السلطة الاستعمارية أن إدارة المسجد الأعظم المدعّمة بما تدرّه عليها الأوقاف من أموال تشكل خطرا على أطماعها ومشاريعها، إذ كانت تخشى من استعمال هذه الأموال في تنظيم المقاومة ضد الوجود الاستعماري الفرنسي، مما جعلها تتخذ قرار 23 مارس 1843 القاضي بضم الأوقاف إلى إدارة الدّومين¹¹.

2. تسيير مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم :

أ. متى ظهرت؟ تأتي مؤسسة الجامع الأعظم في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مؤسسة الحرمين الشريفين، ويبدو أنها بدأت مع القرن السادس عشر، إذ نجد

إشارات لعقود وقف ابتداء من هذا القرن، ولم نعث على عقود تعود إلى فترة ما قبل المرحلة العثمانية.

ويعود أول عقد تقييس إلى سنة 947هـ / 1540 - 1541م، وانطلاقاً من هذا يمكن أن نقول أن مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم ظهرت خلال منتصف القرن السادس عشر، وما فتئت تتطور حتى القرن التاسع عشر عندما استولت عليها السلطات الاستعمارية في سنة 1843م بعد اتمام مفتيها مصطفى بن الكبابي بمقاومة الاحتلال الفرنسي. وقد وصل دخلها السنوي في 1830م إلى 43222.70 فرنك تدرّها 1558 وقفا¹².

ب. موظفوها :

كان الجامع الأعظم بمدينة الجزائر ونظراً لأهميته يشتمل على عدد كبير من الموظفين، ويتمثل هؤلاء إضافة إلى المفتي المالكي -الذي كان في نفس الوقت إمام وخطيب يوم الجمعة والعيدين- في إمامين وحامل بندقية المفتي ومُحضر المفتي و19 أستاذاً و18 مؤذناً و8 حزايبين يقرؤون القرآن الكريم و3 وكلاء، أحدهم مكلف بتسيير أوقاف المسجد مباشرة تحت أوامر المفتي ويعتبر الوكيل الرئيسي، ووكيل ثانٍ مكلف بأوقاف المؤذنين، وهو مستقل عن المسجد ووكيل ثالث مكلف بأوقاف الحزايبين مستقل عن السابقين، هذا إضافة إلى 8 منظمين و3 عمال مكلفين بإنارة المسجد¹³. وكان هؤلاء يأخذون أجورهم من أوقاف المسجد الأعظم.

ج. العائلات التي ساهمت في إدارة وقف الجامع الأعظم :

ويبدو أن هناك عائلات تولّت الفتوى المالكية بالجامع الأعظم من أشهرها عائلة قدورة، ومن أبرز الأسماء نجد ابن جعدون وابن الشاهد وابن الأمين وابن نيكرو¹⁴. وقد نشر دوفولكس قائمة غير كاملة للمفتين المالكيين بهذا الجامع ضمّت الأسماء التالية :

- سيدي أحمد بن أحمد بن منصور
- سيدي أبو البركات الباروني (1364 - 1365م)
- محمد بن بلقاسم بن إسماعيل (1012 هـ)
- سيدي عمّار (1614م)
- سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم قدورة (1621 - 1650م)
- محمد بن سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم (1655 - 1696م) (قدورة)
- سيدي أحمد بن سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم (1696 - 1706م) (قدورة)
- عبد الرحمان بن أحمد المرتضى (1707 - 1710م)
- الحاج سعيد بن أحمد بن سعيد (1710 - 1712م)
- عبد الرحمان بن أحمد المرتضى (1712م)
- الحاج سعيد بن أحمد بن سعيد (1713 - 1714م)
- المهدي بن صالح (1715م)
- عبد الرحمان بن أحمد المرتضى (1716 - 1722م)
- عمر بن عبد الرحمان (1723)
- عبد الرحمان بن أحمد المرتضى (1723م)
- عمر بن عبد الرحمان (1723 - 1731م) (2x)
- محمد بن المبارك (1734 - 1738م)
- محمد بن إبراهيم (1738 - 1739م)

- الحاج أحمد بن الزروق بن محي الدين بن عبد اللطيف (1740 - 1753م)
- عبد القادر بن محمد البراملي (1755م)
- محمد بن أحمد المسيسي (1756 - 1761م)
- الطاهر بن محمد (1762 - 1762م)
- عبد الرحمان بن أحمد المرتضى (1763م)
- مصطفى بن أحمد المسيسي (1763 - 1765م)
- أحمد بن أحمد (1766م)
- الحاج أحمد بن عمار (1766م)
- عبد الرحمان بن أحمد المرتضى (1766م) (5x)
- الحاج أحمد بن سي عمر (1767 - 1770م)
- الحاج محمد بن أحمد بن جعدون (1771 - 1783م)
- محمد بن الشاهد (1784 - 1792م)
- الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين (1792م)
- محمد بن الشاهد (1792م) (2x)
- محمد بن محمد بن الخوجة (1792م)
- محمد بن الشاهد (1792م) (3x)
- الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين (1793م)
- محمد بن محمد بن علي (1793م)

- الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين (1793 - 1796م)
- الحاج محمد بن أحمد بن مالك (1796 - 1798م)
- الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين (1798 - 1811م)
- محمد بن محمد بن علي (1814 - 1815م) (2x)
- الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين (1815 - 1817م)
- أحمد بن علي بن جعدون (1817 - 1818م)
- الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين (1818 - 1820م)
- محمد بن الحاج إبراهيم بن موسى (1820 - 1824م)
- علي بن محمد المنقلاقي (1824 - 1830م)

وحسب هذه القائمة غير الكاملة نلاحظ عدم استقرارٍ في البقاء في منصب مفتي، إذ كثيرا ما نجد أربعة إلى خمسة مفتيين في نفس السنة، كما نلاحظ ظهور بعض المفتيين ثم اختفاءهم وعودتهم إلى منصبهم حتى أن بعضهم عاد إلى نفس المنصب ست مرات. وقد يكون ذلك راجعا إلى التنافس على هذا المنصب نظرا لغنى الجامع الأعظم من جهة وللقيمة الاجتماعية لمفتي الجامع الأعظم من جهة أخرى، وربما يخضع ذلك لأهواء الحكام الذين كانوا يُعيّنون المفتين.

3. دور مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم :

لعبت مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم دورا هاما في مختلف المجالات، منها الحفاظ على الجامع الأعظم كمعلم وتأدية وظائفه الثقافية والدينية والاجتماعية.

فبالنسبة للمجال الأول تُبرز لنا وثائق الأوقاف استعمال أموال الأوقاف لترميم المسجد والحفاظ عليه، إذ تتحدث إحداها عن "أجرة البنائين والخدمين في الطحطحات"¹⁵ و"سطح الجامع الأعظم" التي تصل إلى 28 ريالاً، كما تصل أجرة "حمالين الحير وتراب البنيان" إلى 171 ريالاً¹⁶. وكانت أعمال الترميم تتم عموماً مرة في السنة بصفة مستمرة، غير أنه في بعض الأحيان تستدعي الضرورة إصلاحه أو إعادة تجديد جزء إثر تدمره أو تضرره¹⁷.

واهتم القائمون على الجامع الأعظم إضافة إلى الحفاظ عليه كمعلم تاريخي وديني بنظافته وترتيبه من الداخل والخارج ليكون مناسباً للمصلين، إذ تذكر الوثائق أجرة خدمين التقيض التي وصلت إلى 67 ريالاً وأجرة البياضين¹⁸ التي بلغت 16 ريالاً وغداء "حياطي الحصر" الذي حدّد بـ 32 ريالاً وثمان الحصر الذي كان 69 ريالاً وثمان زيت الإنارة الذي بلغ 566 ريالاً. ولم يكن القائمون على الجامع الأعظم بإعداده ليجد المصلي راحته فيه بل جاوزوا ذلك إلى تعطيره، إذ تذكر إحدى الوثائق ثمن ماء الورد الذي يعطّر به الجامع الأعظم والذي وصل إلى 85 ريالاً. كما سهر القائمون على الجامع الأعظم على توفير حتى الكماليات لقارئ الأعراب والطلاب والمصلين، خصوصاً خلال شهر رمضان، إذ تتحدث الوثائق عن ثمن الزلاية الذي قارب 940 ريالاً¹⁹.

غير أن الملاحظ أن هذا الاهتمام الكبير تجاوز الجامع الأعظم لينصبّ على البنايات والعيون والسواقي والبحاير الموقوفة لصالح الجامع. وتذكر إحدى الوثائق ثمن "قفل لدار النقجة" الموقوفة على الجامع الذي وصل إلى 22 ريالاً وثمان "إصلاح سانية بحيرة بالحامة" بـ 50 ريالاً، وثمان "بنيان البيت التي داخل الجنيّة" بـ 380 ريالاً، وثمان "بنيان الدار الحمراء وباهما" بـ 392 ريالاً، وثمان "قفل حانوت ابن العربي" بـ 132 ريالاً، وثمان "بناء الفرن الذي بباب عزون" بـ 63 ريالاً²⁰. وعليه

فبالسهر على بقاء الجامع الأعظم وعلى الأملاك الموقوفة لصالحه تمكن هذا الجامع من تأدية وظائفه الثقافية والدينية والاجتماعية.

ففي المجال الثقافي كان يؤدي 19 أستاذا وظيفتهم في تعليم الطلبة وتنويرهم، وكانت أجورهم تُقتطع من عوائد الأوقاف. ونظرا لوفرة هذه العوائد تمكن المشرفون على مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم من إنشاء زاوية تابعة للجامع تدعى زاوية الجامع الكبير، وذلك على عهد المفتي سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم سنة 1039هـ / 1629 - 1630م. وهي مقابلة له وتضم مسجدا بدون منارة ومدرسة وزاوية للعلماء الفقراء تضمّ طابقين ودورات مياه وعيون وأماكن للوضوء وعدة مواضع لإسكان العمال²¹. وبهذا كانت تضمن التعليم للطلبة وتيسّر لهم الدراسة وتضمن الإقامة للأساتذة.

كان الجامع الأعظم إضافة إلى ما ييسره للطلبة والأساتذة يشتمل على مكتبة غنية تضمن للدارسين الإطلاع على الكتب النفيسة، ويتحدث عنها دوفولكس نقلا عن حسين بن رجب فيقدر عدد كتبها سنة 1100 هـ بـ 300 كتاب. وقد اضطر القائمون على المسجد لنقلها إلى برج مولاي الحسن في أعالي المدينة لتفادي تلفها بفعل قبلة المدينة، وقد دام نقلها 3 أيام كاملة²².

وفيما يخص دوره الديني فكان يتفرّع إلى دورين: الدور الديني الأول، حيث كان الجامع الأعظم بمدينة الجزائر مقرا للمجلس العلمي الذي كان يجتمع يوم الخميس للبتّ في القضايا الهامة التي لم يُتوصّل إلى حل لها في المحكمة²³، وكان يفصل في النزاعات التي تنشأ بين الأهالي ويفصل في القضايا الفقهية الشائكة، ولاسيما التي يختلف فيها القضاة عند التطبيق والتنفيذ. كما كان مركزا للمناظرات بين العلماء²⁴، وكان يضم المفتين المالكي والحنفي والقاضين المالكي والحنفي وباش عادل وعادل وضابط سامي برتبة يايا باشي كمثل للسلطة العثمانية²⁵.

أما الدور الديني الثاني للجامع الأعظم فيتمثل في تأديته لمهامه الدينية في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين من جَمْع المؤمنين وتنويرهم بمقاصد الشَّرْع، مما جعل عددا كبيرا من الأهالي وبغية منهم في كسب الحسنات يلجؤون إلى توقيف جزء من أملاكهم على الخزّابين الذين يقرؤون القرآن الكريم لصالحهم أو لصالح أحد أقاربهم حسب الشروط المذكورة في عقد التوقيف: ظهرا وعصرا¹³ أو بعد العشاء أو أيام الجمعة... الخ. كما أن هناك من يشمل بوقفيته الخزّابين والمؤذنين بالجامع الأعظم²⁷.

كانت إذن مثل هذه الوقفيات حافزا للمسجد الأعظم ليضطلع بمهامه على أحسن وجه، وقد بلغ لدى الأهالي درجة من التقدير جعلت الحجاج يزورونه مباشرة بعد عودتهم من البقاع المقدسة تقديرا له ولدوره²⁸. وقد حظي بهذه المكانة العالية رغم كون مدينة الجزائر تزخر بعدد كبير جدا من الجوامع.

أما فيما يخص دوره الاجتماعي فقد كانت الأموال التي يدرّها الوقف تُصرف في مناحي البر المختلفة من فقراء ومساكين ومحتاجين. وساهم بذلك في رفع العين ولو جزئيا عن بعض الأهالي المعوزين.

4. أهمية وثائق أوقاف الجامع الأعظم للإطلاع على طبيعة مجتمع مدينة الجزائر

إن وثائق الأوقاف تفتح لنا آفاقا واسعة لإعادة بناء المدينة على الشكل الذي كانت عليه خلال العهد العثماني، إذ تعددت الوقفيات من حوانيت وحمامات وكوشات وأفران وجناين ورقعات وبحاير في مختلف المناطق بمدينة الجزائر وفحوصها وحتى خارج الفحوص، مما يمكّننا من تصور المدينة وفحوصها آنذاك.

إن وثائق أوقاف الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة تعطينا نظرة عن جزء من شبكة الطرقات داخل مدينة الجزائر والتي لم تعد موجودة اليوم أو لم تعد أسماؤها القديمة متداولة، في حين هناك بعض الشوارع التي حافظت على التسميات القديمة

مثل زنقة الفرينة، زنقة بن فارس، كما تذكر لنا الحمامات مثل حمام السبوعة، حمام ميزومورطو، والأسواق مثل سوق الشماعين وسوق الجمعة، والفنادق مثل فندق الزيت، فندق يكي مسلمان، والجوامع مثل الجامع الجديد، الجامع المعلق، والعيون مثل عين مزوقة، عين السخونة، والآبار مثل بئر رمانة، بئر مراد رايس، والفحوص مثل فحص الحامة، فحص القادوس²⁹.

وعند دراسة المحبسین نستطيع أن نستخرج عدة فئات كانت تتعايش في مجتمع مدينة الجزائر؛ منها العسكري وموظفو الدولة الكبار، رجال الدين، أصحاب الحرف، الأتراك والكراغلة، الحضرة، القاطنين بالمدينة والوافدين من مدن أخرى وحتى من خارج الجزائر والنساء.

والملاحظ أن الوقف لم يكن مقصوراً على شريحة دون أخرى، ففيما يخص الفئة الأولى أي العسكر نجد أن طبقة الأغوات الذين أوقفوا أملاكهم بلغ أربعة خلال القرن السابع عشر و1 خلال القرن الثامن عشر. والملاحظ أن جل الأملاك المحبسة هي ديار. أما البلوكباشية والذين كان عددهم هو الأكبر خلال الفترة العثمانية³⁰ فنجد أحباسهم تصل إلى 8 وقفيات تتوزع بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر³¹. أما المدفوعين فقد حبس واحد فقط هو عبد الرحمان باش طوبجي خلال القرن التاسع عشر³². كما أن هناك أحد العساكر المعتمدين بدار الإمارة المكرم مصطفى شاوش حبس حنة في بداية القرن التاسع عشر³³.

أما جنود الانكشارية فتصل وقفياتهم إلى ستة تعود إحداها إلى القرن السابع عشر وتتوزع البقية بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وفي آخر السلك العسكري نجد جندياً بسيطاً برتبة يولداش حبس جزءاً من حانوت لفائدة الجامع الأعظم في بداية القرن التاسع عشر³⁴.

ولم يتخلف الرياس ورجال البحر عن تحبّيس ممتلكاتهم لصالح الجامع الأعظم، فقد وصل عدد وقفياتهم إلى 13 وقفية؛ 5 منها خلال القرن السابع عشر و5 خلال القرن الثامن عشر، وتنخفض بالنسبة للقرن التاسع عشر لتصل إلى 3 وقفيات فقط. ويفهم هذا من خلال تدهور حالة البحرية الجزائرية التدريجي³⁵.

أما عن موظفي الدولة من المدنيين فنجد عددا معتبرا من الوقفيات يصل إلى 35، تتوزع كما يلي: 1 في القرن السادس عشر، 7 في القرن السابع عشر، 10 في القرن الثامن عشر و13 خلال القرن التاسع عشر. ويتنوع الموظفون من باشوات وشواش بيت المال وموظفون برتبة دولانلي وخزناجي وترجمان ووكيل الباي ووكيل الخرج... الخ. وهناك إلى جانب موظفي الإدارة المركزية أولئك الذين يديرون الأقاليم³⁶.

وإذا أطللنا على فئة رجال الدين فإننا يمكن أن نُعدَّ عشر وقفيات خلال الفترة العثمانية؛ 8 منها في القرن السابع عشر واثنان فقط خلال القرن التاسع عشر مع وجود فراغ بالنسبة للقرن الثامن عشر³⁷. وقد يعود هذا إلى تدهور الوضع الثقافي في الجزائر، مما جعل رجال العلم ورجال الدين لا يملكون ما يمكن أن يحبس، وليس أدلّ على ذلك من كون المؤسسات الدينية والثقافية كانت تسيّر من خلال الأوقاف أمام ضعف مساهمة الدولة أو انعدامها.

أما أصحاب الحرف فقد كانت لهم مساهمة جد معتبرة في أوقاف الجامع الأعظم لمدينة الجزائر، إذ بلغ عدد وقفياتهم 54، منهم أمناء الحرف كأمين الكواشين وأمين البنائين وأمين الحرّارين³⁸. إضافة إلى الأفراد مثل الحدادين والعطارين والدباغين... الخ³⁹. وتتوزع هذه الوقفيات حسب القرون كما يلي: 3 في القرن السابع عشر و19 في القرن الثامن عشر و25 في القرن التاسع عشر.

أما فئة الأتراك والكراغلة فيمثلون مساهمة معتبرة بعسكريهم ومدنيهم في أوقاف الجامع الكبير، فقد وصلت وقفياتهم إلى 89 وقفية، واحدة خلال القرن السادس عشر وواحدة بدون تاريخ و17 في القرن السابع عشر و32 في القرن الثامن عشر و37 في القرن التاسع عشر⁴⁰.

وكانت المساهمة الأهم هي مساهمة الحضر وسكان الفحوص، إذ بلغ عدد الوقفيات لصالح الجامع الأعظم 234 وقفية إضافة إلى القاطنين في المدينة الوافدين من أماكن أخرى مثل الحاج محمد فروي التلمساني⁴¹، الحاج قاسم العنابي⁴²، محمد إمام بجامع غانم بشرشال⁴³. ونجد حتى القاطنين بمدينة الجزائر والوافدين من وراء الحدود مثل الحاج محمد تطواني⁴⁴، والحاج إبراهيم تونسي البقار⁴⁵. وقد توزعت الوقفيات حسب القرون كما يلي: 7 في القرن السادس عشر، 26 في القرن السابع عشر، 103 في القرن الثامن عشر، ثم نلاحظ تراجعاً خلال القرن التاسع عشر، حيث يصل عدد الوقفيات إلى 79، مع العلم أن هناك وقفيات لم تذكر سنوات حبسها.

وكانت مساهمة الأندلسيين بسيطة تمثلت في 4 وقفيات فقط، وقد يعود ذلك إلى أنهم كانوا يحبسون لصالح أوقاف الأندلسيين⁴⁶.

أما الفئة الأخرى التي كانت لها مساهمة جد هامة في أوقاف الجامع الأعظم فهي فئة النساء اللواتي كنّ يحبسن أملاكهن لصالح هذه المؤسسة وموظفيها. وقد وصل عدد الوقفيات إلى 138 وقفية. والملاحظ أن أغلب الوقفيات تخص الديار بـ82 ثم الحوانيت 27 ثم الجنّات 19، الأحواش والأراضي والرقعات بـ6 وقفيات، وأخيراً البحيرات بـ4⁴⁷. كما نلاحظ أن المرأة في مدينة الجزائر كانت تحبس أكثر من المرأة في الفحص والتي وصلت مساهمتها إلى 5 وقفيات فقط مقابل 133 للمرأة الحضرية.

وتتوزع أوقاف النساء الخاصة بالجامع الأعظم على أربع قرون، فمنها 2 خلال القرن السادس عشر، 11 خلال القرن السابع عشر، 58 خلال القرن الثامن عشر، و67 خلال القرن التاسع عشر، إذ هناك تطور عددي من قرن إلى آخر. وكانت النساء المُحِسَّات من مختلف عناصر التركيبة السكانية لمدينة الجزائر، فهناك 25 امرأة تركية أو كرغلية والبقية من الحضرة القاطنات في مدينة الجزائر، ومن 25 امرأة هذه نجد بنات وزوجات الشخصيات الإدارية وقادة الجيش ورياس البحر.

أمام كل هذه المساهمات تبقى مساهمة الأهالي الجزائريين في أوقاف الجامع الكبير بمدينة الجزائر هي الأهم، حيث تبلغ 234 وقفية، تليها أوقاف النساء بـ138 ثم الأتراك والكراغلة بـ 89 فأصحاب الحرف بـ 54 ثم موظفي الدولة الكبار بـ 35 ثم الجند بـ 20 فالرياس بـ 13 ورجال الدين بـ 10. وتأتي في المرتبة الأخيرة فئة الأندلسيين بـ 4 وقفيات فقط.

الهوامش:

1. Waille. V, autour des mosquées d'Alger in R. A, T43, 1899, p 8.
2. Devoulx. A, les édifices religieux de l'ancien Alger, Alger Typographie Bastide, 1870, p 94.
3. Ibid, p 96.
4. Ibid, p 96 - 97.
5. Ibid, p 105.
6. Busson de Jansens. G, Contribution à l'étude des Habous publics Algériens. Thèse de doctorat, Alger, 1950, p 32.
7. SAidouni. N, «les biens Wakfs aux environs d'Alger », in Varia Turcica, XXVI, Istanbul, p 105.
8. Busson de Jansens. G, op. Cit, p 32.
9. Ibidem.
10. Devoulx. A, op. Cit, Pp 98 – 99.
11. سعد الله، قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843، موقف المفتي الكبابي من الأوقاف واللغة في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، بيروت، 1990، ص 11 – 12.
- Busson de Jansens. G, op. Cit, p 87.
12. سعيدوني. ن، "موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 57 – 58، جويلية 1990، ص 176.
13. Devoulx. A, Op. cit, Pp 122 – 123.
14. سعد الله، أ، تاريخ الجزائر الثقافي.
15. الطحطحات: أي ساحات المسجد.
16. سلسلة بيت البايك، علبة 12، سجل رقم 67، سنة 1168 هـ.
17. Chergui. S, « l'entretien et la conservation du patrimoine religieux d' après les documents Wakfs (XVIes – XIXes) cas de la grande mosquée d'Alger », in Dirassat insania, numero special, Université d'Alger, 2001 – 2002, Pp 156 – 157.
18. البياضين أي الذين يطولون الجدران بمادة الجير.
19. سلسلة بيت البايك، علبة 12، سجل رقم 67.

20. نفس المصدر.

21. Devoulx. A, Op. cit, Pp 123 – 124.

22. Ibid, Pp 99 – 100.

23. Venture de Paradis, "Alger au XVIIIes." In R. A, 1897, Pp 106 – 107.

24. سعد الله. أ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 258.

25. Devoulx. A, Op. cit, Pp 98 – 99.

26. سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 10 – 1، الوثيقة 51، سنة 1141 هـ. وتمنح هذه الوثيقة 6 ريات للحزابين.

27. سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 3، سنة 1832 – 1833.

28. Haedo. F ; D, « Topographie et histoire générale d'Alger » in R. A, 1871, p 273.

29. التميمي. ع، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المحلة التاريخية المغربية، عدد 5، تونس 1980، ص 28 – 56.

30. كان المرور من مرتبة بلوك باشي إلى رتبة يايا باشي لا يتم إلا لصالح 6 أفراد في السنة، مما جعل هذه الفئة جد معتبرة.

31. التميمي. ع، الوثيقة، ص 39، 40، 51، 47، 29، 32.

32. نفس المصدر، ص 55.

33. نفس المصدر، ص 45.

34. نفس المصدر، ص 44.

35. نفس المصدر، ص 50، 52، 53، 54.

36. نفس المصدر، ص 44، 46، 39، 35، 28، 31.

37. نفس المصدر، ص 36، 35.

38. نفس المصدر، ص 36، 33.

39. نفس المصدر، ص 38، 47.

40. نفس المصدر، ص 28 - 55.
41. نفس المصدر، ص 39.
42. نفس المصدر، ص 47 - 48.
43. نفس المصدر، ص 42.
44. نفس المصدر، ص 52.
45. نفس المصدر، ص 48.
46. نفس المصدر، ص 31 - 37.
47. لمعلومات إضافية عن أوقاف النساء، انظر: غطاس. ع، إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر.
48. التميمي. ع، الوثيقة، ص 38، 39، 40.

المبحث الرابع : أوقاف الزوايا والأضرحة

(إعداد الأستاذة : سعاد سرتين)

لقد حرص الحكام العثمانيون في الجزائر دوماً على التعاون لكسب أصحاب الطرق الدينية طوال فترة التواجد العثماني وهذا ما ولد نوع من التحالف بينهما، وكان العثمانيون يتقربون إلى المرابطين بشتى أنواع الوسائل كبناء الأضرحة والزوايا والوقف عليها. حسب سعد الله إن ضعف مستوى التعليم الذي كان سائداً مهد انتعاش الطرق الصوفية على اختلاف اتجاهاتها¹ كما مهد لوضع السياسة الأرضية لظهور المرابطين وانتشار الأضرحة والقباب ومزارات الأولياء حيث يتحدث سعد الله عن انتشار التصوف في المدن والأرياف خاصة في المدن الكبرى كجاية وتلمسان. ووهران وقسنطينة ومدينة الجزائر وأصبحت بعض المشاهد مألوفاً حيث يوجد أناس يتبركون ويزورون ويتقربون ويقيمون الحضرة كما لا توجد قرية أو مدينة بدون العديد من الزوايا والأضرحة حتى أن، الجزائر قد غرقت في الدروشة وعم التصوف² كما تكاثرت أوقاف المرابطين في مدينة الجزائر وفحصها وكذلك بالنسبة لباقي مناطق الجزائر كانت مؤسسة الوقف قد أخذت على عاتقها رعاية حاجات المشتغلين بالتعليم والمدارس والأضرحة والزوايا³. تعتبر دار السلطان النموذج المتطور بالنسبة لبقية الأقاليم الجزائرية الأخرى.

كان عدد الأضرحة في مدينة الجزائر تسعة عشر ضريحاً⁴ كان لهذه الأضرحة عدد كبير من الموردين ثمانية عشر منها تقع داخل مدينة الجزائر وواحد هو ضريح لسيدي ابن علال أغمون بمنطقة القبائل الكبرى⁵.

لقد بلغ عدد الزوايا في مدينة الجزائر اثنتي عشرة زاوية في عام 1830 إلا أنه انخفض في عام 1862 ليصبح خمس زوايا فقط حسب ديفول⁶. إلا أن التعفن في

الأحوال السياسية دفع بحركة التصوف إلى الانتشار داخل البلاد وأسس أتباع المرابطين زوايا لهم في الأرياف ظل بعضهم قائما إلي يومنا هذا⁷.

الزوايا :

إن هذه الزوايا قد تولت عبئا كبيرا كان من اختصاص الدولة. وكانت أغلب الأراضي بضواحي المدن موقوفة وقفًا خيريًا ومخصصة أساسًا للإنفاق على الزوايا والمساجد والأضرحة كما كان اتباع الزوايا يقومون بتوفير حاجة زواياهم برعاية شيوخها وخدامتهم والتابعين لها كزوارها وهكذا لم ير الناس ضرورة تخصيص أوقاف للإنفاق عليها إلا حصص القرية من المدن ولا ضرورة تخصيص للحفاظ عليها⁸ وترتكز هذه الأراضي الموقوفة حول المناطق التي تأثر أهلها بالطرق الدينية والزوايا⁹ كما أن هذه الزوايا لم تتمكن في كثير من الأحيان من مقاومة الزمان فاندثرت.

في المناطق الجبلية والناحية مثلا تكفل السكان بالإنفاق على المساجد والمدارس، والكتاتيب، كثيرا ما تجس الأراضي المجاورة للزوايا لإطعام رجالها والمترددین عليها وعادة ما تفرض الزاوية ضريبة العشر على جيرانها، إلا أنه لم يكن لهذه الضريبة الطابع الإجباري¹⁰.

وقال أحد الكتاب الفرنسيين أنه كان يوجد بالجزائر عدد كبير من المدارس¹¹ وما يلاحظ أن هناك نوع من التداخل بين دور الزوايا والمدارس¹² ولذلك سنذكر كل من الزوايا والمدارس.

- زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي تقع قرب ضريحه بباب الواد¹³
- أمسيد الديوان أو مدرسة الديوان والمجاورة لقصر الجينية وكان دخلها 54 فرنكا
- أمسيد ابن السلطان حسب وثيقة تعود إلى عام 1008هـ - 1599-1600
- مدرسة مجاورة للمقبرة المسماة بمقبرة علي باشا.

• زاوية المسجد الأعظم التي بنيت من فائض عائدات أوقاف المسجد الأعظم وتتكون هذه الزاوية من طابقين من الغرف ومرافق أخرى بنيت في عام 1039 هـ - 1629 م. 1650 م. من طرف المفتي المالكي سيدي سعيد ابن الحاج إبراهيم وقد بلغت تكاليف هذه الزاوية ومرافقها 4500 دينار جزائري وقدرت أملاك الجامع الأعظم بـ 12000 فرنك، وعائداته السنوية قدرت 160 ألف فرنك إلا أن هذه العائدات قد انخفضت في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال، إلا إن هذه الزاوية تميزت بمكانة خاصة من حيث أهمية مردود اوقاف المسجد التابعة له.

• زاوية كتشاوة

• زاوية المرسى.

• زاوية الانكشارية.

• زاوية سيدي هلال بباب الواد الذي يبلو أنه عاصر استقرار الأتراك بمدينة الجزائر.

• زاوية شيكتون بالقصبة.

• زاوية سيدي الصيد.

• زاوية مسجد السيدة التي بناها البيت المالجي صاري مصطفى بن الحاج

محمد في عام 1703 م ونواصل عرض الزوايا دائما حسب ديفول.

• زاوية سيدي بجة.

• زاوية الإنكشارية القديمة

• زاوية موزوتو

• زاوية الأندلس بمدينة الجزائر

- زاوية سيدي رمضان.
- امسيد الغولة. عثر ديفول على وثائق تخص هذه المدرسة ترجع إلى عام 1197 هـ 1782م جاءت تسمية الغولة لأن هذا المسيد يقع بجوار دار يقال عنها أنها تسكنها أشباح.
- زاوية سيد علي بن موسى أفوناس أو البقرة في منطقة المعاتقة الذي جاء في القرن التاسع من الساقية الحمراء تقع هذه الزاوية على الطريق الذي يؤدي إلى ذراع الميزان قرب تيزي وزو داخل قبيلة المعاتقة قدر ديفول وقف هذه الزاوية بـ 480 شجرة زيتون و340 شجرة التين وأراضي صالحة لزراعة وأقيمت لهذا الوالي قبة بعد وفاته في القرن الثاني عشر هجري أحرقت في عام 1268 هـ وأعيد بنائها في عام 1269 هـ 1852م
- زاوية الأشرف ويقول ديفول دائما أن داي الجزائر محمد بقطاش بنى زاوية مخصصة للأشرف بشارع الجنية عام 1221 هـ 1702م بمدينة الجزائر وأنها حظيت بأوقاف كثيرة.
- زاوية سيدي محمد الشريف كسب هذا الوالي احترام كبيرا من قبل سكان مدينة الجزائر توفي عام 940 هـ 1521م حسب الكتابة الموحدة على ضريحه.
- زاوية سيدي الجودي، وتعود هذه الزاوية إلى تاريخ 1081هـ 1670م تتكون هذه الزاوية من مقبرة عمومية كبيرة ومسجد من الدرجة الثانية تعود هذه الزاوية إلى 1081هـ 1670م 1671م.
- زاوية مولاي بو عنان 1110 هـ 1698م - 1699م بمدينة الجزائر.
- زاوية بن سيدي الشيخ أبواب الموحدة بمدينة الجزائر والمتكونة من مقبرة

وضريح وأشهر إليها من خلال العقود المؤرخة في، 1116 هـ - 1705م - 1706م،
1136 هـ - 1723م - 1724م، 1189 هـ. 1775م 1776م ويقول ديفول أن
وكيلها الحالي هو سيدي احمد الكزاز ابن سيدي أ يوب تبعا لعقد يرجع إلى عام
1215 هـ - 1801م 1800م كان منصب الوكيل في هذه الزاوية وراثي داخل
عائلة أرب تميزت هذه الزاوية بآراء رقعته¹⁴.

- زاوية الغبريني.
- زاوية إبراهيم التازي بوهران اتخذ زاويته مقر لنشاطه والذي تحدث عنه
الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل في عام 871 هـ.
- زاوية محمد بن جبار المسعودي الفجيجي التلمساني أنشأها في بلاده حدوش
وتوفي في عام 950 هـ وأوقفوا عليه الأوقاف.
- زاوية الشيخ الشليحي التي أنشأها له الباي حسن بوحنك في أولاد عيد
النور بقسنطينة
- زاوية بومسعود.
- زاوية بني مقران يقول سعد الله أنها تواجدت في الجزائر الشرقية في سنة
1093 هـ - 1112 هـ
- زاوية احمد بن يوسف الملياني برأس الماء يقال عنه أنه كان يستقبل الهدايا
ويقال أنه أيضا أنه كان يحمي مدينة بجاية ضد الأسباب وأن زاويته كانت ملجأ
للمجاهدين وغزة البحر توفي في عام 931 هـ وأعفيت زاويته من الضرائب.
- زاوية محمد التواتي الذي دفن ببجاية. يقال أن تلك الزاوية نزل بها قائد
الغزوة التركي كمال راييس سنة 901 هـ وحسب سعد الله ذكرته كل من المصادر
الجزائرية والعثمانية.

● زاوية أبو الغيث تلقى العلم في قسنطينة وتونس وبنى زوايا عديدة وكان يقدم المال لتحرير الأسرى المسلمين الذين يقعون بقبضة الناصري وفي ترميم المساجد وفي صرفه على الفقراء والمساكين.

● زاوية محمد عاشور ويقال عنه أنه كان يعتق الرقاب ويفدي الأسرى ويطعم المساكين ويجس الأحياس على المساجد.

● زاوية عبد الرحمن الأخضرى في بنطوس أعفيت من الضرائب من طرف باي قسنطينة.

● زاوية سيدي بومدين قدرت أو قافه بـ 23 وقفا بمنطقة تلمسان سنة 960هـ - 1500م.

● قد استفادت هذه الزوايا من دخل تلك الأوقاف. زالت هذه الزوايا بزوال أصحابها ولم يبق من شهرتها سوى بعض القباب والمساجد أو الأساطير والذكريات الموجودة لدى الناس. ويذهب بعض مرابطي الجزائر إلى القول أن أصولهم أندلسية ولا سيما مرابطو بلاد زواوة مثل عائلة ابن علي الشريف والصحاريدي وأنهم قدموا من الساقية الحمراء مثل بعض العائلات من دلس وشرشال وبنى مناصر وجرجرة وأولاد ابن القاض¹⁵.

(الزاوية حسب تعريف ديفول هي مؤسسة تعليمية يتفرغ فيها المرابطون للتعليم وإيواء الطلبة الذين يزاولون دروسهم والعلماء والغرباء والمتشردين والمعوزين. الزاوية هي أيضا بناية قد تكون صغيرة أو كبيرة تحتوي على عدد من الغرف الظيقة المنخفضة كما تحتوي على مرافق أخرى كالمراحيض والعيون).

لقد كان من واجب الزوايا والأضرحة ممارسة الضيافة اتجاه المسافرين والغرباء الأجانب المسلمين وحتى الخارجين عن القانون منهم اللاجئيين إليها، ناهيك عن إيواء وإطعام الطلبة والعلماء والمعوزين الغير قادرين على الحصول على سكن يخصهم¹⁶

وزورها الذين يترددون عليها. كما لا ننسى العمال الساهرين على رعايتها وصيانتها من وكلاء وغيرهم إلا أن هؤلاء الوكلاء لم يتمتعوا بمرتب قار وكاف، الشيء الذي يدفعهم إلى البحث عن مصادر رزق أخرى قد تكون على حساب أوقاف المؤسسات التابعة لهم.

كانت مهمة الوكيل في أي مؤسسة حظيت بأوقاف هي الإدارة، والتسيير، والحرص على جمع المداخل بشتى أنواعها النقدية والعينية، وإدارة النفقات وضبط الحسابات، وأجور العاملين بالمؤسسة، كما هو مطالب بتقديم تقارير أمام الهيئة العليا ألا وهو المجلس العلمي. فمن المؤكد أنه كان لهذه الزوايا دخل يمكنها على الأقل من أداء واجبها ويبدو أن غنى أو فقر الزوايا يترتب عن مدى سخاء أتباعها وفيما يخص العمال الساهرين على الزوايا اقتصر على الوكلاء، والأئمة، والحزابين، والقراء، مثل ما جاء عند سعيدوني بخصوص زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي¹⁷. ولا ننسى أن هذا الوالي قد تمتع بشعبية نادرة استمرت إلى يومنا هذا وتساءل هل توفر نفس النوع من العاملين بها لدى باقي الزوايا؟ كما أننا نعلم أنه كان يوجد فرق بين زوايا المدن وزوايا الأرياف¹⁸ أولا. وثانيا إن مكانة الزاوية مرتبطة بمردودها المالي الذي يرتبط هو الآخر بمكانة وشعبية الوالي أو المرابط. وحسب سعيدوني فإن أتباع الزوايا كانوا يراعون حاجياتها وخدمة شيوخها ولهذا لم يروا ضرورة تخصيص أوقاف للإنفاق عليها إلا أن هذه الزوايا تميزت ببساطتها وفقرها وأكثر من هذا أنها غير لائقة بمقام العلماء¹⁹.

الأضرحة :

إن قباب الأضرحة ومزارات الأولياء أصبحت تنتشر في كل مكان²⁰ بسبب انتشار التصوف. يقول سعد الله أنه ما لم يكتب ولم يدون أكثر بكثير مما كتب

وذكر²¹ وبالتالي يصعب علينا إحصاء الأضرحة والقباب إذ يقال أنه لم تخلو قرية ولا مدينة من العديد من القباب والأضرحة على سبيل المثال قدر عدد الأضرحة بمدينة الجزائر بـ 32 ضريحاً ومصدرنا هنا أيضاً ديفول. بذكر البعض من الأضرحة وان كان أغلبها قد زال مع زوال أصحابها ولم يبق منها قائماً إلا القليل ولا تفوتنا الإشارة إلى بعض القباب والأضرحة التي تحظى بعدد المرابطين لأنني أعتقد أن لكل مرابط، ولكل والي، ولكل شيخ، ضريح أو قبة.

(الضريح هو مكان يأوي قبر المرابط أو الوالي الصالح ويرفق بمسجد ومرافق أخرى يتكون عادة من حجرة منخفضة مربعة الشكل تعلوها قبة، كما يزين الضريح بزوايا وأعلام متعددة الألوان).

● سيدي عبد الرحمان الثعالبي :

نظراً لتصدر ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي قائمة الأضرحة ولشهرته الكبيرة أردنا أن نعطي لمحة وجيزة عن حياة "عبد الرحمان الثعالبي" :

ولد عبد الرحمان الثعالبي الجعفري سنة 785هـ / 1384م بواد يسر وينتمي إلى قبيلة الثعالبية وهي قبيلة شهيرة كانوا أمراء على مدينة الجزائر في نهاية القرن 8هـ و4م، فتنقل عبر أهم المدن الجزائرية وأقطار عديدة من العالم طلباً للعلم حيث تلقى العلم في كل من مسقط رأسه تلمسان وبجاية ثم تونس، ومصر، وتركيا، والحجاز، فتتلمذ على يد كبار علماءها ومشائخها كما مارس التدريس والإرشاد وأقيمت له زاوية بتركيا لازالت قائمة تؤدي رسالتها العلمية إلى يومنا.

كما زار الحجاز بالإضافة إلى أداء فريضة الحج تتلمذ عند البعض من علماءها وزار المدينة المنورة ودرس في المسجد النبوي الشريف فختتم رحلته الحجازية ليعود لكل من مصر وتونس إلا أنه لم يمكث إلا سنتين في مصر مواصلاً رحلته الثانية إلى

تونس الحفصية فتتلمذ على يد الشيخ أبا عبد الله القلشلابي والبرزلي البخاري كما درس في جامعة الزيتونة²².

بعد غياب طويل عن الجزائر دام حوالي 20 سنة عاد إلى الجزائر ليستقر في الجزائر أواخر عام 820 هـ/1417م ومكث بها إلا أن وافته المنية²³.

اهتماماته :

التدريس، الحديث، التفسير، الأدب، اللغة وتتللمذ على يد الكثير من العلماء والمشائخ أشهرهم محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف، ومحمد بن يوسف السنوسي وغيرهم مثل التالوني ومحمد بن عبد الكريم المغيلي ومن الأجانب تتلمذ على يد عبد الباسط ابن الخليل بن شاهين المالطي كما تولى وظائف أخرى إلى جانب التدريس كالقضاء ومشيخة مدينة الجزائر إلا أنه تخلى عن هاتين الوظيفتين وعاد لمهمة التدريس والإرشاد والتأليف حوالي تسعين مؤلف²⁴.

- سيدي عمر التنسي.
- سيدي الشاذلي الذي كان له أثره هو الآخر.
- سيدي محمد الواضح دفين بجاية.
- سيدي محمد بن يوسف السنوسي. ألف كتب غزيرة.
- سيدي أحمد الملياني.
- سيدي سالم التحيني 1234 هـ - 1818م.
- سيدي إبراهيم التازي بوهران ظهر قبل الوجود العثماني أخذ العلم في مصر والحرمين والقدس ودمشق²⁴.

- سيدي بومدين بتلمسان ويعود إلى عام 960 هـ - 1500م.
- سيدي محمد الشريف الزهار حبس على ضريحه بستان قرب باب الحديد.
- سيدي أحمد بن عبد الجبار المسعودي الفجيجي التلمساني كانت له علاقة طيبة مع العثمانيين كما كانت له زاوية خاصة به وأنشأ مسجد وبيت للفقراء.
- سيدي محمد بن المغوفل أوائل القرن العاشر الهجري.
- الشيخ العبدلي بتلمسان.
- الشيخ الشلحي بقسنطينة وقعت له كرامة مع باي قسنطينة حسن بوحانك الذي أعطاه قصرا الذي أصبح يعرف بدار الشلحي وأسس زاوية معفاة من الضرائب.
- سيدي عبد الرحمان الأحضري بينطوس بقسنطينة.
- الشيخ احمد بوعكاز بقسنطينة.
- ضريح علي مبارك بالقلعة.
- مشهد الوالي بن عودة.
- الوالي أحمد بن يوسف.
- سيدي عيسى بن سيدي مؤمن ومرابطي أولاد جيدي.
- سيدي علي بن محمد الشريف.
- سيدي أحمد الملياني بن علي الخروبي.
- سيدي بن مريم البطوي.
- سيدي المغراوي.

- سيدي أحمد الورنيدي.
- الشيخ عبد الرحمان اليعقوبي الورتلاني ولقد تعرض الورتلاني في رحلته للحديث عن المرابطين والصالحين والشرفاء وعددهم حوالي 50 منهم في جيل زاوية وحوالي 20 في بجاية وتلمسان.
- سيدي قاسم أم هاني نواحي امقاوس.
- الشيخ محمد الحاج امدكال.
- الشيخ طراد وأتباعه.
- سيدي محمد الساسي البوتي عنابة وضواحيها.
- سيدي مولاي اللاتني التلمساني.
- سيدي أحمد بن بوجلال التلمساني.
- سيدي أحمد بن بوزيد الأوراسي.
- سيدي علي العابد الشابي دقن في عنابة.
- الشيخ مخلوف بقسنطينة.
- الشيخ أبو الغيث.
- الشيخ موهوب بن محمد بن علي الزواوي. ويقال عنه أنه أطعم الفقراء ويمشي مع القوافل ليؤمنها ومراقبة الامن.
- سيدي محمد بن عبدلي.
- سيدي عبد القادر اسماحي.

- سيدي بلقاسم بن صابر.
- الشيخ أحمد بن ملوكة التلمساني يقال عنه أنه دعى على عروج لكي لا يعود إلى تلمسان ولقي حذفه هناك
- الشيخ بن حمود العيساوي.
- الشيخ أحمد بن بوزيد الأوراسي²⁵

أهمية أوقاف الزوايا والأضرحة :

بفضل تواجد الأوقاف وما يترتب عنها من مدا خيل استطاع حكام الجزائر العثمانيون من سد حاجيات المصالح التعليمية والثقافية وغيرها من المصالح الضرورية للحياة والتي لم يكن الحكام يحرصون على توفيرها ولم تكن الخزينة العامة تهتم بالأنفاق عليها، ولم تقتصر ظاهرة الأوقاف على مدينة الجزائر بل انتشرت في أغلب جهات الوطن الجزائري واشتهرت مدن كثيرة بأوقافها. من جهة الغرب تلمسان مازونة ومعسكر بينما نجد في الشرق قسنطينة عنابة بجاية أما في الوسط مليانة القليعة البليدة²⁶.

- يصعب علينا ضبط وتقدير أوقاف الزوايا والأضرحة وإن عثرنا على شيء ضمن وثائق الأرشيف الوطني بمختلف أنواعه فهو غير تام وما يفسر شح معلوماتنا ودائما حسب الأرشيف الوطني لقد تنوعت الأوقاف بتنوع أصحابها ومكانتهم الاجتماعية والمهنية، مثلا بالنسبة لضريح عبد الرحمان الثعالبي حسب الأرشيف الوطني تمثلت أوقافه إلى حوالي 20 دار و11 عشر جنة و6 أحفر معدة لصناعة الدباغة، و5 علويات و6 رقابع وحنوتين، و3 جلسات حوانيت، و3 مخازن، شطر مخزن اصطبل وخزان. في حين يقدرها سعيدوني إلى 82 وقف يُخصص

لصيانة ورعاية حاجيات الزاوية والضريح وقدر دخل سيدي عبد الرحمان الثعالبي في عام 1837 بـ 6000 فرنك وحدد عدد الأوقاف التابعة له عشية الاحتلال الفرنسي بـ 82 وقفا بعد أن كان 11 وقفا في القرن الثاني عشر هجري كان البعض من هذه الأوقاف يأتي من خارج الجزائر حيث تعد شجرة الوالي حدود البلاد لتصل إلى بلدان أخرى من المغرب وإفريقيا خاصة تونس التي كانت ترسل سنويا حمولات من زيت الزيتون أما من حيث عدد العاملين ونوعيتهم فنجد مثلا انه كان يعمل بضريح سيدي عبد الرحمان وكيل و3 شواش و3 حزابين و4 قراء وخادمة وفراش بالإضافة إلى شيخ الحضرة. أسماء لبعض وكلاء ضريح سيدي عبد الرحمان وهم عبد القادر 1037 هـ/ 1871 م تولى التوكل سيدي محمد 1130 هـ/ 1817 م وتعاقب على الضريح وكيلين في نفس السنة 1828م/ 1813 م هما السيد محمد والسيد الحاج محمد خوجة²⁷.

● ويقول سعيدوني أن أوقاف سيدي الجامعي بمدينة الجزائر قد قدرت بـ 25 وقفا. كان البعض من هذه الأوقاف يأتي من الخارج حيث تصل بعض حمولات من زيت الزيتون من منطقة تونس²⁸.

أما في منطقة القبائل فقد قدرت أوقاف سيدي علي بن موسى أفسس وبالضبط في منطقة المعاتقة في الطريق الذي يؤدي إلى ذراع الميزان قرب تيزي أوزو و، حيث يقدر ديفولكس كما سبق وان أشرنا أن وقف هذه الزاوية كالتالي.

يقدر بـ 480 شجرة الزيتون و340 شجرة من التين وأراضي صالحة للزراعة²⁹.

كما قدرت أوقاف سيدي بومدين بـ 23 وقفا بمنطقة تلمسان وضواحيها سنة 960 هـ 1500 م حسب وثيقة تعود إلى عام 960 هـ. 1500 م²⁹ وسنأتي ببعض النماذج عن نوعية الاحباس الموقوفة عن الأضرحة.

حسب أرشيف المحاكم الشرعية حبس 3 أرباع من جملة أملاك لصالح سيدي رمضان.
ودائما حسب نفس المصدر حبس فندق على الشيخ الوالي دادة ودائما نفس
الوالي رسم كراء ومخزينين.

كما حبس على ضريح سيدي بن مبارك حانوتي ودار.
وجاء في إحدى وثائق بيت البابليك ما يلي :
نصف دار ابو طوبة في سوق الجمعة والربع للجامع الأعظم والربع للوالي الصالح
سيدي عبد الرحمان الثعالبي.

مما يدل على تنوع هذه الأوقاف أيضا تلك الأمثلة.
بستان الذي حبسه سيدي احمد التركي ببئر طرارية لصالح سيدي عبد الرحمان
الثعالبي بتاريخ أول جماد سنة 1230 هـ.

ودائما لصالح نفس الضريح حبس بستان بجيدرة سنة 1227 هـ.

وبستان آخر لصالح ضريح سيدي الشريف الزهار سنة 1128 هـ 1769 م³⁰.

يقول ديفول في حديثه عن إحدى الأضرحة أن المصاريف العادية للضريح هي
تبيض المكان مرتين في السنة كما يحتاج إلى 60 رطل من الزيت في الشهر - 25 رطل
من السكر للماء الحلو والمشروبات أما بالنسبة للاحتفال بالمولد النبوي كانت الزاوية
تطعم كل المعوزين الذين يقدمون ويأتون إليها في هذه المناسبة كما يتم ذبح ثورين
ويستعمل 18 كيلة من القمح و30 رطل من الزبدة و10 حمولات من الخشب.

كما كانت مصلحة الأوقاف تسهر على صيانة ورعاية المؤسسات المستفادة منها
وضمن سيرها الجيد كالإنفاق على خدماتها وحاجياتها اليومية.

هذا بالإضافة إلى التصديق على فئات من المجتمع الجزائري كما لا ننسى تلك التي تعيش من مداخيل الأوقاف كرجال الدين والمصالح الثقافية، كالإنفاق على القائمين على بيوت الله كالمساجد والأضرحة والزوايا.

أما المصالح التعليمية تتكفل بكل من لهم علاقة بالتعليم من فقهاء ومعلمين وطلبة ومدرسين. أما المصالح الاجتماعية فمهمتها مساعدة الفقراء، والمعوزين، واليتامى، والأرامل وعابري السبيل، والأجانب المسلمين. ويضيف سعد الله أن بعض الزوايا اليوسفية والقادرية والتيجانية والزيرية وغيرها قد امتلكت الثروة وتوافدت عليها الهدايا والعطايا كما كانت تأخذ الأموال والزكوات والجيبيات. هذا ولقد علمنا أن بايات قسنطينة قد أعفوا عدد من الزوايا والأضرحة من الضرائب وقد عرف عن العثمانيين سخائهم اتجاه رجال الدين عامة والمرابطين خاصة حيث كان بعض الباشاوات يمنحون في مناسبات معينة جزء من جزية أهل الذمة إلى الأشراف والعلماء والمرابطين³¹.

دور الزوايا والأضرحة :

ما يلاحظ هو نوع التداخل في المهام بين المساجد والزوايا، والأضرحة، حيث أرفقت اغلب المساجد بزوايا، والزوايا بمساجد، والأضرحة بمصليات، كما أن كل من الأضرحة، والزوايا، والمساجد، حرصوا على التكفل بالمجتمع الجزائري روحيا أولا ثم تنقيفيا وماديا ثانيا، وتأخذ عينة عن إدارة الأوقاف في دار السلطان التي تعتبر نموذجا متطورا لبقية الأقاليم حيث حظيت مدينة الجزائر وحدها بأكثر من مائة مسجد على اختلاف اتجاهاتها وأحجامها ومكانتها لدى السكان، ناهيك عن التسعة عشر ضريحاً³² بينما يقدرهم ديفولك باثني وثلاثين ضريحاً ولا ننسى الاثنتي عشر زاوية المتواجدة في مدينة الجزائر دائما حسب ديفول³³.

ويقول التميمي أن المسجد الأعظم كان يتميز بوضعية خاصة فيقول أن مهامه قد اتسعت إلى مهام سياسية وأنه كان مرآة الرأي العام في الجزائر. كما أشار إلى كثرة الأساتذة وعددهم أربعون أو أكثر من هذا فان بعض المساجد خصصت جزءا من أحباسها لدفن الطلبة والعلماء⁴³ كما تكفلت مؤسسات الأوقاف الأخرى كالزوايا والأضرحة بنفس المهام. أما مدينة قسنطينة فقد حظيت هي الأخرى بالعديد من المساجد والزوايا والمدارس 35 مسجدا 169 زاوية و7 مدارس بلغ عدد تلاميذها 600 منهم من كان داخل المدينة ومنهم من كان في أريافها فضلا عن المنحة السنوية التي قدرت بـ 36 فرنك للطلاب بالإضافة إلى الإعانات العينية³⁵. وبناء على ما جاء نستخلص أن الأضرحة والزوايا حاولتا بصفة فعالة رفع الجهل والتخفيف من عناء الفقر.

الهوامش :

1. عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك الخبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر منشورات المجلة التاريخية المغربية. عدد 5. تونس، ص 13-1985.
2. أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول. 1830-1500. ص476. دار الغرب الاسلامي. بيروت 1998.
3. ناصر الدين سعيدوني، دراسة تاريخية الفترة الحديثة، ص 255، 277. دار الغرب الاسلامي بيروت 2001.
4. A.AUMERAT, la propriété urbaine à Alger. revue Africaine.1897,pp 328. office des publicités universitaires .
5. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع، ص 277.
6. A. DEVOULX, Les Edifices Religieux de l'ancien Alger, in R.a. 1862 pp. 372.
7. أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 463.
8. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع، ص ص 246، 277.
9. A. DEVOULX, Op cit-in R a, 1862, p. 380.
10. أبو القاسم سعد الله ، نفس المرجع، ص 460-464.
11. A. DEVOULX, Op. cit, 1865, pp.443-445, pp49-53, 1870, pp177-185,1874, pp81-88,pp. 207-210.
12. N. SAIDOUNI, le waqf dans le Monde Musulman Contemporain (XIXe -XXe Siècle)Fonctions Sociales Economiques et Politiques
Actes de la table ronde d'Istanbul, 13-14 novembre 1992.
Institut Français D études, 3 Anatoliennes Istanbul, 1994 .p. 105.
13. A. DEVOULX, Op, en. Ra, 1867, pp. 49-54-207.
13. أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 462-462.
14. أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 462.

15. A. DEVOULX, Op .cit, in R a 1862, p.380.
16. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع. ص277.
- 17- A.DEVOULX,Op, cit, in Ra, 1862, p.382.
18. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع. ص 255.
19. أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع. ص 426.
20. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع. ص 277.
20. A.DEVOULX, Op, cit, 1862, pp.186-449.
21. A.DEVOULX,Op, cit, 1867, pp.470.
22. بن ميمون محمد الجزائري التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تقدم و تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1981م ص 334 ص ص 339-341.
23. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية 1994، ص ص 263-264 ص331.
24. عبد القادر نور الدين، 1670 ص ص 171-172، صفحات تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها غلى انتهاء العهد التركي، الجزائر، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1985.
25. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع. ص 277.
26. أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع. ص 476-438-764.
27. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع. ص 245-277-66.
28. م. ش.ع. 1-4 و 59 / 140 و 49 / 93-72 و 09 / 2-20 و 6-39 / 54-10-196-197 / 107-59 / 19-133-132 / 1-18.
29. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع.

30. وثائق بيت البايليك، علية 68 إلى 69، سجل 153.

74

31. A.DEVOULX,Op, cit, 1862, pp.372.

75

32. عبد الجليل التميمي، نفس المرجع. ص 12-21.

76

33. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع. ص 222-223.

78

34. A.DEVOULX, Op, cit, 1862, pp.370-371.

77

35. ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع. ص 237-238.

81

84

85

86

87

88

89

90

91

92

93

94

95

96

97

98

99

100

فهرس المواضيع

الفصل الأول : ظهور الدولة الجزائرية الحديثة

1. أوضاع المغرب الأوسط من أواخر القرن الخامس عشر إلى دخول العثمانيين.....11
- الاحتلال الإسباني للشواطئ الجزائرية.....13
- دور الطرق الصوفية.....18
- الاستنجد بالعثمانيين.....19
- خير الدين بربروسة وانضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية.....24
- حسن آغا خليفة خير الدين.....26

الفصل الثاني : النظم السياسية والعسكرية

المبحث الأول : النظم السياسية

- أ . مرحلة البايبربايات (1519-1587).....44
- ب. مرحلة الباشوات (1587-1659).....48
- ج. مرحلة الآغوات (1659-1671).....52
- د. مرحلة الدايات (1671-1830).....54
- عهد الدايات الأول 1671-1710.....54
- عهد الدايات الثاني.....57

المبحث الثاني : الجيش الإنكشاري

- عملية التجنيد.....69
- تكاليف التجنيد.....70
- أصل المجندين.....71

74.....	كيفية نقل الجنـد الحديد إلى الجزائر.....
76.....	وصول الجنـد الحديد إلى الجزائر.....
76.....	أماكن إقامة الانكشارية
78.....	تنظيم الإنكشارية
78.....	الرتب العسكرية
81.....	مهام الجيش الإنكشاري.....
84.....	فرق الزواوة
85.....	أجور وعوايد الجيش
86.....	كيفية معاينة الجيش.....
87.....	الجيش خارج الثكنات
88.....	محاولة القضاء على الإنكشارية
المبحث الثالث : طائفة رياس البحر	
95.....	أ. طائفة الرياس ومميزاتها.....
95.....	1. التعريف.....
95.....	2. أصل أعضائها.....
96.....	3. كفاءتهم وانضباطهم.....
97.....	ب. مقومات قوة طائفة الرياس.....
97.....	1. السفن المستعملة.....
99.....	2. الترسانات.....
100.....	3. مصادر التموين.....

ج . دور طائفة الرياس.....	101
1. المجال الداخلي.....	101
2 . المجال الخارجي.....	102

الفصل الثالث : النظم الإدارية المركزية

I. جهاز الإدارة المركزية.....	112
1. مؤسسة الديوان أو مجلس الحكومة.....	112
2. الموظفون السامون أو مجلس الحكومة.....	114
3. هيئة الكتاب الكبار.....	120
4. هيئة الخوجات.....	120
5. هيئة القياد.....	120
6. موظفو القصر.....	121
II - إدارة وتسيير المدينة.....	123
1. مؤسسة مشيخة البلد.....	123

الفصل الرابع : النظم الإدارية المحلية

المبحث الأول : دار السلطان.....	139
المبحث الثاني : بايليك التيطري.....	176
المبحث الثالث : بايليك قسنطينة.....	200
المبحث الرابع : بايليك الغرب.....	220

الفصل الخامس : الأوقاف

المبحث الأول : أوقاف الحرمين الشريفين

1. مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين.....243
2. المساهمون في أوقاف الحرمين الشريفين.....244
3. تسيير مؤسسة أوقاف الحرمين وإدارتها.....247
4. مؤسسة أوقاف الحرمين بعد 1830.....251

المبحث الثاني : أوقاف مؤسسة سبل الخيرات

- مقدمة.....256
1. مؤسسة سبل الخيرات وجوامعها.....258
2. مسير مؤسسة سبل الخيرات.....258
3. أوقاف مؤسسة سبل الخيرات.....260
4. استغلال أوقاف مؤسسة سبل الخيرات.....271

المبحث الثالث : مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر.

1. نبذة تاريخية عن الجامع الأعظم بمدينة الجزائر.....279
2. تسيير مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم.....280
- أ. متى ظهرت.....280
- ب. موظفوها.....281
- ج. العائلات التي ساهمت في إدارة وقف الجامع الأعظم.....281
3. دور مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم.....284

4. أهمية وثائق أوقاف الجامع الأعظم للإطلاع على طبيعة مجتمع مدينة الجزائر.....287

المبحث الرابع : أوقاف الزوايا والأضرحة

1. الأضرحة.....301

2. أهمية أوقاف الزوايا والأضرحة306

3. دور الزوايا والأضرحة309

.....311

.....312

.....313

.....314

.....315

.....316

.....317

.....318

.....319

.....320

.....321

.....322

.....323